

٤٤٤  
٤٠٠٩  
٧٩٨

التربية والتعليم في الأردن

اعداد

ابراهيم علي العكش

اشراف

الأستاذ الدكتور احمد ابو هلال



قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على  
درجة الماجستير في الأصول بكلية  
في الجامعة الأردنية



١٤٠٢

ربيع الأول

١٩٨٢

كانون ثاني

## الأهـدأـ

الى ربح من تلقيت في احضانها تربيـتي الاولى ، فنحناني  
من العطف والحنان والثقة ما ظل زادا لي في دروب الحياة .  
الى والدي .

الى رمز الايمان والعطاء بغير حدود .  
الى أخوتي : احمد ومحمد .

الى التي تعانق الحياة بكل شوق وتفهر صغابها بكل تحد وكبرياء .  
الى زوجتي .

الى الذين اصبحت حقوقهم مني واجبات عليهم .  
الى ابنائتي : سمير ، صبا ، اسيل ، أممي .

### كلمة شكر

الى الاستاذ الدكتور احمد ابو هلال المشرف على هذه الرسالة ورئيس لجنة المناقشة الذي وجه خطواتي الاولى في هذه الدراسة ، وطل يرعاها ويمنحها من جهده ومن وقته ومن اصراره ما وصل بها الى غايتها .

والى الدكتور اسامة شموط والدكتور محمد عبد حناملة عضوى لجنة المناقشة على ملاحظتهما وتوجيهاتهما القيمة .

والى الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة لتفضله بقراءة مخطوطة الرسالة .

واخيرا اتوجه بالشكر الى كل مدرس في كلية التربية التقيت به في الحلقات الدراسية ، وساهم بشكل ما في صياغة الأفكار التي طرحتها هذه الرسالة .



## المحتويات

### الصفحة

أ	الاهدأ
ب	كلمة شكر
ج - ح	المحتويات
ط - ك	الخلاصة
٢٠ - ١	الفصل الاول

### ١ - الاطار الجغرافي والتاريخي والاجتماعي للدراسة :

١	- موقع الاندلس وطبيعتها الجغرافية
١ - ٥	- مدخل تاريخي
٨ - ٥	- بنية المجتمع الاندلسي
١٤ - ٩	٢ - أهمية الدراسة وهدفها
١٦ - ١٥	٣ - حدود الدراسة
١٨ - ١٧	٤ - الدراسات السابقة
٢٠ - ١٩	٥ - منهج الدراسة
٤٣ - ٢١	الفصل الثاني :

### الاطار الفكري النظري للدراسة "فلسفة التربية والتعليم" :

٢١	١ - مقدمة
٢٢ - ٢١	٢ - ماذا تعني فلسفة التربية
٢٣ - ٢٢	٣ - العلاقة بين فلسفة التربية وفلسفة الحياة في المجتمع الاندلسي
٢٣	٤ - التصور الاسلامي للتربية :
٣١ - ٢٤	- مجالات السلوك الانساني (عالم الغيب ، العالم المادي المحسوس)

الصفحة		
٣٥ - ٣١	-	الانسان في القرآن الكريم : ( أصل الانسان ، غاية الوجود الانساني ، طبيعة النفس البشرية ، صورة المسلم كما يريد ها القرآن الكريم ) .
٣٨ - ٣٥	-	مجتمع القرآن الكريم
٤١ - ٣٨	-	٥- المعرفة وطرق اكتسابها في الفلسفة الاسلامية ( ما المعرفة ، موضوعات المعرفة ، أنواع المعرفة ، مصادر المعرفة ) .
٤٣ - ٤٢	-	٦- نظام التعليم في المجتمع الاندلسي
٧١ - ٤٤	-	<u>الفصل الثالث :</u>
		<u>الاطار المادي للتربية والتعليم في الاندلس :</u>
٤٤	-	١- مقدمة
٤٥ - ٤٤	-	٢- حال الاندلس قبل دخول العرب اليها
٤٦ - ٤٥	-	٣- بوادر ظهور الحركة التعليمية في الاندلس
٥٠ - ٤٧	-	٤- الفرص التعليمية التي أتاحت لأبناء المجتمع الاندلسي
٥٢ - ٥٠	-	٥- تمويل التعليم ( التمويل الرسمي ، التمويل الشعبي )
٥٥ - ٥٢	-	٦- لغة التعليم
٦٩ - ٥٥	-	٧- الكتب والمكتبات ( الوراقة ، النساخ ، فئات النساخ ، تكوين المكتبات : مكتبات القصور ، مكتبات البيوت ) .
٧٠ - ٦٩	-	٨- الهيئات التعليمية
٧١ - ٧٠	-	٩- الخلاصة

الصفحة

الفصل الرابع :

٧٢ - ٩٨

دور الحكام في الحركة التعليمية :

٧٢	١	مقدمة
٧٤ - ٧٢	٢	الظروف العامة
٧٦ - ٧٤	٣	الحكام وبناء المساجد
٨٩ - ٧٦	٤	مواقف الأمويين
٩٢ - ٨٩	٥	ملوك الطوائف والحركة التعليمية
٩٣ - ٩٢	٦	المرابضون والحركة التعليمية
٩٦ - ٩٣	٧	الموحدين والحركة التعليمية
٩٧ - ٩٦	٨	بنو نصر في غرناطة
٩٨ - ٩٧	٩	الخلاصة
١٢٨ - ٩٨		الفصل الخامس :

رتب المعلمين ومؤهلاتهم :

٩٨	١	مقدمة
١٠٧ - ٩٨	٢	ثقافة المعلمين وتخصصاتهم : (الثقافة الموسوعية ، التخصصات العلمية ، تخصصات في اللغة والأدب ، تخصصات أخرى ، إتقان المعلمين لغات غير العربية) .
١٢١ - ١٠٧	٣	ألقاب المعلمين (الأئمة ، الشيوخ ، الاساتذة ، المؤدبون والمعلمون) .
١٢٥ - ١٢١	٤	أحوال المعلمين المادية : ( معلمون موظفون برواتب معلومة ، معلمون يأخذون الأجرة من الدارسين ، معلمون لم يتقاضوا أجرا ) .

الصفحة

١٢٧ - ١٢٥	٥- المعلومات من النساء
١٢٨ - ١٢٧	٦- الخلاصة
١٦٣ - ١٢٩	الفصل السادس:

مهام المعلمين وطرق تأديتها :

١٢٩	١- مقدمة
١٣٧ - ١٣٠	٢- اساليب التعليم : ( الاسماع ، الاملاء ، القـــــراءة ، المحاضرة ، المناقشة والمذاكرة ، المناظرة ) .
١٤٤ - ١٣٧	٣- من اساليب المعلمين في تهئية طلابهم ( احترام شخصية الطالب ، توجيه الطلاب وارشادهم ، ملاطفة الطلاب ، المعلمون والرحلات الطلابية ، تبادل الزيارات ) .
١٤٥ - ١٤٤	٤- طريقة معلمي الكتيب في التعامل مع تلاميذهم
١٤٧ - ١٤٥	٥- مجالس المعلمين وأوقات عملهم
١٥١ - ١٤٧	٦- مهمات أخرى للمعلمين ( الوعظ والارشاد ، الجهاد والفرو ، ممارسة القضاء ، الاشتغال بحرفة ) .
١٥٣ - ١٥١	٧- ظواهر أخرى في قطاع المعلمين ( المعيدون ، المعلمون المساعدون ، المعلمون النواب ، المعلمون المتجولون ، المعلمون الأميون ) .
١٦٩ - ١٥٤	٨- الاجازات التي منحها المعلمون : ( أركان الاجازة ، انواع الاجازات ، صور من الاجازات ) .
١٦٩ - ١٦٩	٩- الخلاصة

الصفحة

الفصل السابع:

الطلاب والمراحل التعليمية ومناهج الدراسة :

١٦٤ - ١٩٦	١٦٤	١- مقدمة
		٢- مراحل التعليم :
١٧٢ - ١٦٥		- المرحلة الابتدائية (انتشار الكتاب ، سن الدخول الى الكتاب ، مناهج التعليم في الكتاب ) .
١٨٢ - ١٧٢		- المرحلة الثانية (المتوسطة ) : ( أماكن التعليم في هذه المرحلة ، مواد الدراسة في المرحلة الثانية ) .
١٨٧ - ١٨٢		- المرحلة العليا ( مرحلة التخصص )
١٩١ - ١٨٧		٣- تعليم الاناث
١٩٥ - ١٩١		٤- الطلاب من غير المسلمين
١٩٦ - ١٩٥		٥- الخلاصة
٢٣٢ - ١٩٧		الفصل الثامن :

مواد الدراسة ومدى ارتباطها بحاجات المجتمع الاندلسي :

١٩٧	١٩٧	١- مقدمة
١٩٨ - ١٩٧		٢- اتجاهات الاندلسيين نحو انواع المعلوم
٢٠٣ - ١٩٨		٣- الدراسات الدينية
٢١١ - ٢٠٣		٤- الدراسات الادبية واللغوية
٢١٧ - ٢١٢		٥- الطب



الصفحة

٢١٩	-	٢١٧
٢٢٢	-	٢١٩
٢٢٦	-	٢٢٢
٢٣٠	-	٢٢٦
٢٣٢	-	٢٣٠
٢٥٢	-	٢٣٣

٦-	الهندسة والحساب
٧-	الفلك والنجوم
٨-	الدراسات الفلسفية
٩-	الفن والموسيقى
١٠-	الخلاصة
	<u>الفصل التاسع :</u>

تعليق ونقد :

٢٣٣	-	٢٣٣
٢٣٥	-	٢٣٣
٢٣٧	-	٢٣٥
٢٤٠	-	٢٣٧
٢٤٦	-	٢٤٠
٢٥٢	-	٢٤٧
٢٥٦	-	٢٥٣
٢٦٨	-	٢٥٦

١-	مقدمة
٢-	المعلم محور التعليمية
٣-	استمرارية التعليم
٤-	ظواهر سلبية في التربية الاندلمية
٥-	التراث والآفاق المستقبلية فيه
	<u>خاتمة</u>
	فهرس جغرافي
	المصادر والمراجع

## الخلاصة

تتناول هذه الدراسة التربية والتعليم في الاندلس في الفترة الممتدة من قيام الامارة الاموية في قرطبة عام ١٢٨هـ = ٧٥٦ م ، وحتى سقوط حكومة غرناطة عام ٨٩٨هـ = ١٤٩٢ م . هدفنا هذه الدراسة الى معرفة خط الاندلس من التقدم الحضارى الذى بلغته المجتمعات العربية والاسلامية في فترات الازدهار من تاريخها ، من خلال التعرف الى التربية والتعليم أحد جوانب تلك الحضارة . كما هدفنا هذه الدراسة الى ابراز الظواهر والاتجاهات والممارسات التربوية التي سادت قطاع المعلمين والمتعلمين في الاندلس ، لمعرفة ما يصلح منها أن يدمج في سياق اجتماعي ، فيتخذ صفة المعاصرة وتفيد منه المجتمعات الحاضرة ، ولمعرفة ما يمكن أن يبقى منها في اطار التاريخ وجزءا من الماضي .

لتحقيق أهداف الدراسة استعان الدارس بالصادر الاندلسية التي تحدثت عن حضارة الاندلس من خلال الاحداث التاريخية والاجتماعية التي سردتها أو من خلال تراجم الرجال الذين ذكروهم تلك المصادر ، وكان لهم اسهام ما في الحركة التعليمية في الاندلس . يشمل هذه المصادر " طبقات الام " لصاعد الاندلسي ، " الصلة " لابن بشكوال ، " صلة الصلة " لابن الزبير ، " الذخيرة " لابن بسام ، " مطمح الانفس " لابن خاقان ، " نفع الطيب " للمقرئ ، " أعمال الاعلام " و " الاحاطة في اخبار غرناطة " لابن الخطيب ، وفيها ما ذكر في قائمة المصادر .

واستعان الدارس ايضا بمجموعة من المراجع الحديثة ، للاطلاع على وجهات النظر المختلفة حول القضايا التي واجهته ، وللمساعدة في التحليل والتعليق في المواضيع التي استلزم ذلك من الرسالة .

جاءت الدراسة في تسعة فصول وخاتمة : الفصل الاول ويحوى مقدمة الرسالة ، الفصل الثاني حديث عن الاطار الفكري النظري للدراسة ، ويقصد به فلسفة التربية والتعليم من الاندلس والنظام التعليمي الذي انبثق من هذه الفلسفة . الفصل الثالث عن الاطار المادى للتربية والتعليم ، ويعني مجموعة التدابير التي اتخذها المجتمع الاندلسي لتوفير بيئة مناسبة للتعليم مثل أماكن التعليم وكتب التعليم والمكتبات . الفصل الرابع عن دور الحكام في الحركة التعليمية ، وأثر ذلك الدور على اتجاهات التعليم . الفصل الخامس عن تخصصات المعلمين وثقافتهم ومؤهلاتهم . والفصل السادس عن مهام المعلمين وطرائق تأديتها ، وعن الاجازات التي منحوها لطلابهم .

الفصل السابع عن المتعلمين " الطلاب " ومناهج التعلم ومراحل الدراسة . والفصل الثامن عن مواد الدراسة ومدى ارتباطها بحاجات المجتمع الاندلسي .

أما الفصل التاسع فتضمن تعليقا على ما ورد في الفصول السابقة .

أهم ما تبرز هذه الدراسة أن التعليم في الاندلس كان حرا ، لم تشرف عليه سلطة رسمية ولم تقيد قوانين أو تعليمات مكتوبة ، وإنما شكل نظام التعليم في الاندلس مجموعة من الاعراف والتقاليد المحفوظة التي فاقت قوة القوانين المكتوبة في معظم الأحيان .

كان المتعلم في الاندلس حرا في اختيار مكان التعليم وحرا في اختيار المعلم . كما كان حرا في اختيار المادة التعليمية التي تناسب ميوله . وتبرز الدراسة مكانة المعلم ، إذ كان حجر الأساس في نظام التعليم الاندلسي لأنه امتلك الكتاب الذي شكل مع المعلم أهم مصدرين للعلوم الدراسية .

لم يكن للتعليم في الاندلس مكان محدد يذهب المتعلمون اليه وفيه ضوابط للحضور والغياب والتسرك ، بل كان التعليم في كل مكان وجد فيه أو وصل اليه المعلم ، سواء كان ذلك في المسجد أو في البيت أو في المزرعة .

والتعليم في الاندلس لم يخضع لنظام صارم في الامتحانات ، يقوم فيه الطلاب على أساس رقي " الدرجات " ، فيحكم بالفضل على فئة من الطلاب لا تجتاز مثل هذه الامتحانات ، وإنما روعيت قدرات الطلاب في استيعاب المواد التي كانوا يتعلمونها ، حيث " يجاز " الطالب في الكتاب الذي أتقنه قراءة وحفظا وفهما على يد معلمه ، دون أن يكون لهذا الاتقان مدة محددة سلفا كما نرى في المراحل الدراسية في أنظمة التعليم المعاصرة ، ولذا كان استعداد الطالب وميوله وقدراته هي التي تحدد الفترة التي ينتهي فيها الكتاب والكتب التي يدرسها الطالب . ومن هنا لم يعرف التعليم حدودا ينتهي اليها ، بل يظل مستمرا باستمرار حياة المتعلمين ، كما لم تعرف حدود صارمة فاصلة بين الطالب والمعلم ، فكان المعلم طالبا في حلقة ومعلما في حلقة أخرى ، وقد يلتقيان في حلقة واحدة عند معلم آخر ، وقد يتبادل المعلم والطالب دوريهما أحدهما أزا ، الآخر ، وبخاصة في المراحل التي تلي مرحلة " الكتاب " .

في التعليم الاندلسي نطلع أيضا على ضخامة الجهد الذي بذله الاندلسيون في طلب العلم ، فكانت الرحلة التي لم تنقطع من الاندلس إلى المشرق لتلقي العلم على الأساتذة المشرقين ولا حضار الأصول المحققة من كتب المشاركة التي اعتمد عليها التعليم الاندلسي

اعتماد اكبراً وكانت لهم أيضاً تلك الرحلات الداخلية بين مدن الأندلس وقراها بحثاً عن العلم والمعلم . ويضل جانباً من الجهود التي بذلها الأندلسيون ما قاموا به من نسخ للكتب ، ومن جمع لها في وقت لم يكن النسخ أو الجمع سهلاً .

وهكذا فإن الحضور الطوعي للطلاب ، وتعدد أمكنة التعليم وانفتاحها للجميع ، وعدم وجود نظام امتحانات صارم ، واعتبار المعلم عنصراً هاماً في العملية التربوية ، واستمراره في التعليم ، أصبحت جميعها هدفاً وعنواناً للعرب الذين يرون أن أنظمة التعليم الحاضرة أصبحت قاصرة عن أن تلبي حاجات مجتمعاتهم في زمن سريع التغير والتطور .

## الفصل الاول

### الاطار الجغرافي والتاريخي والاجتماعي للدراسة

#### موقع الاندلس وطبيعتها الجغرافية

ليس من مهمة هذه الدراسة تفصي الآراء التي تبحث في أسباب انطلاق اسم الاندلس على البقعة الجغرافية التي فتحها العرب من أرض اسبانيا، ويكفي أن نعرف أن هذه التسمية درجت على السنة المؤرخين والجغرافيين، وهم يعنون بها تلك الأرض التي أقام عليها العرب دولتهم، وأنشأوا فيها حضارتهم ونشروا فيها ديانتهم ولغتهم، وكانت مسرحا لاختلاف الاحداث التي مرت بهم، وتقدر مساحتها " بثلاثي اسبانيا " وتشمل الجزء الجنوبي من اسبانيا والبرتغال .

أما طبيعتها الجغرافية، فقد حفلت بأوصافها الكتب التاريخية والجغرافية وكتب الادب الاندلسي . وهي طبيعة تمتاز بتنوع تضاريسها الطبيعية وخصب أراضيها وجمال طبيعتها، وبالعمران المنتشر، حيث تمتد آلاف القرى والضياع، بالإضافة الى المدن الكبيرة . وفيما يتعلق بأثر هذه الطبيعة على الاندلسيين، تضمنته التفاصيل الدقيقة التي قدمتها لنا طوائف الكتب التي ذكرتها آنفا، حتى أن المقرئ صاحب " نفح الطيب " - بالرغم مما قدمه من وصف مطول للاندلس - يقول : " أن محاسنها لا تستوفيها عبارة " .

#### مدخل تاريخي

تجمع كتب التاريخ على أن فتح الاندلس تم على يد طارق بن زياد ( المراكشي ) المعجب ، ١٩٦٣ هـ ، ص ٣٢ ) ، وموسى بن نصير فيما بين عامي ( ٩٢ هـ ، ٩٣ هـ ، ٢١١ م ) في خلافة الوليد بن عبد الملك الاموي ، وتقسم الفترة التي قضاها العرب في الاندلس عادة الى العهود التالية :

## ١- عهد الولاة

من ( ٩٢ هـ - ١٣٨ هـ = ٧١٠ م - ٧٥٥ م )  
يمتد هذا العهد من فتح الاندلس على يد طارق بن زياد ، وحتى دخول  
عبدالرحمن بن معاوية الملقب بالداخل الى قرطبة ١٣٨ هـ = ٧٥٦ م .

## ٢- عهد الأمويين

وبيداً - كما اسلفت - بدخول عبدالرحمن مدينة قرطبة ( ١٣٨ هـ = ٧٥٦ م ) ،  
وتأسيسه الامارة الأموية . وفي العهد الأموي يمكن ان نميز فترتين : هما فترة  
الامارة التي انتهت في زمن عبدالرحمن الثالث (الناصر) ، عندما اعلن نفسه خليفة  
وفترة الخلافة التي بدأت في زمن الناصر ، وانتهت بنهاية هشام الثالث (١) آخر  
خليفة أموي سنة ( ٤٢٢ هـ = ١٠٢١ م ) (٢) .

كان الأمويون خلال الفترتين يتمتعون باستقلال ذاتي عن الخلافة الاسلامية  
في العراق ، وان كان هذا الاستقلال ابرز في زمن الخلفاء .

في هذا العهد (العهد الأموي) خاض عبدالرحمن الداخل صراعات عنيفة  
مع البربر ومع القبائل العربية المتنازعة على السلطان ، ومع اهل البلاد الأصليين ،  
واستطاع ان يرفع هبة الدولة في وجه الخارجين عليها ، ويسير أمور البلاد من  
خلال اجهزة ادارية وتنفيذية قوية ، اعادت ملك بني أمية وعظمتهم .

(١) هشام بن عبدالملك بن عبدالرحمن الناصر (الحميدى ، الجدوة ، ص ٢٧) .

(٢) لمعرفة التاريخ الميلادى المقابل للهجرى تجرى العملية التالية :  
الهجرى -  $\frac{الهجرى \times 3}{100} + 622 =$  ، فاذا كان التاريخ الهجرى ٤٢٢ هـ ، فان

ما يقابله هو ناتج العملية التالية :  $622 + \frac{3 \times 422}{100} = 622 + 12.66 = 634.66$  ،

( عن د . محمد حناملة ) .

خلف عبد الرحمن الداخل على العرش ، رجال اقوياء ، استطاعوا  
الاستمرار في الحفاظ على ما بناه لهم ، وعملوا على تقدم وازدهار دولتهم ، حتى  
بلغ عهدهم الذروة زمن عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم ، واصبحت قرطبة في  
زمانهم تظاهي بغداد ، بما فيها من العمارة والسكان ودور العلم ، ولم يصب  
دورا بارزا في توجيه النهضة الفكرية في الاندلس .

### عهد العامين

-٣-

ورث الخلافة الاموية بعد الحكم الثاني ( ت ٣٦٦ هـ = ٩٧٧ م ) ابنه  
هشام ، وكان صغيرا . فتسلم الحاجب المنصور محمد بن ابي عامر مقاليد  
الامور ، واستطاع ان يقضي على منافسيه من رجال الدولة ، حتى صار زمام الامور  
كلها بيديه ، واصبح الحاكم الفعلي للاندلس ، مما جعل المؤرخين يطلقون  
اسم " العهد العامين " على فترة حكمه ، وحكم ولديه من بعده ، رغم الوجود  
الاسمي للخليفة الاموي .

بعد هشام ، تعاقب خلفاء ضفاف على كرسي الحكم ، انتهت فترة وجودهم  
بخلع هشام الثالث الاموي سنة ٤٢٢ هـ ، مما فتح للطامعين في الحكم  
المجال في ان يستقلوا بالولايات التي كانت بأيديهم ، وجاء العهد السدي  
اطلق عليه المؤرخون " عهد ملوك الطوائف " .

### عهد ملوك الطوائف

-٤-

تقسمت الاندلس في فترة ضعف الخلافة الاموية ، وبعد انهيارها ،  
واستقل كل امير بها تحت يديه من النواحي ، فنشأ عن ذلك :

- دولة بني عباد في اشبيلية ( ٤١٤ هـ - ٤٨٤ هـ = ١٠٢٣ م - ١٠٩١ م ) .
  - دولة بني جهور في قرطبة ( ٤٢٢ - ٤٦١ هـ = ١٠٣٠ - ١٠٦٨ م ) .
  - دولة بني الافطس في بطليوس ( ٤٢٧ - ٤٨٧ هـ = ١٠٣٥ - ١٠٧٥ م ) .
  - دولة بني هود في سرقسطة ( ٤١٠ - ٥٣٦ هـ = ١٠١٩ - ١٠٤١ م ) .
- وغير هذه الدول لما مريجة في بلنسية والزيرية ثم بنو الاحمر في غرناطة .

كان هذا العصر عصر تنافس بين الأمازيغ على كل شيء : تنافس على السيادة  
السلطة والأرض ، تنافس على العلم والأدب ، تحول فيما بعد ليصبح تمهيداً  
لانهيار الحكم العربي في الأندلس .

#### عهد المرابطين

-٥-

تبدأ هذه الفترة بدخول يوسف بن تاشفين الأندلس بناءً على طلب  
المعتمد بن عباد لنصرته على أعدائه من دول النصارى . واستطاع يوسف  
بمعاونة المعتمد الانتصار على جيوش الفرنجة في معركة الزلاقة ( سنة ٤٧٨ هـ =  
١٠٨٦ م ) ، وردهم بعد أن ثبت للمعتمد ملكه ، ولكنه عاد مرة ثانية بعسده  
ثلاث سنوات لنجدة أهل الأندلس ، فضم على أنهاء دول الطوائف واتبع  
الأندلس لحكم المرابطين في المغرب .

#### عهد الموحيدين

-٦-

قامت دولة الموحيدين على انقاض دولة المرابطين ، فبسطت سيطرتها  
على الأندلس وحكمتها من ( ٥٢٤ - ٦٦٧ هـ = ١١٢٩ - ١٢٦٨ م ) انتهت  
باخراجهم على يد ملوك النصارى .

#### بنو الأحمر في غرناطة

-٧-

لم يزل السلطان العربي نهائياً من الأندلس بعد نهاية حكم الموحيدين  
أن استطاع محمد بن هود أن يبسط سلطانه على بعض المناطق الأندلسية ،  
وكانت تشمل قرطبة وأشبيلية ومليشوس ومرسية . ولكنه لم يستطع الصمود أمام  
هجمات النصارى المتتالية التي انتهت بالاستيلاء على قرطبة ( ٦٦٣ هـ ) ،  
وسقوطها نهائياً بأيديهم ، وزوال الحكم العربي عنها بعد قتل ابن هود .  
بعد سقوط قرطبة صمدت قبيلة عويمة من بني الأحمر ، وظلت تقاوم  
النصارى ، واتخذت غرناطة عاصمة لها ، فعرفت في زمن بني الأحمر ازدهار  
عصرها التاريخي ، حيث استطاع ولاتها استغلال ظروف الصراع الدائر بين



الممالك والكتل المتصارعة آنذاك ، وإطالة عمر مملكتهم ما يقرب من ( ٢٥٠ عاما ) ، وانتهت بهجوم فرديناند وإيزابيلا عليها عام ٨٩٨ هـ = ١٤٩٢ م ، فأسدل الستار على التاريخ العربي في تلك البلاد بعد أن دام حكم العرب ثمانية قرون (الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ١٩٢١ ، ص ٣٩ - ٤٠ ) (الركابي ، في الأدب الأندلسي ، ١٩٦٠ ، ص ٢٣-٣٣) .

### بنية المجتمع الأندلسي

يمكننا ان نميز بوضوح التراكيب التالية في المجتمع الأندلسي :

#### أ- التركيب العرقي

تذكر كتب التاريخ ان غالبية جيش طارق بن زياد فاتح الأندلس كانت من العناصر البربرية ، ولم يكن في جيشه من العرب أكثر من ثلاثمائة من مجموع سبعة آلاف جندي عبروا البحر الى اسبانية ، يضاف اليهم خمسة آلاف جندي من البربر امتد بهم طارق فيما كان يخوض الحرب داخل اسبانية . وعندما دخل موسى بن نصير اسبانيا كان معظم جيشه من العرب . ولم تكن هذه الجيوش تقيم في اسبانية بعد فتحها لمديد من مدنها ، حتى بدأت الفتن بين العرب والبربر من ناحية ، وبين القبائل العربية من ناحية اخرى . فكانت الفترة الاولى من تاريخ الأندلس العربية (عصر الولاة ) سلسلة متصلة من النزاعات . ويبدو ان تغلب البربر على العرب في جليقية زمن الوالي عبد الملك بن قطن الغفري اضطره أن يستنجد ببليج بن بشر الذي جاء على رأس حملة من الشرق تقدر بعشرة آلاف من جنود الشام ، دخل بهم بشر الأندلس حتى وصل قرطبة بعد ان ظهروا على البربر ، (ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ؟ ، ص ٣١ - ٣٢) ، ومنهم من تكونت الاستقراطية العربية فيما بعد ، وعندما أصبح عبد الرحمن الداخل اميرا على قرطبة ، وأقام حكم الامويين ، استقدم كثيرا من القبائل العربية المشرقية ليقوى بها عصبته .

يضاف الى العرب والبربر ، الاسبان ، اهل البلاد الأصليون الذين ذاب قسم منهم في المجتمع الاسلامي الأندلسي باعتناقه لديانته ولعاداته ولغته ،

وقسم ظل على ديانتهم، وسقوا بالمستعربين . (١)

ويمكن ان نعتبر الصقالبة ضمن هذه التركيبية ، رغم انهم لا ينتمون الى قومية معينة ، او الى قطر بعينه . فلفظة صقالبة \* كان يطلقها العرب على الارقاء الذين كانوا يشترونهم من اوربة . . . وكانوا يخدمون في الشرطة او في الجند او في قصر الخلافة ( شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج ١ ، ١٩٣٦ ، ص ٤٦ ) ، وينقل عنان (٢) :

" ان هؤلاء الصقالبة على الاغلب من الرقيق والخصيان الذين يوءى بهم بالأخص من بلاد الافرنج ، وحوض الدانوب وبلاد اللومبارد ، ومختلصه ثغور البحر المتوسط النصرانية ، وكان يوءى بهم اطفالا من الجنسين ، ويربون تربية اسلامية ، ثم يدربون على اعمال البطانة وشؤون القصر ، وقد سما شأنهم فيما بعد ، وتولوا مناصب الرياسة والقيادة ( عنان ، دولة الاسلام في الاندلس ، ١٩٧٣ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ) .

#### ب - التركيب الديني

يتميز في المجتمع الاندلسي ثلاث ديانات : الاسلامية وهي دين العرب والبربر الفاتحين ، ودين الذين اسلموا منذ الفتح ( المسالمة ) ، ومن تولد منهم من سككسان البلاد الاصليين ( المولدين ) ، ثم المسيحية ، وهي معتقد اولئك النصارى الذين ظلوا على دينهم من اهل البلاد ، يعيشون في رعاية المجتمع الاسلامي ، مقابل جزيئة يدفعونها .

(١) المستعربون : هم الذين احبوا العرب ولغتهم وحضارتهم من الاسبان واحتفظوا بديانتهم المسيحية ، رغم ان كثيرا منهم كانوا يدخلون الاسلام بعد تمكنهم من اللغة العربية بقناعتهم الذاتية .

(٢) عن المسالك والممالك ، ص ٧٥ .

عن هذا التعايش الديني في ظل الدولة العربية الإسلامية في الأندلس  
يحدثنا جوستاف ليهون :

" بلغ حلم عرب اسبانيا نحو الأهلين المفلولين ملغاً كانوا  
يسمحون به لأساقفتهم ان يعقدوا مواعيراتهم الدينية ، كمواضع  
اسبيلية النصراني الذي عقد سنة ٧٨٢ م ، ومواقع قرطبة  
النصراني الذي عقد سنة ٨٥٢ م . . . وكانت اسبانيا بلاد  
اورها الوحيد الذي تمتع اليهود فيه بحماية الدولة ورعايتها ،  
فصار عددهم فيه كثيراً جداً " ( ليهون ، حضارة العرب ، ٢ ،  
صص ٢٧٦ - ٢٧٧ ) .

### التركيب الطبقي

ج -

نفي أعلى الهرم الطبقي تتربع الطبقة الأرستقراطية ، وهي على مستويين :  
المستوى الذي بيده كل شيء ، يوجه السياسة والحرب والمال ، وهم الأمراء  
والخلفاء والملوك الذين تمتعوا بكل ألوان الترف : بالقصور الباهرة التي حوت  
آيات الابداع والفن ، وصنوف المتع والطلذات الدنيوية منها غلا ثمنها ، بما في  
ذلك الجوارى والعبيد والخدم . . . الخ . والمستوى الثاني : هم الناس  
الذين يتفانون ظلال قصور الحاكمين ، وينالون رندهم وعظائمهم ، أو ما يطلق  
عليه اسم الحاشية أو البطانة . وهم في العادة بيت الأمراء والخلفاء  
وأقرباءهم ورجالهم الذين يقومون على أمور ولته كالحجاب وقادة الشرطة والقضاة  
والوزراء والقادة . وهو لا يضا إذا ما قورنوا بطبقات العامة من حيث المستوى  
الاقتصادي ، وجدنا بين الطبقتين فرقاً شاسعاً في الدخل المادي والرفاهية  
الدنيوية التي يستطيعون استحضارها بما لديهم من مال أصفيتها عليهم  
أيادى السلطان ، هذه الطبقة كان لها دور بارز في توجيه المسيرة الحضارية  
التي عاشتها الأندلس العربية .

تلي هذه الطبقة ، طبقة التجار ، وأصحاب الصناعات الكبيرة ، وهي  
التي تزود بلاطات الأمراء والخلفاء ، وحاشيتهم بما يحتاجون من وسائل الترف

التي تغلوا ثماثها ، وفي اسفل الهرم تأتي جماعات المزارعين والفلاحين الذين ينتشرون في الارياف ، وفي المزارع يعملون في املاك الاقطاعيين ، وليس لهم مشاركة فاعلة في الحياة الثقافية ، او كما يقول صلاح خالص :

" دور الفلاحين في الحياة السياسية ليس أكثر من دورهم في الحياة الثقافية والأدبية والفكرية التي تتركز في المدن او في بلاطات الأمراء " ( صلاح خالص ، اشبيلية في القرن الخامس الهجري ،

١٩٦٥ ، ص ٤٩ ) .

ثم هناك طبقة الصناع والحرفيين الذين يقومون بالمهن المختلفة ، وهي طبقة تبذل الكثير من جهدها وتنازل القليل من حظها .

وما ورد من ابن حزم الاندلسي ( ٣٨٤ - ٤٥٦ هـ ) يؤيد ما ذهب اليه صلاح خالص ، ان يقول :

" ان الأنبرلس لم تخمس وتقسم كما فعل رسول الله فيما فتح ، ولا استطيت انفس المستفتحين ، وأقرت لجميع المسلمين ، كما فعل عمر رضي الله عنه فيما فتح ، ولكن نفذ الحكم فيها بأن لكل يسد ما أخذت " ( ابن حزم ، الرد على ابن النفريلة ، ١٩٦٠ ،

ص ١٧٦ ) .

## أهمية الدراسة وهدفها

تطمح هذه الدراسة أن تكون حلقة في سلسلة الدراسات التربوية عن التيارات  
العربية الإسلامية ، فترسم صورة للواقع التعليمي الذي يصاد الأنجلوس ، من خلال ما تفرق  
في المصادر والتي تناولت الحديث عن حضارة الأنجلوس .

والرغم من كثرة هذه المصادر ، فإنها لم تحاول التعرض للحديث عن التربية  
والتعليم بشكل مباشر . وربما كان العذر واضحاً ، لأن الأنجلوسيين أنفسهم - علي ضوء  
ما وصلنا من مؤلفاتهم - لم يفرقوا مؤلفاً واحداً مستقلاً عن التعليم . لقد تركوا مؤلفات  
كثيرة جداً عن علمائهم وأدبياتهم وقضائهم وخلفائهم وقادتهم ، ولكن معلوماتهم عن هؤلاء  
لم يقصد بها الحديث عن التعليم بصورة كلية شاملة .

لقد بلغت الحضارة العربية الإسلامية شأواً بعيداً ، ذكر ذلك القدماء والمحدثون ،  
العرب وغير العرب ، ويكفي أن أشير إلى ما كتبه ابن خلدون في " تاريخه " وابن هشام في  
" ذخيرته " وابن الخطيب في مؤلفاته ، والمقرئ في " نفح الطيب " ، ثم إلى ما كتبه  
جوستاف ليهون في " حضارة العرب " أو زيفريد هونكه في " شمس العرب تسطع على الغرب " ،  
وستانلي بول في " قصة العرب في الأنجلوس " ، لنعلم مدى الألق الحضاري الذي وصلت  
الأنجلوس .

التعليم - لا شك - أحد مظاهر هذه الحضارة ، ويستحق من الباحثين كل عناية ،  
لنعرف مدى ما أسهمت به أمتنا من رفق للفكر التربوي في سيرته وتجده ، ونستغل هذه  
المعرفة خارج إطار الزمان والمكان اللذين تحققت فيهما تلك المساهمة ، فالتجارب  
الإنسانية محدودة بطروفي تاريخية وجغرافية وحضارية ، من الصعب أن تتكرر بهذا الفيها ،  
ومن الأجدى لنا ألا ندرس التراث لنكيل له المديح ، بل لا بد أن نبحث فيه عن الأسباب  
التي وقفت بالعرب في مرحلة حضارية معينة ، صاروا يعدون معها من العالم النامي وليس  
المتقدم . إنها بحاجة أكثر لتعمية ما في أساليبنا ورواينا من فكر ضل الطريق ، فانشعبت  
به السبل وحاد عن تيار الحضارة الناهض .

وتحاول هذه الدراسة أن تكشف عن الاتجاهات التربوية التي سادت البيئة  
الأندلسية ، والتي شكلت جانباً هاماً من النظام التربوي فيها ، فأصبحت صفة مميزة من  
خصائص التربية العدمية الإسلامية ، بل أرى أنها أصبحت من طموحات التيارات التجديدي  
في الفكر التربوي المعاصر ، فالمربون باتوا يدركون أن النظم التعليمية بحدودها المرسومة  
أو المصنوعة لم تعد تلبي حاجة المجتمعات المتزايدة إلى التعليم ، حتى أن أحد المربين  
عام ١٩٧٩ يقول : " كان اتجاهها تجديدياً الإيمان بأن التعلم يمكن أن يتم في أي مكان ،  
بطول الحياة وعرضها ، وليس فقط داخل المؤسسات ، أي داخل المدارس والمعاهد  
المخصصة لذلك الغرض " ، ( مانتن ، التربية الجديدة ، العدد ١٧ ، ١٩٧٩ ، ص ١٧ ) .  
ويقول كرلتون :

إن التلاميذ في حاجة إلى أن يدركوا أن التعليم أطول وأعمق مما  
يمضون ، وفي رأي بعض المربين أنه لا يجمل بنا أن نتحدث عن مبادئ  
للتعليم ، لأن للميدان أربعة حدود ، والأفضل أن نقول : إن للتعليم  
دوماً يمكن أن يسير عليها الإنسان دون أن يعرف متى سيخرج ، ولا إلى  
متى سيستمر في السير ، فإن الطريق طويل الامتداد ، ( الفرد كرلتون ،  
الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ، ١٩٦٢ ، ص ٢٨١ ) .

حتى التكنولوجيا الحديثة التي مثلت أرقى ما وصل إليه الفكر الانساني ، بسبب  
التشكيك بحدودها التعليمية إذا لم يستخد منها معلم ملتزم بحب مهنته ، وهذا الصدد  
يذكر مانتن أن : " دراسة قامت بها مؤسسة رائدة عن برنامج للنهوض بالتعليم في  
الولايات المتحدة الأمريكية ، استغرق تنفيذه اثني عشر عاماً ، كلف مليارات من الدولارات  
... كان فاشلاً ، وألقت باللوم على الافتراضات الساذجة بأن تخصيص المزيد من الأموال ،  
واتباع التكنولوجيا الحديثة وحدهما كفيلاً بتحقيق الهدف " ، ( مانتن ، التربية  
الجديدة ، العدد ١٧ ، ص ١٦ - ١٧ ) . ثم يقول تقرير الدراسة : " لم تتمكن  
هذه الأموال من شراء معلمين أكثر التزاماً ، ولا مدبرين أكفاء للمشروعات ، ولا نظماً  
مدارس أكثر اخلاصاً وتقانياً في العمل " ، ( مانتن ، التربية الجديدة ، العدد ١٧ ،  
ص ١٦ - ١٧ ) . ويتابع هذا الكاتب في مقاله : " فالحضور الاجباري يؤدي إلى

ذات يوم باعتباره تجديداً ، كذلك الحال بالنسبة الى حراك الطلاب ، فبدلاً من ان يتلقى تعليمه في مؤسسة واحدة ، أصبح بإمكانه اليوم أن يتلقى تعليمه في عدة مؤسسات فسي وقت واحد " ، ( هيمون مانتن ، التربية الجديدة ، العدد ١٧ ، ١٩٧٩ ، صص ١٦-١٧ ) وفي السياق ذاته يتساءل عبدالدايم :

من قال لنا أن النظام التعليمي الذي يستند الى الطالب والمعلم وحجرة الصف ( وفي علاقة ثابتة محددة ) نظام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ من قال لنا أنه نظام معصوم ؟ أفلا نستطيع إعادة النظر فيه إعادة جذرية ، فنكسر العلاقة العددية الثابتة بين المعلم والطلاب ، وبين الطلاب وحجرة الصف ، ونلجأ الى نظام تعليمي من ، لا تشكل فيه نسبة عدد الطلاب الى المعلم الواحد عائقاً ، ولا تكون فيه جدران حجرة الصف الثابتة حاجزاً وحداً ؟ ( عبدالله عبدالدايم ، الثورة التكنولوجية في التربية العربية ، ١٩٧٤ ، ص ١٣٤ ) .

صحيح أن المربين في هذا العصر يتحدثون على ضوء التكنولوجيا واستخدامها في مجال التربية ، لكنهم في الوقت ذاته يخاطبون الفكر البشري أن يحسن استغلال التكنولوجيا التي أصبحت ميسرة ، وهي ليست الا وسيلة للفكر المبدع .

لقد فكرا جدادنا في طرائق التربية والتعليم واستطاعوا من خلالها ان يلبيوا حاجات الطلب المتزايد على التعليم في بيئتهم الاندلسية ، وكأني بالمربين المعاصرين في دعوتهم الى عدم الاقتصار على الابنية المدروسة في التعليم ، والى الاهتمام بالمعلم ، واستمرارية التوعية ، وأن تكون بكافة المتعلم ذاتية ، كأني بهم ينطلقون من تلك الافكار الرائدة التي وجهت التربية والتعليم في البيئة الاندلسية العربية . هناك كان المعلم الذي يموت على فراشه وحوله طلبة العلم يعلمهم ويؤدبهم ، وهناك كان الطالب الذي بلغ التسعين من عمره او اكثر وهو يبحث عن شيوخ العلم ، وهناك ايضا لم يكن للمتعلم معهد بعينه يقصده ، بل كان حرا في اختيار معلمه ، ما ترك للمعلم مكانة هامة فسي نظامهم التعليمي ، كما ان الحضور لم يكن اجباريا في فترات معينة من اليوم او الشهر او العام .

لكن الحماس للتراث ينهضي الا يصرفنا عن سماع الاصوات التي انطلقت تحذر القائمين على امور التعليم من فساد ، حتى صار الى الجمود والتأخر . لقد فطن ابن خلدون - وهو من عاشوا في الاندلس - في عصر مبكر الى بداية الخطر :

" اعلم ان ما اضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف ، واختلاف الاصطلاحات في التعليم ، وتعدد طرقها ، ثم مطالبة المعلم والتلميذ باستحضار ذلك . وحينئذ يصلح له منصب التحصيل ، فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها او اكثرها ومراعاة طرقها ، ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة ، اذا تجرد لها ، فيقع القصور ولا بد بون رتبة التحصيل " ( ابن خلدون ، المقدمة ، ١٩٦٢ ص ( ١٠٢ ) .

ويستشهد ابن خلدون بالكتب الفقهية وما دون عليها من شروحات وتفسيرات .

فالمعلم :

" يحتاج الى تمييز الطريقة القيروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية ، وطرق المتأخرين عنهم ، والا حاطة بذلك كله ، وحينئذ يصلح له منصب الفتيا ، وهي



كلها متكررة والمعنى واحد ، والمتعلم مطالب باستحضارها جميعها وتمييز ما بينها ،  
والعمر ينقضي في واحد منها " ، ( ابن جلدون ، المقدمة ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٢٢ ) ، الى  
أن يقول : " ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط ، لكان الأمر  
دون ذلك بكثير ، وكان التعليم سهلاً ومأخذه قريباً ، ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار  
العوائد عليه ، فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها " ، ( ابن جلدون ،  
المقدمة ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٢٢ ) . ونفس المعنى تحدث المعاصرون :

إن احكام الشريعة الاسلامية المبنية على النصوص قليلة جداً بالنسبة  
الى الاحكام المبنية على اجتهاد الفقهاء . . . وقد ملأت هذه  
الفرعيات مجلدات ضخمة من كتب الفقه . . . ثم إن هذه الفرعيات  
طفت احياناً على المبادئ العامة ، واتخذت مع التقليد التقديري  
طابعاً شكلياً جامداً ، ( صبحي محصاني ، الثقافة الاسلامية والحياة  
المعاصرة ، ١٩٦٢ ، ص ١٦٨ ) .

ويعد أن يذكر صبحي محصاني حسنات تعدد المذاهب الفقهية يقول : " كان لتمدد  
المذاهب سيئات ايضاً ، أهمها التحزب المذهبي الأعمى ، وما يجره من نزاع وعداوة  
ومغضاة ، فكان اتباع كل مذهب يلتحقون به غالباً بالوراثة " ، ( صبحي محصاني ،  
الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة ، ١٩٦٢ ، ص ١٢٥ ) .

ولقد شغل المسلمون أنفسهم :

بما لا عمل لهم فيه ، وتركوا ما كان يجب أن يعملوه ، شغلوا أنفسهم  
في بحوث الدين والعقيدة مع أن الله سبحانه وتعالى  
أكمل الدين للمسلمين ، قال تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم

واتممت عليكم نعمتي \* (المائدة ، آية ٣ ) \* ( م . م شريف — ف ،  
الفكر الاسلامي ، ١٩٧١ ، ص ٤٩ )

لقد اتجه الباحثون إلى العلوم الفقهية - كما نرى - لأنها كانت تتحكم كثيرا فبسي  
حياة الناس الخاصة والعامة ، وفي شتى المظاهر الحضارية . لقد ورث المسلمون القرآن  
الكريم والسنة الشريفة ، ولم يكن فيهما تفصيل للشؤون الجزئية التي تطرأ على حياة  
الناس في مختلف الأزمان والأمكنة ، فكان الفقهاء هم الذين يتصدون لأعطاء آرائهم فبسي  
حلول المشاكل اليومية لجماعات المسلمين . ويبرز مثل هذا الدور للفقهاء في الأندلس ،  
ويترك تأثيرات على الحياة التعليمية ، مثلما تركها على الحياة السياسية .

ضمن هذا الإطار الذي قدمت تستهدفه الدراسة اجابة عن الاسئلة  
التالية :

- ١- ما القواعد النظرية ( الفلسفة ) التي وجهت التهيئة والتعليم في الأندلس  
المرتبطة ؟
- ٢- هل كان في الأندلس نظام للتعليم ، وما اهدافه ، وما ابرز خصائصه ؟
- ٣- ما الوسائل والاساليب التي استخدمها المجتمع الأندلسي لنشر التعليم ؟
- ٤- ما الدور الذي لعبه المعلمون في النظام التعليمي ؟ وكيف كانت احوالهم ؟
- ٥- ما الموضوعات الدراسية التي كان يتلقاها طلاب العلم في المجتمع الأندلسي ؟
- ٦- ما مدى ارتباط مواد الدراسة بحاجات المجتمع الأندلسي ؟
- ٧- ما الدور الذي قامت به السلطات السياسية في التربية والتعليم ؟

## حدود الدراسة

تتناول هذه الدراسة فترة الحكم العربي الاسلامي في الاندلس ( ١٣٨ هـ - ٨٩٨ هـ = ٧٥٦ - ١٤٩٢ م ) وهي الفترة التاريخية الممتدة من قيام دولة بني أمية في الاندلس ، وحتى سقوط ملكة غرناطة آخر معقل عربي في الاندلس ، وزوال الحكم العربي منها نهائيا .

ان الوجود العربي الاسلامي في الاندلس سبق قيام امارة قرطبة ( ١٣٨ هـ = ٧٥٦ م ) على يد عهد الحسن الداخل بأربعين سنة تقريبا ، ولكن الدارس رأى أن يبدأ من قيام الامويين ، فناعة منه ببعض الاشارات التاريخية ، وبعض الآراء التي تعرضت لبحث الحضارة الاندلسية ، حيث نمر صراحة على انصراف العرب عن العلم في فترة السوالة . فعندما سأل ( يحيى بن مغيث ، محمد بن وضاح : جمعتم حديث معاوية ؟ ) والمقصود معاوية بن صالح الحضرمي القاضي ) - وكان قاضيا لقرطبة لدى دخول عبد الرحمن الداخل اليها - فأجابه يحيى : لا ، قال : وما منعكم من ذلك ؟ قال يحيى : قدم بلد الم يكن أهله يومئذ أهل علم ( الخشني ، قضاة قرطبة ، ٢ ، ص ٣٤١ ) . كما :

\* ان ظروف الاضطراب السياسي التي عاشتها الاندلس خلال عصر الولاة وأوائل عصر الامارة ، خلقت فيها جوا لا يلائم أى تقدم في مضمار الثقافة عند عامة الناس وخاصتهم ، ولانهم اكهم أو تأثروهم بالنزعات الدموية التي سيطرت على مسرح الاحداث \* ( أحمد بدره ، دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها ، ٢ ، ص ١٧٠ ) .

وفي هذه الفترة أيضا ، انشغل الولاة عن التعمير والتنظيم ، بواجب آخر هو الاستمرار على رعاية المد الاسلامي والسير به عبر جبال البوت ( ووراءها ) مجاهدين ( الحجبي ، التاريخ الاندلسي ، ١٩٧٥ ، ص ١٣٣ ) . وفي حديثه عن عهد الولاة يخلص التواتي الى القول بأن :

" والوجود الحقيقي والذاتي للوجود العربي بالاندلس ، لم يبتدىء  
الا يوم تمكن الداخل من بناء الدولة الاموية القائمة على دعائم من  
الايمان برسالة العرب والاسلام " ( عبدالكريم التواتي ، مأساة  
انهيار الوجود العربي في الاندلس ، ؟ ، ص ١٣٥ ) .

ستشمل الدراسة البيئة الاندلسية جميعها ، وعلى امتداد زمني يبلغ اكثر من  
سبعة قرون ، مستفيدة من الدراسات التي خصصت لدراسة فترة زمنية بعينها او مدنية  
بعينها .

## الدراسات السابقة

من خلال ما وقع بين يدي الدارس من مصادر ومراجع عن الحضارة الاندلسية وعن تاريخ الاندلس ، يمكن ان تعد الدراسات التالية ما تناول جوانب من الحركة التعليمية في الاندلس .

أول هذه الدراسات ما ورد في الجزء الثالث من كتاب ظهر الاسلام لأحمد أمين بعنوان الحياة العقلية في الاندلس ، تعرض فيه الكاتب الى الحركات الدينية والفكرية والنحوية والادبية والفلسفية والتاريخية والفنية . وفي هذا الكتاب لم يتعرض المؤلف الى التعليم كنظام له مناهج واساليب وفيه معلمون وطلاب ، بل كان هدف الدراسة - كما يبدو - أن تؤرخ للحركة العلمية .

من أحدث الدراسات عن التعليم في الاندلس رسالة ماجستير منشورة بعنوان ( الحركة العلمية في مدينة بلنسية الاسلامية ) لـ ( كريم عجيل ) تقدم بها الى جامعة بغداد سنة ١٩٧٥ ، وتحدث فيها عن التعليم في الاندلس بشكل عام ليستنتج من خلالها صورة الواقع العلمي لمدينة بلنسية الاندلسية . لقد كانت الدراسة وصفا للحياة العلمية في مدينة بلنسية ، عوامل ازدهارها والاسس التي قامت عليها ، اماكن التعليم ، الطلاب ، المعلمين ، واساليب التعليم ومبادئه .

وهناك بحثان منشوران في مجلة ( آداب الرفدين ) التي تصدر عن وزارة التعليم والبحث العلمي / جامعة الموصل ( العدد العاشر ، آذار ، ١٩٧٩ ) .

البحث الاول بعنوان ( التعليم في الاندلس حتى نهاية القرن الرابع للهجرة ) لـ ( حازم عبدالله خضر ) ، والبحث الثاني ( التعليم في الاندلس في القرن الخامس للهجرة ) لـ ( منجد مصطفى بهجت ) .

كلا الباحثين رجعا لدراسة ( كريم عجيل ) السابقة ، وهما تلخيص لما ورد فيها تقريبا ، مع اضافات جديدة لا تؤثر على الصورة العامة التي قدمها كل منهما . الا ان الدراسة الثانية تورط طائفة من اشعار الاندلسيين تحت عنوان : دور الشعر في البحث على التعليم .

تناولت الدراسات السابقة - كما نلاحظ - فترة زمنية محدودة أو امتدادا مكانيا معيناً ، او موضوعاً بعينه كما فعل أحمد أمين ، ويرى الدارس أن ما يقوم به محاولة لأعطاء صورة شاملة عن التعليم تغطي امتدادا زمانيا بدأ مع قيام دولة الامويين في الاندلس ، وانتهى بسقوط غرناطة ، كما تغطي امتدادا مكانيا شمل جميع البعثات الاندلسية ، مما يبيح لهذه الدراسة ان تتابع تطور الظواهر التعليمية من خلال ارتباطها بالتغييرات والتحولات السياسية والاجتماعية ، ولذا ستفرد فصلا خاصا بدور السلطة السياسية في الحركة التعليمية ايجابا وسلبا ، كما تحاول الكشف عن العلاقة بين موضوعات الدراسة وحاجات المجتمع الاندلسي . وما ان القدرة على تلبية الاحتياجات الاجتماعية لا تنحصر بالتهيئة القائمة في المؤسسات التعليمية التقليدية ، فان هذه الدراسة ستجاوز تلك المؤسسات التقليدية لتبحث عما اصطنعه المجتمع الاندلسي من وسائل اخرى للوفاء بهذه الحاجات .

كما ستحاول التعرض لبعض الاتجاهات التربوية ، التي يمكن ان تلتقي مساعي الاتجاهات الحديثة ، ويمكن ان تكون اسسا ومنطلقات لتربية عربية متجددة .

## منهج الدراسة

يقصد بالمنهج الطريقة التي يملكها الدارس في جمع المعلومات والحقائق التي تتعلق بموضوع الدراسة ، ثم طريقته في تحليل هذه المعلومات وتلك الحقائق ، ومناقشة الآراء والأفكار التي يتعرض لها لاعادة تركيبها في صورة تحمل الإجابة عن الأسئلة التي طرحتها الدراسة .

تتجه هذه الدراسة لبلورة موضوعها الى التعرف على ما تركه المجتمع الاندلسي من عقائد وعادات ، وإلى ما تركه من نظم وتقاليد في مجال الإدارة والسياسة والفكر والأدب والفن ولتحقيق هذا الغرض ، استهدفت فئات المصادر التالية :

( أ ) القرآن الكريم والحديث الشريف : ففيهما التصور الكامل للتربية الإسلامية ، وعنهما صدرت عقائد واتجاهات التفكير العامة لدى الاندلسيين ، وتأثيرهما تشكل لديهم كثير من أنماط السلوك .

( ب ) المصادر التاريخية والجغرافية التي كتبها الاندلسيون انفسهم ، وفيها سرد للأحداث السياسية والعسكرية ، ووصف للآحوال الاجتماعية ، كما جوت وصفاً لسلوك الاندلسيين في تعاملهم الواقعي اليومي مع الأشياء والحياة .

( ج ) المصادر التي تضمنت إنتاج القرائح الاندلسية ، فكانت تعبيراً عن وجدان الاندلسي وعقله وقلبه ، في حالات مجده وانحطاطه ، واتزانه وانحرافه ، في لهوه وجدده ، في تفكيره النظري وفي ممارساته العملية ، ويبدو ذلك في دواوين الشعر وكتب الأدب .

( د ) المصادر التي تناولت بالدرس آثار الاندلسيين في مختلف أوجه نشاطهم وهي مصادر عربية ، وأجنبية وترجمة ، ودوريات .

( هـ ) المصادر التي تتحدث عن التربية ، طبيعتها ، وأهدافها ووسائلها في القديم والحديث .

مثل هذه المراجع السالفة الذكر كثيرة، وتكرر في اغلب الاحيان المعلومات نفسها<sup>٢٩٤</sup> ،  
واحيانا الآراء نفسها، لذا فإن الكتب المذكورة في قائمة المراجع هي التي اختارها  
الدارس او هي التي وقعت بين يديه .

لقد اعتبرت مهمة هذه المراجع ان تعد الدارس بالمعلومات عن ذلك العصر ،  
— موضوع الدراسة — اما ما فيها من آراء شخصية لا بد ان تخضع للمناقشة والمراجعة لنصل  
من خلالها الى ما نعتقد انه حق .

اما طريقة الدارس في التعامل مع هذه المصادر، فهي التزام بالنصوص الاندلسية  
للتعرف على واقع التعليم في الاندلس، ورصد الظواهر التعليمية ، ولأن المصادر الاندلسية  
لم تفرد بحثا مستقلا عن التعليم ، فقد كانت كتب التراجم من اهم مصادر الدراسة ، ان من  
خلال ما كتب عن علماء الاندلس وقادتها وقضاتها وحكامها . . الخ ، يمكن تكوين صورة عامة  
عن الحركة التعليمية في الاندلس .

ولتقرير اية ظاهرة او عند تبني اى رأى ، اقتضى المنهج ايراد نصوص لتراجم مختلفة ،  
توزع اصحابها على مختلف المدن الاندلسية ، وعاشوا في فترات زمنية مختلفة ، ولذا سيري  
القارى اثر هذا المنهج واضحا في كثرة المدن الاندلسية التي ذكرت ، وفي كثرة التراجم التي  
تقترب بتواريخ الميلاد او الوفاة او بكليهما ، للدلالة على العصر الذي عاش فيه صاحب  
الترجمة ، وليكون الحديث شاملا للعصور الاندلسية والبيئات الاندلسية التي تعدت لها  
الدراسة .



## الفصل الثاني

الاطار الفكري النظري للدراسة " فلسفة التربية والتعليم "

## الفصل الثاني

### الاطار الفكري النظري للدراسة

#### " فلسفة التربية والتعليم "

##### مقدمة

يحاول الدارس في هذا الفصل أن يقدم تعريفاً لـ " فلسفة التربية " من خلال وجهات نظر حديثة ، وأن يوضح العلاقة بين " فلسفة التربية " في مجتمع ما ، وبين الفلسفة العامة للحياة فيه ، ليدل من خلال ذلك أن فلسفة التربية في المجتمعات الإسلامية ، استمدت ملامحها من الفلسفية الحياتية العامة لهذه المجتمعات ، والتي تضمنها - بشكل أساسي - القرآن الكريم .

لقد رسم القرآن الكريم للمسلم ضرائق سلوكه في الدنيا ، وحدد له غاية هذه الحياة ، وما سيصير إليه بعد هذه الحياة . فالآيات القرآنية كلها توجهت إلى بيان وتحديد نوع العلاقات التي تربط الإنسان بما حوله من مظاهر الكون والحياة المشاهدة ، وما يغيب عنه من هذه المظاهر ، ولتقول لنا أخيراً : هذه صورة الإنسان الذي يربى على الإسلام من المؤمنين به أن يصلوا إليها من خلال التربية .

#### معنى فلسفة التربية

تعني فلسفة التربية مجموعة المبادئ والأفكار النظرية التي يهتدى بها المربون في صناعة أهداف التربية ، وتحديد أساليبها ووسائلها وأنشطتها وبتعبير آخر " هي خطة لتوجيه العملية التربوية " ( النجيجي ، مقدمة في فلسفة التربية ، ١٩٦٩ ، ص ٥ : ) . ويرى ( اوكونور ) أن عبارة فلسفة التربية تظهر في الكتابات الخاصة بالنظرية التربوية وتطبيقاتها ، وليست أكثر من عناوين غامضة لكلام كثير متنوع عن أهداف التدريس وأسايبه . ( اوكونور ، مقدمة في فلسفة التربية ، ١٩٦٧ ، ص ٩ : ) .

وإذا كانت التربية تعني تزويد الفرد بمجموعة من المعارف والمهارات والمعادن والاتجاهات التي تساعد على التكيف مع تغييرات البيئة المادية والاجتماعية ، فإن فلسفة التربية تقدم له المعايير التي يختار على أساسها تلك المجموعة من المعارف والمهارات والاتجاهات . وهذا تكون فلسفة التربية دليلاً نافعا لما ستقبله المجتمعات بوساطة التربية الراجياليها الناشئة من التراث الثقافي ، ولما تختاره لهم من معارف العصر . وهذا المعنى يلتقي فلسفة التربية مع الفلسفة العامة للمجتمع ، من حيث أن كلا منهما يحسب طبيعة ونوع العلاقات التي يقيمها الفرد مع غيره من أفراد المجتمع ومع الطبيعة ومع الكون والتراث . ولقد عبر ( ديوى ) عن هذا الالتقاء عندما قال بأن الفلسفة هي " النظرية العامة للتربية " ( ديوى ، الديمقراطية والتربية ، ١٩٤٦ ، ص ٣٣٦ ) .

### العلاقة بين فلسفة التربية وفلسفة الحياة فسي

#### المجتمع الأندلسي

من منطلق أن التربية تمثل الجانب التطبيقي للفلسفة العامة يمكننا أن نبحث عن فلسفة للتربية في المجتمع الأندلسي من خلال فلسفته الحياتية العامة التي حملها إليه القرآن الكريم والأثر النبوي الشريف ، وتراث الاسلام بشكل عام . ان التراث الأندلسي الذي وصلتنا صورة عنه ، لا يتحدث عن فلسفة محددة المعالم في المجالات التربوية والتعليمية ، لاعتبارات عدة : أهمها أن التربية والتعليم لم يكونا مهمة رسمية للدولة - كما ستظهر الدراسة - بل كانا مهمة كل المجتمع ، ولأن القرآن الكريم الذي كان محور التعليم كله في المجتمعات الاسلامية ، كان يهدي خطوات العلماء ، وذلك تابع من ايمانهم بأن في القرآن كل شيء " ما فرطنا في الكتاب من شيء " ( الانعام ، آية ٣٨ ) . ولذا فان القرآن الكريم والحديث الشريف هما المصدران الرئيسيان للذان سنبحث فيهما عن التصور الاسلامي للتربية ( فلسفة التربية ) . فالمجتمع الأندلسي امتداد ثقافي للمجتمع الاسلامي الذي امتد سلطانه في بقاع جغرافية شاسعة لا أطراف ، متنوعة الثقافات والجناس . ان رسم اطار واضح لفلسفة التربية في هذا المجتمع سيساعدنا كثيراً على

فهم الظواهر والاتجاهات التربوية التي سادت المجتمع الاندلسي ، فالعربي عند ما وصل الاندلس كان يحمل رسالة الاسلام ، وكان مدفوعا بروحها وعندما بدأ يبنى حضارة في الاندلس ، لم ينطلق من الفراغ ، اذ أن الافراد والجماعات عندما تفكر بحياتها ، ومقامة المؤسسات لحفظ هذه الحياة ، لا بد ان ترجع الى ثقافتها تستهدي بها فسي سلوكها العملي والنظري . والقرآن أجل مصدر في الثقافة الاسلامية العربية ، على هديه انطلق الحجاج من قرطبة الى مكة ، فكانت رحلة خير على الحركة التعليمية ، وعلى هديه استشهد الكثير من المعلمين الذين كانوا يتركون مكاتبهم ليلتحقوا بجبهات القتال ، وأعطوا أسئلة حياة لما رسة المسلم العملية لمقائده النظرية ، وعلى هديه نوقشت أمور كثيرة في التعليم ، سميت طرق اليها الدارس في مواقعها من الدراسة .

ان اعتبار القرآن الكريم والحديث الشريف منبع فلسفة التربية في المجتمع الاندلسي ، اعتبارا يردعه الواقع والتاريخ ، وغير مخالف لطبيعة الاشياء ، لكن ذلك يجب ألا يعمى بالطبع أن الممارسات السلوكية الدينية الاندلسية كانت صورة طبق الاصل عن الاطمار الفكري النظري الذي جاء به الاسلام .

### التصور الاسلامي للتربية

لقد رسم القرآن الكريم للمسلم صورة وافية شاملة ومحيطية عن هذا الكون السدي يعيش فيه ، ونظم علاقته مع من يعيش بينهم من الناس ، في المجتمعات القريبة والبعيدة ، كما نظم علاقته بخالقه سبحانه ومعالم الغيب . ولذا كان القرآن معينا لا ينضب ومصدرا اساسيا لكل باحث عن التربية الاسلامية ، اذ أن كل الراة التربوية تنطلق من ههذا المصدر المقدس لدى كافة المسلمين ، فهي إما تقيّد بما فيه ، أو تفسر لما فيه ، أو تبحث عن الاتساق مع ما فيه من كلمات العليم القدير .

عند ما يتجه الباحث الى القرآن الكريم ، يجد ربه أن يتذكر الارباط الوثيق بين التربية والفلسفة ، وأن الحديث عن تصوره للحياة من خلال القرآن هو حديث عن التربية بمعناها الواسع ، غير المحصور في الأبنية المدروسة والجامعية وفي الكتب المقررة . فسي

القرآن توجيه للسلوك الانساني وارشاد له على ضوء معايير ربانية تنشد له الخير فسي الدنيا والآخرة ، وفيه ايضا نقد وتحليل للسلوك الانساني الذي ينحرف عن الصراط المستقيم .

الانسان - موضوع التربية في الاسلام - جسد وعقل وروح - والى هذه الأبعاد في الشخصية الانسانية توجه القرآن الكريم ، لينظم علاقات الانسان بمن يحيط به ، وما يحيط به من كون مادي متعدد المظاهر ، ومتعدد الظواهر . وليس من قبيل المبالغة اذا قلنا ان الجسد وما فيه من حواس هو وسيلة الانسان للاتصال بالكون المادي والتعرف عليه ، وان العقل الانساني ينظم ما يحصل الى الدماغ بواسطة الحواس من معارف وخبرات ، ليفهم الانسان بالتالي مفزاها ، وأنّها دليل وجود الخالق وعظمته . وهذا الاعتراف بالله سبيل للانسان لتربية الروح ، فيحبه ويخشاه ويأمل فيه سبحانه ، ويطمح في ثوابه ، كما صور القرآن ذلك ، في الجنة او في النار . كل ذلك وحضور الله دائم مستمر مع النفس البشرية " ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد " (سورة ق ، الآية ١٦) ، وحتى يربي القرآن الانسان ، حدد له مجال حركته وسلوكه ، كما بين له السلوك الأفضل للوصول الى الصلاح .

### مجالات السلوك الانساني

يحدد القرآن الكريم مجالات الحركة الانسانية ، ويوجه سلوك الانسان في هذه المجالات . ففي القرآن حديث عن عالم الغيب وما فيه من كائنات ، وحديث عن وظيفة هذه الكائنات وأهداف وجودها بالنسبة للانسان . وفي القرآن حديث عن العالم المادي المحسوس ، وعن علاقة الانسان بهذا العالم ، وعن غاية وجوده . وفي كثير من آياته يتجه القرآن الكريم للحديث عن أصل الانسان وعن طبيعته الفيزيائية والنفسية ، فيرسم الله - سبحانه وتعالى - من خلال معرفته العميقة بالانسان ، اتجاهات السلوك التي ينبغي للانسان أن يسير فيها ، منفردا بعلاقته مع خالقه سبحانه ، ومجتمعاً مع غيره من بني الانسان ، ومن هنا يجد في القرآن الكريم صورة المجتمع الذي

أراد الله لهذا الانسان أن يبينه .

### عالم الغيب

الله ( سبحانه وتعالى ) :-

لقد عرف الله سبحانه وتعالى بجوانب من ذاته العلية في القرآن الكريم ، من خلال صفات وأعمال ، اختلف المسلمون في فهمها ، وكانوا على مراتب ودرجات في الفهم وانشقت بهم المسبل ، فتعددت فرقهم ، وكثر متكلموهم وفلاسفتهم . قال تعالى : " هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم " ، ( الحديد ، الآية ٣ ) . قاله سبحانه أزلي أبدى ، يعلم كل شيء ، وهو واحد لا اله غيره ، ولا ولد له " قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد " ، ( الاخلاص ) . والله سبحانه خلق الموت والحياة ، لا متحان اعمال الانسان ، بيده كل شيء " تبارك الذى بيده الملك ، وهو على كل شيء قدير . الذى خلق الموت والحياة ، ليلوكم أيكم أحسن عملا ، وهو العزيز الغفور " ، ( تبارك ، الآيتان ١ ، ٢ ) ، ولا مشيئة فوق مشيئته " وما تشاءون الا أن يشاء الله " ، ( الدهر ، الآية ٣٠ ) . وسيفي الله سبحانه يفتح للناس أسرار هذا الكون ، وأسرار ذاته حتى يقوده الى معرفة أن الله حق " سنريهم آياتنا في الآفاق ، وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " ، ( فصلت ، الآية ٥٣ ) .

## الملائكة :-

انهم من خلق الله ، لا يعصون له أمرا . أمرهم - سبحانه - أن يسجدوا لآدم فسجدوا . وهم الذين يراقبون الناس ، ويسجلون أعمالهم الصالحة والطالحة ، " وسأبلغظ من قول الا لديه رقيب عتيد " ( ق ، الآية ١٨ ) ، وهم الذين يتوفون الناس . وللملائكة ذكر كثير في القرآن الكريم ، وليس لنا أن نعرف ، ولا نستطيع أن نعرف ، الا أنهم مخلوقات لله ، لهم مهمات حدد لها سبحانه لهم ، ولا يعصون له أمرا .

## ابليس والشياطين :-

قد تختلط الصورة التي في أذهان المسلمين عن ابليس والشياطين . فابليس - كما حدثنا القرآن الكريم - عصى أمر الله ، ولم يسجد لآدم ، ويررعدم سجود ، بأنه أفضل من آدم ، لأنه خلق من نار ، وآدم خلق من طين . وابليس هو الذي ضلل آدم ، فأكل من الشجرة المحرمة ، التي نهاه الله عن الأكل منها ، فطردوا ( آدم وحواء وابليس ) من الجنة ، وأصبح بعضهم لبعض عدوا ، وأقسم ابليس " لا غوينهم أجمعين " ( ص ، الآية ٨٢ ) .

أما الشياطين ، فكائنات أخرى تقوم بمهمة ابليس ، تدفع الناس الى الفساد ، والى التنكب عن جادة الحق . والقرآن الكريم ذكر الشيطان والشياطين في مواطن عديدة . قال تعالى : " فقاتلوا أولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا " ، ( النساء ، الآية ٧٦ ) .

والشيطان قاد رعلى اغواء الناس لولا رقابة الله الدائمة لعباده ، لوقايتهم من مكاييد الشيطان :

" ولولا فضل الله عليكم ورحمته ، لا تبعتم الشيطان الا قليلا " ، ( النساء ، الآية ٨٣ ) .

ومع ذلك ففي نفس الشيطان اصرار على الكيد لعباد الله :  
" وان يدعون الا شيطانا مريدا ، لمنه الله . وقال : لا تخذن من

عبادك نصيباً مفروضاً ، ولأضلنهم ، ولأمنينهم " ، (النساء ، الآيتان ١٨ ، ١٩) .

### الجنة والنار :-

الجنة مأوى الصالحين من عباد الله ، والنار مشوى المتكبرين منهم . وردت لهما في القرآن أوصاف حسية ، ترغب المؤمنين بالجنة وترهبهم بالنار . ففي النار عذاب بقيم لا تستطيع النفس الانسانية تحمله ، وهو عذاب خالد ، كما أن الجنة نعيم خالد " فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت " غير ما رأينا من خيرها ونعيمها من خلال القرآن الكريم ، فيها متع حسية من الأكل والشرب والنساء ، والسكن والملبس والزينة ، وفيها طمأنينة نفسية " يتنازعون فيها كاساً ، لا لغو فيها ولا تأثيم " ( الطور ، آية ٢٣ ) .

### الروح :-

قال تعالى : " ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي " ،

( الاسراء ، آية ٨٥ ) .

فلا يتعب الانسان نفسه بالبحث عنها .

### الموت والقيامة والحشر :-

الموت نهاية كل حي ، هذا ما اصطلاح عليه الناس ، وفيه يتوقف الانسان عن جميع الممارسات الدنيوية التي ألغناها فيه ، ويغيب عن دنيا الناس . لكن كيف يحدث الموت ، ومتى وأين ؟ كلها مفاهيم وهي من صنع الله سبحانه ، والموت جسر لآخرة ، إذ أن الانسان سيقوم مرة أخرى من موته ويحشر ، ثم يتخذ طريقه الى الجنة او الى النار . هذه الغيبات التي تساهم ساهمة كبيرة في تشكيل نفسية المسلم وحياته ، لا تستطيع حواس الانسان ان تعرف عنها معرفة يقينية ، وليست في نطاق التجربة ولا اختبار . وفي مختلف المصور حيرت هذه الغيبات الانسان والمسلم بشكل خاص . وذهبوا فيها مذاهب شتى : كفر بعضهم بعضاً ، وحارب بعضهم بعضاً ، دافعاً عن



وجبهات نظريهم الاعتقادية فيما يتعلق بالغييب " وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو " ،  
( سورة الانعام ، الآية ٥٩ ) .

وقد نفى سبحانه وتعالى قدرة الانسان على معرفة الغيب ، ودعاه - انقاذاً له  
واسفاقاً عليه - الى الايمان بها وحسب . ورغم ذلك ما زال الناس يشيرون حولها الاسئلة  
- بل وما رت أسئلتهم طحاحة أمام تيارات الأفكار الانسانية الأخرى التي نظمت لمحايرتها  
والكفر بها .

### العالم المادى المحسوس

قال تعالى : " فلينظر الانسان الى طعامه ، انا صبينا الماء صبا ، ثم  
شققنا الأرض شققا ، فأنبثنا فيها حيا ، وعنينا وقضيا وزيتونا ونخللا ،  
وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم " ( عيس ، الآيات  
من ٢٤ - ٣٢ ) .  
" أنتم أشد خلقا أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ، فأغطش ليلها  
وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك رهاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها ،  
والجبال أرساها ، متاعا لكم ولأنعامكم " ، ( النازعات ، الآيات من  
٢٣ - ٣٢ ) .

" وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا " ، ( النبأ ، الايتان  
١٠ ، ١١ ) .  
" أفرايتم النار التي تورون ، أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون " ،  
( الواقعة ، الآيتان ٧١ ، ٧٢ ) .

" انكم لتكفرون بالذى خلق الأرض في يومين ، وتجعلون له أندادا ،  
ذلك رب العالمين ، وجعلنا فيها رواسي من فوقها ، مبارك فيها  
وقد رفينا أقياتها في اربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى السى  
السماء وهي دخان ، فقال لها وللأرض ائتيا غائمين . فقضاهن

سبع سماوات في يومين ، وأوحى في كل سماة أمرها ، وزينا السماء  
الدنيا بصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم " ، ( فصلت ،  
الآيات من ٩ - ١٢ ) .

" والله الذي جعل لكم الأنعام ، لتركبوا ومنها تأكلون " ، ( المؤمن ،  
الآية ٧٩ ) .

" لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ، ولكن أكثر الناس  
لا يعلمون " ، ( المؤمن ، الآية ٥٧ ) .

" والله خلق كل دابة من الماء ، فمنهم من يمشي على بطنه ، ومنهم  
من يمشي على رجليه ، ومنهم من يمشي على أربع ، يخلق الله ما  
يشاء ، إن الله على كل شيء قدير " ، ( النور ، الآية ٤٥ ) .

إن كل ما نراه حولنا من مناظر الطبيعة ، أو نحس به ليس إلا من مخلوقات  
الله ، خلقها لحكمة ، لمنفعة الإنسان ، لمعيشته ولسمعه ، وهي مستمرة بتدبير الله سبحانه  
إلى أجل مسمى ، حيث تنتهي حياة الإنسان على هذه الأرض " وللآخرة خير وأبقى " ،  
( الضحى ، الآية ٤ ) ، و " ما الحياة الدنيا إلا متاع الزرور " ، ( الحديد ، الآية ٢٠ ) .  
يريد الله - سبحانه - أن يقر الإنسان بضعفه أمام هذا النظام الكوني الرائع ،  
بمخاطبة عقل الإنسان من خلال أسئلة غير مباشرة :

هل يستطيع الإنسان مثلا سوق السحاب ؟ أو خلق سماة أو نجوم كنجومها ؟  
هل يستطيع أن ينبت من الأرض نباتا ؟ هل يستطيع أن يفهم سائر الشمس  
أو سائر القمر ؟

واسئلة أخرى كثيرة ، كلها تظهر عجز الإنسان أمام ما يعيش فيه من اسرار  
الكون العميقة .

صحيح أن الله - سبحانه - يتحدى الإنسان بعش هذه التساؤلات ، لكنه في  
الموقت نفسه يدعو إلى التفكير فيما حوله ، ولا يحارب أحدا يكتشف مجهولا أو يحاول  
اكتشافه . من أجل أن يحسن من ظروف الناس وأحوالهم ، وقال تعالى :

" فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب  
والترائب " ، ( الطارق ، الآيات من ٥ - ٧ ) .  
" انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون " ( الأنعام ، الآية ٦٥ ) .  
" لكل نبأ مستقر ، وسوف تعلمون ( الأنعام ، الآية ٦٧ ) .  
" يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما اثم كبير ، ومنافع للناس ،  
واثمهما أكبر من نفعهما " ، ( البقرة ، الآية : ٢١٩ ) .  
" ان في خلق السماوات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك  
التي تجري في البحر ، بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من  
ماء ، وأحيا به الأرض بعد موتها ، وثبت فيها من كل دابة ، وتصريف  
الرياح والسحاب السخري بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون " ،  
( البقرة ، الآية : ١٦٤ )  
" وألنا الحديد ، أن اعمل سابغات وقدر في السرد " ، ( سبأ ،  
الآيات ١٠ ، ١١ ) .  
وفي حديث سليمان مع الجن :  
" قال الذي عنده علم من الكتاب ، أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك  
طرفك ، فلما رآه مستقرا عنده ، قال : هذا من فضل ربي " ، ( النمل ،  
الآية ٤٠ ) .

لا أظن ان الله - سبحانه وتعالى - قصد أن يلقينا مثل هذه التعميمات التي  
تضمنتها الآيات الكريمة : ففي الميسر والخمر منافع وآثام . ابحث ايها الانسان في مضارها  
ومنافعها لتتهدى ، وفكر بخلقك وتكوينك ، وثبت بالعلم اليقيني ان أردت . ههـ  
الظواهر حولك معجزات الله هل تستطيع ان تعميها . الحديد الذي أله الله لداود -  
عليه السلام - ليصنع منه دغا ، هو آلة الحرب اليوم بكل ما تحمله الحرب من دمار . ألسم  
يكن في الآية دعوة الى التفكير بمنافعه ، وذلك الذي كان يعلم وكان أفضل الجالسين في  
مجلس سيدنا سليمان ، ان أنه أحضر عرش بلقيس في لحظة عين ، ألم يكن في ذلك دعوة

للتفكير بهذه السرعة الهائلة وأنا لم نقل دعوة ، أكان في القرآن ما ينبغي أحدا أن يفكر  
بمثل هذا ؟

مثل هذه الآيات كثيرة في القرآن ، والدعوة الى العقل والتفكير لمسها كـ  
المفكرين المسلمين ، وفتح الباب على مصراعيه للاتجاهات والنزعات الفكرية المختلفة فسي  
الاسلام .

### الانسان في القرآن الكريم

الانسان من مخلوقات الله - سبحانه - والآيات القرآنية تعرفنا أصل هذا  
الخلق ، وطبيعته وطبعه وذايته ، وترسم لنا دوافع سلوكه في الحياة ، وعلى أية صورة يريد  
الله سبحانه وتعالى ، وما نوع الحياة التي يريد الله الانسان أن يصل اليها .

#### أصل الانسان : -

قال تعالى : " هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا  
مذكورا ، انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه ، فجعلناه سميما  
بصيرا ، انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا " ، ( الدهر -  
الآيات من ( ١ - ٧ ) .

" اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك  
الأكرم " ، ( سورة العلق ، الآيات من ( ١ - ٣ ) .  
" فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب  
والترائب " ، ( الطارق ، الآيات من ١٧ - ٢٣ ) .

" خلق الانسان من صلصال كالفخار " ، ( الرحمن ، الآية ١٤ ) .  
" هو الذي خلقكم من تراب " ( المؤمن ، الآية ٦٧ ) .

" انا خلقناهم من طين لازب " ، ( الصافات ، الآية ١١ ) .  
" والذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم

جعل نسله من سلالة من ماء مهين " ، ( السجدة ، الآيتان ٧ ، ٨ ) .  
" قتل الانسان ما اكفره ، من أى شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ،  
ثم السبيل يمسره ، ثم اذا أماته فأقبره ، ثم اذا شاء أنشره ، كلا لما  
يقض ما أمره " ، ( عبس ، الآيات من ١٧ - ٢٣ ) .

تبين الآيات الكريمة أن الانسان لم يكن موجودا على الأرض في فترة من فترات  
وجودها ، ثم خلقه سبحانه من طين أو من تراب ، وسلسل منه نسله ، من سلالة من ماء  
مهين ، أو من مني يمى ، والله - سبحانه وتعالى - وهبه السمع والبصر والفؤاد ، ليرتفع  
به من مرتبة الجاهل الى الانسان الروحي ، " فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ، فقموا له  
ساجدين " ، ( ص ، الآية ٧٢ ) .

#### غاية الوجود الانساني : -

قال تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من  
وفاق ، وما أريد أن يطعمون " ، ( الذاريات ، الآيتان ٥٦ ، ٥٧ ) .  
ومن أجل أن يقوم الانسان بهذه العبادة ، ذلل الله له الأرض ، وسخر الرياح  
وخلق الشمس والقمر والنجوم ، مواقيت للناس ، يعرفون بها أوقات العبادة ، من صلاة  
وصيام وحج .  
" وسخر لكم ما في السماوات والأرض جميعا منه " ، ( الجاثية ، الآية ١٣ ) .

#### طبيعة النفس البشرية : -

قال تعالى : " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير  
المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيول المسومة والأنعام والجرث ، ذلك  
متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن العاقبة " ، ( آل عمران ، الآية ١٤ ) .  
" وانه لحب الخير لشديد " ، ( العاديات ، الآية ٨ ) .

" لا يسأم الانسان من دعاة الخير ، وان سمه الشر فيثوس قنوط " ،  
( فصلت ، الآية ٤٩ ) .

" واذا انمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه ، واذا سمه الشر فذو  
دعاة عريض " ، ( فصلت ، الآية ١٥ ) .

" واذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا اليها وتركوك قائما ، قل ما عند  
الله خبير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازيين " ( الجمعة ،  
الآية ١١ ) .

" كلا إن الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى " ، ( العلق ، الآيتان  
٦ ، ٧ ) .

" وتأكلون التراث أكلا لما ، وتحبون المال حبا جما " ، ( الفجر ،  
الآيتان ١٩ ، ٢٠ ) .

" قتل الانسان ما اكفره " ، ( عبس ، الآية ١٧ ) .  
" ان الانسان خلق هلوعا ، اذا سمه الشر جزوعا ، واذا سمه الخير  
قنوعا " ، ( المعارج ، الآيات من ١٩ - ٢١ ) .

" وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منهما رعدا ، حيثما  
شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ، فتكونا من الظالمين . فأزلهما  
الشيطان ، فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا ، بعضكم لبعض  
عدو ، ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين " ، ( البقرة ، الآيتان  
٢٥ - ٢٦ ) .

تقرر هذه الآيات الكريمة ما ركبت عليه النفس البشرية ، —————  
للشبهات : وهي النساء والبنون والأموال والأملوك ، وهي أشياء دنيوية زائلة ، وعدهم  
الله - سبحانه - بخير منها في الآخرة . ولذا كان هدف التهيئة الاسلامية في كل أزمانها ،  
تخليص الانسان من الانجراف وراء شهواته ، والاتجاه به للامثال لأوامر الخالق ونواهيه .

صورة السام كما يريد لها القرآن :-

"التقوى" مفتاح السر في الشخصية المسلمة ، والتي أراد - سبحانه - أن يحققها القرآن في الآدميين على الأرض ،  
" أن أكرمكم عند الله أتقاكم " ( الحجرات ، الآية ١٣ ) .

المسلم التقى يوم من بالله وبالملائكة والرسول والكتب ، يخشى الله في سره وفي علانيته ، فيمثل لأوامر الله ولنواهيه ، ويخاف يوما عبوسا قمطريرا ، يقف فيه أمام الله لينال جزاءه على ما قدمت يداه ، أن خيرا فخير ، وأن شرا فشر .

الآيات التي خاطبت الانسان مبثوثة في ثنايا القرآن الكريم ، توجهت الى كل جاحة فيه ، وهدت له طريق الهدى والتقوى ، في ممارساته الحياتية اليومية التي تنعكس على ذاته وعلى مجتمعه وعلى بيئته وعلى المجتمع الانساني الكبير .

الانسان المسلم قانت ، عابد لله ، يصوم ويصلي ويؤتي ، ويحج عند استطاعته ، يجاهد نفسه للتخلص من عقال الشهوات ، ومن كل المشاعر الخبيثة التي يوسوس بها الشيطان ، يمتنع عن أذى الناس بلسانه أو يده . أمين في البيع والشر ،  
" وأوفوا الكيل والميزان بالقسط " ، الانعام ، الآية ١٥٢ ) .

يوقر الكبير ويرحم الصغير . مقتصد غير مبذر ، متواضع غير متكبر ، رؤوف بالمسلمين ، شديد على أعدائهم ، متسامح يميل الى العفو عن اساءة اليه ، أمين على فرجه الا من أحل له من النساء ، يكره الفس والباطل ، يستمتع في الحياة الدنيا ضمن الحدود التي رسمها الله له .

قال تعالى : " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والعلائكة والكتاب والنبين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون " ، ( البقرة ، الآية ١٧٧ ) .

" ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحاً ، ان الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك ، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير " ، ( لقمان ، الآيات ١٨ ، ١٩ ) .

" انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد ، فلا اثم عليه ، ان الله غفور رحيم " ، ( البقرة ، الآية ١٧٣ ) .

" ان سعيكم لشتى ، فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى " ، ( الليل ، الآيات من ٤ - ١٠ ) .

والمسلم في كل ذلك لا تغيّب عنه رقابة الخالق :

" ان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون " ، ( الانظار ، الآيات من ١٠ - ١٢ ) .

ولا يخرج الانسان عن مشيئة الله :

" وما تشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين " ، ( التكويد ، الآية ٢٩ ) .

ولله مع الانسان حساب :

" أيحسب الانسان أن يترك سدى " ، ( القيامة ، الآية ٣٦ ) .

### مجتمع القرآن الكريم

تهدف أوامر ونواهي القرآن الكريم الموجهة للانسان الفرد الى تنظيم علاقاته مع المؤسسات الاجتماعية المختلفة التي يتعايش معها ، اذ ان جميع الممارسات التي ينبغي أن يقوم بها الفرد المسلم من منظور القرآن ، تؤثر على الجماعة ، فاذا صلح الفرد ، صلحت الجماعة ، واذا فسد الفرد ، فسدت الجماعة ، ولذا تناول القرآن الكريم أدق الشؤون في حياة الفرد ، وحمله وحده مسؤوليتها تجاه المجتمع الذي ينبغي ان يحافظ على أمنه واستقراره ليبقى ويستمر .



قال تعالى :

- " ولا تزر وازرة وزر أخرى " ، ( فاطر ، الآية ١٨ ) .
- " كل نفس بما كسبت رهينة " ، ( المدثر ، الآية ٣٨ ) .
- " لا تجزى نفس عن نفس شيئا " ، ( البقرة ، الآية ٤٨ ) .
- " ان كل من في السماوات والأرض ، الا آتى الرحمن عبدا ، لقد أحصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتية يوم القيامة فردا " ، ( مريم ، الآية ٩٤ ) .

ولم يكتف القرآن الكريم بذلك ، بل حدد العقوبات لكل انواع المخالفات الاجتماعية المتوقعة من الفرد ، مثل السرقة والزنا ، وشرب الخمر ، كما حدد واجبات الزوج وزوجه وحقوقهما ، وواجبات الآباء نحو والديهم ، والقرآن - كما أسلفت - ملهى بالأوامر والنواهي ، والنصائح والعظات التي تنظم أمور المجتمع ، وتحفظ تماسكه . انه مجتمع يفترض فيه أن يكون متوادا متراحما ، لا يهكم رصفوه خروج على أخلاقه ، لا سخرية ولا كذب ولا وشاية ، ولا اعتداء على الحرمات والأماكن .

وفي القرآن الكريم تنظيم للعلاقة بين المسلم وغيره من أصحاب المقائد الأخرى الذين يعيشون معه في مجتمعه أو خارج مجتمعه .

قال تعالى :

- " ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ، فيسبوا الله عدوا بغير علم ، وكذلك زيننا لكل أمة عطلها ، ثم الى ربهم مرجعهم ، فينبشهم بما كانوا يعملون " ، ( الأنعام ، الآية ١٠٨ ) .

• " ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى ، وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ، ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ، ولكن أكثرهم يجهلون " ، ( الأنعام ، الآية ١١١ ) .

وقال تعالى :

- " ولن تجد لسنة الله تبديلا " ، ( الأحزاب ، الآية ٦٢ ) .

- "وهو القاهر فوق عباده" ، ( الأنعام ، الآية ٣٨ ) .  
 • "وما تشاءون الا أن يشاء الله" ، ( الانعام ، الآية ٣٠ ) .

من قراءتنا لهذه الآيات الكريمة نستنتج أنه لا يحق للمؤمن أن يشتم الكافر، فشيمته لا تجدى ، ودعوته الى الايمان لا تجدى ، فلو أن كل المفنيات وضعت براهين بين يديه ، لن يرد ذلك الى الايمان ، الا اذا شاء ربك ، واستمرار المؤمن بحكايد تسمه موقف سلبي لا يرتضيه الله لعباده المؤمنين ، هل المطلوب من المؤمن أن يعمل للتبصر بآيات الله .

كما أنه لا خطر من العلم ، فكل العلم الذي يحققه الانسان لا يبدل سنة الله ، واذا قلنا أن سنة الله تتمثل في هذه النواميس والقوانين التي تحكم هذا الكون بمن فيه ، فان كل علم الانسان كشف لها وليس نقضا لها ، ولا داعي لتشويه أى تفكير يحاول الكشف عن هذه النواميس ، وقد خلقها الله وسخرها لخدمة الانسان . ومن هنا كانت دعوة القرآن الى العلم ، وحث الرسول الكريم عليه .  
 قال تعالى :

- " قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون " ، ( الزمر ، الآية ٩ ) .  
 • " يرفع الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات " ، ( المجادلة ، آية ١١ ) .  
 • " انما يخشى الله من عباده العلماء " ، ( فاطر ، الآية ٢٨ ) .  
 • " وقل رب زدني علما " ، ( طه ، الآية ١١٤ ) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

- " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين " ، ( صحيح البخارى ، ج ١ ، ص ٢٢ ) .

• " لا حسد الا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته  
 في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها " ، ( صحيح البخارى ، ج ١ ، ص ٢٨ ) .

" ومن سلك طريقا يلتقي فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة " ، ( النووي ، المجموع ، ج ١ ، ص ٣٣ ) .  
" من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع " ، ( النووي ، المجموع ، ج ١ ، ص ٣٢ ) .  
والأدب النبوي مليء بالحث على العلم وتوقير العلماء .

### المعرفة وطرق اكتسابها في الفلسفة الإسلامية

يعرفنا القرآن الكريم إلى العالم الفيزيقي الذي يحيط بنا ، بأنه خاضع لنواميس وقوانين من صنع الباري جل شأنه ، وكل شيء فيه بقدر ، وفي القرآن أيضا دعوة للإنسان أن يعرف هذا العالم ويتبصر في كائناته ، وظواهره المتعددة والمتغيرة . وإذا ما أردنا الحديث عن المعرفة في الإسلام ، فإن هذا الحديث سيتحدد بطبيعة الإنسان البشرية التكوينية ، وطبيعة الكون الذي يحيط به ، شاهدته وغائبه ، أو - كما يقال - بالإنسان العارف ، وموضوع معرفته .

### ما المعرفة ؟

للمعرفة تحديدات كثيرة ، لكنها تتقارب إلى درجة الترادف . فهي : " تفسر في كثير من الأحيان على أنها العمليات العقلية نفسها التي يقوم بها الإنسان في سبيل تكوين مذكراته ومفهوماته وتصوراته ومعلوماته عن الأشياء المحيطة به ، أو عن الأشياء المراد معرفتها بصورة عامة " ، ( الشيباني ، مقدمة في الفلسفة الإسلامية ، ١٩٢٥ ، ص ١٢٨ ) . ويرى التوحيدى أن : " المعرفة أخص بالمحسوسات والمعاني الجزئية ، في حين أن العلم أخص بالمقولات والمعاني الكلية " ، ( التوحيدى ، المقابسات ، ١٩٢٩ ، ص ٢٧٢ ) .

## موضوعات المعرفة

ان ما ورد ذكره في القرآن الكريم يشكل الموضوعات الرئيسية للمعرفة جميعها ،  
وأعني به ، عالم الغيب ( الله ، الملائكة ، الروح ، الجنة والنار ، ابليس ، ... السخ ) ،  
وعالم الشهادة ( وهو المظاهر الكونية المختلفة والمتنوعة ) ، والانسان وعالمه الداخلي ،  
ثم المجتمع وما يمر به من أحداث ، وكلها سبق الحديث عنها .

## أنواع المعرفة

قسم العلماء المسلمون المعرفة الى أنواع ، فابن سينا يرى أنها ثلاثة أنواع (١) :  
معرفة بالفطرة ، ومعرفة بالفكرة ، ومعرفة بالحدس .  
ويقصد بالاولى المعارف الفطرية ( البديهيات ) ، كقولنا : الكل أكبر من الجزء ،  
والواحد نصف الاثنين ... وهكذا ، والثانية تكون بادرار المجردات والكليات العامة ،  
وتحتاج الى مجهود أكبر من مجهود النوع الأول ، والنوع الثالث هو ما يعرف حدسا من  
خلال الاتصال بالعقل الفعال ، وبدون قياس او معلم ، وكأن في المعارف روحا قدسية ،  
لا يشغلها شأن عن شأن ، ولا يستغرق الحسن الظاهر حسها الباطن . والاستعداد  
للمعرفة الحدسية ليس واحدا عند جميع الناس ، ومنهم من لا حدس له البتة . ويرى ابن  
رشد أن المعرفة نوعان : معارف عامة ( البديهيات ) ، وتكون معروفة بنفسها أو ببادي  
الرأى أو بالطبع ضرورة ، والمعارف الخاصة ، يعرفها الانسان بالقياس والاستنباط .

## مصادر المعرفة

تلتقي الفلسفة الاسلامية مع الفلسفات الاخرى في تحديد بعض مصادر المعرفة ،

---

(١) لمزيد من الشرح انظر : ( عمر الشيباني ، مقدمة في الفلسفة الاسلامية ،

من ص ( ١٣ - ١٣٧ ) .

وتختلف في تحديد بعضها الآخر . ومصادر المعرفة لديها :

### الحس

هناك معرفة تأتينا عن طريق الحواس ، ووجهة النظر التي تقول بذلك تعترف بالمذهب التجريبي ، " فنحن نشكل صورتنا عن العالم من حولنا عن طريق البصر والسمع والشم واللمس والذوق ، وهذا تتكون المعرفة من أفكار تتشكل وفق وقائع تمسست ملاحظتها " ، ( نيللر ، في فلسفة التربية ، ١٩٦٧ ، ص ص ٢٤ - ٢٥ ) ، " وقد اعترف جميع فلاسفة الاسلام بالحواس كمصادر للمعرفة ، أو كمنفذ تنتقل عن طريقها انطباعات الواقع المحسوس الى الدماغ لتمييزها والحكم عليها في ضوء المعلومات السابقة للشخص ، والمحسوسات التي تتكون عن طريقها تمثل خطوة ضرورية ، وخاصة لازمة لعمليات عقلية أعلى " ، ( الشيباني ، مقدمة في الفلسفة الاسلامية ، ١٩٧٥ ، ص ١٣٧ ) .

### العقل

المقلون " يمتدحون بما تقدمه الحواس للمعرفة في شكل حقائق مجردة ، وفي شكل انطباعات منفصلة ، ولكنهم يعتقدون أن الفكر يقوم بتفسير وتنظيم هذه القطع الضئيلة من المعلومات فيما يمكن أن نطلق عليه اسم المعرفة الثابتة ذات القيمة " ، ( نيللر ، في فلسفة التربية ، ١٩٦٧ ، ص ٢٣ ) .

ويعتبر الفزالي أن العقل ميزان الله في أرضه ، وهو يقضي على أغاليط الحس ، وهي كثيرة ، كما أنه يعوض قصور ادراك الحس ، كما أنه يتجاوز الحجب في الوصول الى

الحقائق ، فيعرف بواطن الأشياء وأسرارها ، ( الشيباني ، مقدمة في الفلسفة الإسلامية ، ١٩٧٥ ، ص ١٤٣ ) .

### الحدس

ويرتبط ارتباطا وثيقا بالشعور الوجداني ، ويتباين عن العمليات المنطقية التي ترتبط عادة بالتفكير في المستوى الشعوري . ( نيللر ، في فلسفة التربية ، ١٩٦٧ ، ص ٢١ ) . ويعني الحدس أيضا ، الانتقال من القوة إلى الفعل على شكل وثبة عقلية سريعة ، ومن غير حاجة إلى كبير عناء . . . . . والادراك السريع أو المفاجيء للموقف أو الحقيقة . . . . . بدون واسطة وبدون أن يدرك الإنسان من أين حصل ، ( الشيباني ، مقدمة في الفلسفة الإسلامية ، ١٩٧٥ ، ص ١٤٨ ) .

وقد سبقت إشارة ابن سينا إلى أن الاستعداد للمعرفة الحدسية ليس واحدا عند جميع الناس ، وقد لا يكون موجودا عند الكثيرين .

### الوحي

وهو المصدر الذي يستمد المسلم منه " معارفه ومداركه وعلى الأخص فسي الأمور الفبيية المتعلقة بالالهيات ، وجميع العقائد الدينية ، مسائل الحلال والحرام والأحكام الشرعية ، والأموال الخلقية " ، ( الشيباني ، مقدمة في الفلسفة الإسلامية ، ١٩٧٥ ، ص ١٤٨ ) . وينزل الله سبحانه وتعالى وحيه على رسله ليهدوا ، وليهدوا به أممهم .

## نظام التعليم في المجتمع الاندلسي

ينبثق النظام التعليمي عادة لمجتمع ما من الفلسفة التربوية التي يؤمن بها ، فهل كان في الاندلس نظام للتعليم ؟

النظام التربوي بلغة عصرنا الحاضر ،

"اختراع ، كغيره من الاختراعات البشرية ، القصد منه ضبط شئون

التعليم " ، (بشور ، التربية الجديدة ، العدد ١٧ ، ١٩٧٩ ، ص ص

(٤ - ٦٢) .

مثل هذا الاختراع لا نجد في المراجع التي تحدثت عن حضارة الأندلس . ان لم يكن للتعليم مؤسسة رسمية - كما في العصر الحاضر - تشرف عليه وتدير شؤونه ، بل كان نتيجة جهد الأفراد الذين يعنيهم أمر التعليم . ومع ذلك فأننا لا نستطيع أن نقسول : ان الاندلس كانت خالية من نظام للتعليم . فالأندلسي المسلم كان يحمل في صدره أو في حقيقته أو في بيته مصدر فلسفته التربوية ، وأعني به القرآن الكريم الذي كان محور جميع الدراسات في ذلك العصر ، والحديث الشريف الذي بذلت جهود موصولة وجادة لحفظه وروايته وتحقيقه ، وقد استطاع هذان المصدران تكوين قيم وعادات وتقاليد لدى المسلم ، ميزته وتميزه عن غيره من الناس . ففي زهابه الى الكتاب امتثال لأوامر القرآن والحديث ، وإذا اختار المعلم الفلاني أو تركه ، فلأنه يلائم أو يخالف الاخلاق الاسلامية ، وعندما يقبل على دراسة مادة معينة ، فهو يستشير ايضا ذلك الموروث الثقافي من القيم والعادات ، وأمور أكبر من هذه وأصغر ، كلها يسير فيها على هدى فلسفته الحياتية . وان لم تسدون لها فلسفة تربوية من خلال مجموعة من القوانين والانظمة والتعليمات واللوائح المكتوبة . لقد ظلت مجموعة من الاعراف والتقاليد غير المكتوبة ، ولكنها معروفة جيدا لديهم ، لانها غدت مراسم سلوكية يومية ومتوارثة ينقلها الخلف عن السلف ، حتى اصبحت ركنا اساسيا من ثقافتهم ، ومن أبرز خدمات الثقافة ، " انها تقدم له " للانسان " نظاما من السلوك

المعين والاتجاهات يستخدمه في علاقاته مع أخيه الانسان ، ومع حاجاته ، ومع نفسه ،  
( أبو هلال ، الانثروبولوجيا التربوية ، ١٩٧٤ ، ص ١٧٢ ) .

والتطبيقات التربوية التي نتجت عن مجموعة الاعراف والتقاليد في المجتمع  
الاندلسي ، هي التي ستكون مدار فصول الدراسة القادمة .

### الخلاصة

حاول الدارس في هذا الفصل ان يوضح ملامح فلسفة تربوية استند اليها  
الاندلسيون في ممارساتهم التربوية . ورأى أولاً أن يقدم تعريفات لفلسفة التربية من خلال  
آراء حديثة ، ويوضح العلاقة بين فلسفة التربية في المجتمع ، وبين فلسفة الحياة العامة فيه .  
لقد كان من الطبيعي ان تنبثق فلسفة التربية في المجتمعات الاسلامية من القرآن الكريم ومن  
الحديث الشريف ، ومن النتاجات الفكرية التي قامت في ظلالهما . من أجل ذلك رأى  
الدارس أن يبرز صورة الانسان والمجتمع كما يريد ها القرآن ، ثم نوعية العلاقة التي يهدف  
القرآن الكريم أن يقيمها بين الانسان وبين الظواهر الكونية المختلفة ، المشاهدة الغيبية ،  
من خلال وسائل المعرفة التي هيأها له وفيه .  
وأخيراً ، تطرق الحديث الى التساؤل عن نظام للتعليم في الاندلس ، فوجد أنه  
كان مجموعة من الاعراف والتقاليد التي فاقت قوتها قوة الأنظمة والتعليمات المكتوبة ، التي  
افتقد ها الاندلسي ، لافتقاده لسلطة أو مؤسسة رسمية كانت مسؤولة عن التعليم فسي  
الاندلس .



## الفصل الثالث

الاطار المادي للتربية والتعليم في الأردن

### الفصل الثالث

#### الاطار المادى للتربية والتعليم في الاندلس

##### مقدمة

تناول الفصل الاول الاطار الفكرى النظرى للتربية والتعليم في الاندلس، ويتضمن هذا الاطار في العادة، المعايير التي يختار على أساسها محتوى المناهج والكتب الدراسية. أما الاطار المادى - موضوع هذا الفصل - فيقصد به التدابير التي يقوم بها مجتمع ما لمساعد أفراد على التعلم. فالتعلم لا بد له من مكان يتعلم فيه ومكتبة وكتاب، ولا بد له من مصدر اتفاق يستعين به على شؤونه التعليمية، وجميعها عوامل لا يتم التعليم بدونها. لذا اجتهد الاندلسيون - حكاما ومحكومين - لتهيئة أفضل الظروف لطالب العلم، يحركهم الى ذلك ويدفعهم اليه الافكار التي زودتهم بها فلسفة التربية التي آمنوا بها، فالاطار النظرى هو الدليل الذى يهتدى به المجتمع عندما يفكر بكل شؤون التربية والتعليم.

بناءً على ما تقدم، سيتحدث هذا الفصل عن حال الاندلس قبل دخول المسلمين اليها، وما كانت عليه من العلم، وعن الفرص التعليمية التي أتاحت للاندلسيين على ضوء ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية. ويتناول الحديث أيضا لغة التعلم ومصادر الانفاق على التعليم، وجهود الاندلسيين في الحصول على الكتب الدراسية والعناية بها، ثم جانباً من رحلة الاندلسيين في سبيل العلم، ومصادر الانفاق.

##### حال الاندلس قبل دخول العرب اليها

يسجل الدارسون الذين تعرضوا للحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، أن العرب أقاموا في الاندلس على غير مثال سابق. فلقد "كانت الاندلس قبل ذلك فـ..."

الزمان القديم خالية من العلم ، لم يشتهر عند أهلها أحد بالاعتناء به ، إلا أنه يوجد فيه طلسمات قديمة في مواضع مختلفة ، وقع الاجماع على أنها من عمل ملوك رومية ، إذ كانت الاندلس منتظمة بمملكتهم ، ولم تنزل على ذلك عاطلة من الحكمة ، إلى أن افتتحها المسلمون في شهر رمضان سنة ٩٢ هـ ( صاعد التغلبي ، طبقات الام ، ١٩٦٢ ، ص ٨١-٨٢ ) .

هذا ما قاله صاعد التغلبي الذي عاش أيام ازدهار الحضارة العربية الأندلسية ( والمتوفى ٤٦٢ هـ ) . وأيد هذا القول من كتبوا بعد صاعد بقرون عديدة ، وفي رأيهم أن العرب في الاندلس لم يجدوا من الفكر والثقافة ، كما وجدوا في البلدان الأخرى التي فتحوها ، مثل مصر وسوريا والعراق وفارس ، تلك البلدان التي مثلت شعوبها دورا كبيرا في مزج الحضارات الهلينية والبيزنطية والفارسية والهندية بالحضارة العربية \* ( هونكه ، شعوب العرب ، ٢ ، ص ٤٢٤ ) . ويعترف الدوميلي مستغريا كيف أن الاندلس فقدت حتى ذكرى الكتب العلمية التي صنعت في اسبانيا قبل الغزو ( ١ ) العربي . فقد انسا كاملا ، بل كذلك كتب ايزودورا الاشبيلي ( ٢ ) التي كانت جسد مشهورة عند المسيحيين في العصور الوسطى ، ويدو أنها بقيت مجهولة تماما بين العرب \* ( الدوميلي ، العلم عند العرب ، ١٩٦٢ ، ص ٣٤٣ ) .

### بوادر ظهور الحركة التعليمية في الاندلس

لا نستطيع تصور توقف دورة الحياة التعليمية في المجتمع الاسلامي ، ابان القسرن الثاني الهجري ، الذي بدأ فيه استقرار العرب في الاندلس ، فلقد كان المسلم يحصل قرآنه وثقافته معه أينما توجه ، يقرأه ويقرئه ، ويقوم بنشر رسالته . ذلك ما يسهل افتراض نمط ما من الممارسات التربوية والتعليمية ، حتى ولو لم يقد دليل تاريخي على ذلك . ففي المساجد ، وعلى جبهات القتال ، في التعامل اليومي وفي الاسرة يقوم الدعاة والواعظون والمحدثون والآباء برسالتهم التربوية .

( ١ ) استعمل الكاتب كلمة " الغزو " .

( ٢ ) ايزودورا الاشبيلي : حاشي ( ٥٢٠ - ٦٣٦ م ) .

يقول صاعد التغلبي ( توفي ٤٦٢ هـ ) تعقياً على حديثه عن خلوات الأندلس من العلوم " فتعادت على ذلك أيضا ، لا يعنى أهلها بشي\* من العلوم ، الا بعلوم الشريعة وعلوم اللغة ، الى أن توطد الملك لبني أمية " ، ( صاعد ، طبقات الأمم ، ١٩٦٢ ، ص ٨٢ ، و " لما كان في وسط المائة الثالثة في تاريخ الهجرة ، وذلك في أيام الأمير الخامس من ملوك بني أمية ، وهو محمد بن عبدالرحمن (١) : بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل الأندلسي تحرك افراد من الناس الى طلب العلوم . ولم يزالوا يظهرهم ظهورا غير شائع الى قرب وسط المائة الرابعة " ، ( صاعد ، طبقات الأمم ، ١٩٦٢ ، ص ٨٤ ) .

نستنتج من قول صاعد أن الأندلسيين بدأوا الحركة التعليمية في عصر الامارة ، لكن العناية كانت منصرفة الى العلوم الدينية واللغوية وما يتفرع عنها ، وهناك علوم أخرى يعنىها صاعد هي التي ظهر الطلب عليها متأخرا . ويرى معاصرون ما يراه صاعد بأن " عصر خلافة قرطبة في القرن الرابع الهجري = العاشر الميلادي ، هو قمة هذه الحضارة التي اسهمت في تطور الانسان ، وعلى قواعد منها قامت حضارة العالم اليوم " ، ( الحجبي أندلسيات ، ١٩٦٩ ، ص ٥٧ ) . و " في القرنين الرابع والخامس زخرت الأندلس بنهضة علمية نافست فيها الشرق منافسة قوية في العلوم والآداب ، وبدأت الشخصية الأندلسية ، تبرز وتتجلى ، وتتحدى الاعلام ، وتكاد تزحمهم في ميادين العلوم والآداب " ، ( علي عبدالعظيم ، ابن زيدون ، ١٩٦٢ ، ص ٤٥ ) .

هذا النشاط الذي شهدته الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين كان ثمرة حركة تعليمية ناشطة في القرون التي سبقت ، والتي سترد تفصيلات عنها في الفصول القادمة من الدراسة .

(١) حكم من ١٧٢ - ١٨٠ هـ = ٨٥٢ - ٨٦٦ م .

## الفرص التعليمية التي أتاحت لأبناء المجتمع الأندلسي

لا شك أن الحضارة الأندلسية الراقية التي تحدثت عنها المؤلفات، كانت نتيجة وجود دوافع عميقة لدى الأندلسيين للتعليم . والطبع تنوعت تلك الدوافع ، فكان منها الديني ومنها الدنيوي ، ولذا "كنت ترى حب الثقافة عاما في جميع الطبقات" ، (سيديو ، تاريخ العرب ، ١٩٤٨ ، ص ٣١٣) . وانطلاقا من تعاليم الاسلام وتحقيقا لها "لم يكن هناك طفل أو طفلة في اسبانيا الاسلامية بلغ الثانية عشرة ، لم يتعلم بعد القراءة والكتابة" (جلال مظهر ، حضارة الاسلام ، ١ ، ص ٤٩٤) ، وكان المسلمون في اسبانيا "إذا فتحوا بلدا أو مدينة يبدأون بإنشاء مسجد ومدبرة ، وكأنهم يقصدون بذلك أن ينشروا الدين والعلم معا ، لازم لتهديب الأمم ، وأن تهذيب النفوس بالدين ، كتهذيب العقول بالعلوم" ، (احمد ضيف ، بلاغة العرب في الأندلس ، ١٩٢٤ ، ص ١١) . ولذا "كنت ترى في القسري الصغيرة كما في المدن الكبيرة ما يشبه المدارس الابتدائية اليوم" ، (الركابي ، الأدب الأندلسي ، ١٩٦٠ ، ص ٦٨) .

لقد شعر العلماء الأندلسيون أنفسهم باقبال مواطنيهم على التعليم ، فما يكاد عالم يحل بأرض ، حتى يتسابق اليه طلاب العلم ، وما أن يظهر كتاب أو يصل من المشرق حتى تتلقفه الأيدي بالنسخ والقراءة ، فما يروى عن الفقيه أبي مروان عبد الملك الطنبسي (٣٩٦ - ٤٥٦ هـ) أنه "لما رجع إلى قرطبة جلس ليرى ما احتقبه من العلم ، اجتمع اليه في المجلس خلق عظيم ، فلما رأى تلك الكثرة ، وما له عندهم من الاثرة قال :

اني اذا حضرتني ألف محبرة      يكتبن حدثنني طورا وأخبرنني  
نادت بحقوقتي الأقلام معلنة      هذي المفاخر لا قعبان من لبن

(ابن خاقان ، مطمح الأنص ، قسم ٢ ، ص ٥٠) .

مثل هذا الاقبال على التعليم سجله الشعر بطرق ومعاني مختلفة ، فلقد روى الحميدى (صاحب جذوة المقتبس) أن عبد الملك بن ادريس الجزيري قال من قصيدة :

يا فتى من أشراف بني عبد الملك      ما أرى فيك من العلم ما أرى في غيره

واعلم بأن العلم أرفى رتبة  
فأسلك سبيل المقتنين له تسدد  
وأجل مكتسب وأسنى مفخر  
ان السيادة تقتنى بالدفتر  
الى أن يقول :

تسوالى ذى العلم أبصار الورى  
ومضمر الأعلام يبلغ أهلهم  
وتغض عن ذى الجهل لابل تزدري  
ما ليس يبلغ بالعناق الضمير

( ابن الأثير ، اعيان السالكين ، ج ٢ ، ١٩٦١ ، ص ٣٢٣ ) .

ما سبق من حديث ينبغي ألا يصرفنا عن محاولة التعرف الى الواقع الحقيقي في الحياة الأندلسية ، فنطرح السؤال بصورة أخرى ، هل كانت الفرص متاحة لجميع الأندلسيين للذهاب الى أماكن التعليم والدرس ؟ بمعنى آخر ، هل تساوى أبناء جميع الطبقات في الحصول على مثل هذه الفرصة ؟ وهل تساوى في ذلك أهل المدن الكبيرة مع أهل الأرياف الصغيرة ؟

الانطباعات التي خرج بها الدارسون استنتاجات تحمل جانباً من الحقيقة ، ولكنها لم تتعرض لجوانب أخرى . فصاعد التعلبي في حديثه المتقدم كان أكثر واقعية عندما قال بتحريك أفراد من الناس الى طلب العلوم . وقال بتقدم ظهورهم غير الشائعي ، والمقرى أيضاً يكشف جانباً آخر : " وأما حال الأندلس في فنون العلوم فتحقيق الانصاف في شأنهم في هذا الباب ، انهم أحرض الناس على التميز . فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد ان يتميز بصنعة ، ويرى بنفسه أن يرى فارغا ، عالة على الناس ، ( المقرى ، نفح الطيب ، تحقيق الرفاعي " ، ج ٢ ، ١ ، ص ١٠٦ ) .

حقا ان العلماء لم يكونوا يخلون بعلمهم ، وأن الساجد لم تغلق في وجهه أحد ، ولكن ، هل كانت ظروف الناس جميعا تسمح لهم بارتداد مجالس العلم ؟

ان ما عرف عن التكوين الطبقي في الأندلس ، في مختلف مراحل عصورها ، وعلى اختلاف حكماها ، تسمح باستنتاج أن الظروف لم تكن متساوية . فالوزراء مثلا " وصل رزق

الواحد منهم الى ثلاثمائة وخمسين دينارا شهريا " ، ( احمد بدر ، دراسات في تاريخ  
الاندلس وحضارتها ، ٢ ، ص ١٦٤ ) . وابن شهيد وزير الناصر " أضعف له رزق الوزارة ،  
ويلفه ثمانين ألف دينار أندلسية ، وبلغ معدونه الى ألف دينار " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ،  
ج ٣ ، " تحقيق الرفاعي " ، ٢ ، ص ١٥٥ ) . وعلى الجانب الآخر في الطبقة العاملة  
" كان من الرجال من له درهم ونصف ومن له الدرهمان والثلاثة " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ،  
ج ٤ ، " تحقيق الرفاعي " ، ٢ ، ص ص ٢٧٨ - ٢٧٩ ) ، لقاء ما يعمل في عمارة  
الزهراء - قصر الخليفة الناصر - في اليوم الواحد . وفي حديثه عن الزهراء يقول ابن  
عذارى " وعد الفتيان الصقالبة ( ٣٧٥٠ ) ( ١ ) ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون ، وعدة  
النساء بقصر الزهراء الكبار والصفار وخدم الخدمة ستة آلاف وثلاثمائة امرأة ، وكان لهن  
من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل . . . سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الخيتان " ( ابن  
عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ٢ ، ص ٣٢٣ ) . وفي " أبال حصن  
بالاندلس في شمال قرطبة وعلى مرحلة منها ، وهو الحصن الذي فيه معدن الزئبق ، وفيه  
يعمل الزنجفور ، ومنه يتجهز بالزئبق الزنجفور الى جميع أقطار الأرض ، يخدم هذا ،  
المعدن أزيد من ألف رجل ، يقوم للنزول وقطع الحجر ، وقوم لنقل الحطب لحرق المعدن ،  
وقوم لعمل أواني السبك والتصفية ، وقوم لبنان الأفران والحرق " ، ( الحميري ، الروض  
المعطار ، ١٩٧٥ ، ص ٦ ) . وفي حديثه عن مدينة جيان ، يقول الحميري : " وهي كثيرة ،  
الخصيب ، رخيصة الاسعار ، كثيرة اللحوم والمسل ، ولها زائد على ثلاثة آلاف قرية ، كلها  
يرس فيها دود الحرير " ، ( الحميري ، الروض المعطار ، ١٩٧٥ ، ص ١٨٣ ) . وجيان  
هذه احدى المدن الأندلسية التي يقول عنها سيد يوبأنها " ست مدن عظيمة ثمانون  
مدينة ثانوية ، وثلاثمائة مدينة من الدرجة الثالثة ، وما لا يحصى من الضياع والقصور  
والكنور " ، ( سيديو ، تاريخ العالم ، ١٩٤٨ ، ص ٣١٦ ) .

( ١ ) رواية المقرئ ( ١٣٧٥٠ ) .

يتضح من النصوص المتقدمة سعة قطاع الحرفيين والعمال الصناعيين والزراعيين ، الذين انتشروا في تلك الأرياف ، وفي المصانع ، يقضون سحابة نهارهم بالعمل ، يهيئون للطبقات الاستقرائية حياتها الرخية الهنية ، فيلبسون من أنوالهم الحرير ، ويأكلون من صيدهم الطيور والحيتان ، وهم لا يجدون الا الفراغ القليل والمال القليل الذي يحول دون الاستفادة الكاملة من الفرص التعليمية المتاحة ، نظرا لبعدهم عن مراكز الثقافة من جهة ، ونظرا للجهود الزائدة المرهقة التي يتحملونها من جهة أخرى . ولعل ذلك يفسر ضالة دور هذه الطبقات في الحياة الثقافية كما كان شأنها في الحياة السياسية ، ( صلاح خالص ، اشبيلية في القرن الخامس الهجري ، ١٩٦٥ ، ص ٤٩ ) . والاسماء التي لمعت سواء في مجال السياسة أو في مجال الفكر ، كانت في الغالب ريفية جاء وثرؤه ، أمثال ابن حزم وابن رشد وعائلة بني زهر الاطباء ، ونسبي عباد حكام اشبيلية ، على أن هذا لا ينفي بروز نفر من الطبقات الفقيرة ووصولهم الى مراكز الصدارة السياسية او الادبية ، أمثال المنصور وابن عمار شاعر المعتمد ، وحتى مع أمثالهما كان للبلاط السياسي الحاكم ، دور أساسي في دفعهم الى تلك المراكز .

### تمويل التعليم

كان للدولة العربية الاسلامية في الأندلس مؤسساتها الاجتماعية المختلفة المكلفة بتدبير شؤون المجتمع : منها مؤسسة القضاء ، والشرطة ، والجيش ، وغير ذلك من المؤسسات ، التي وأوا في وجودها ضرورة لحماية أمن المجتمع واستقراره في الداخل والخارج . ورغم أن هذه المؤسسات كانت تقوم بدورها التربوي ، الا أن الحكام فسي الأندلس وعلى توالي العصور لم يشعروا على ما يبدو بحاجة البلاد الى مؤسسة رسمية للتربية ، ولم يصبح التعليم رسميا ، بل ظل حقا للجميع ، وواجبا على الجميع . ومن النصوص القليلة المتوفرة عن التعليم في الأندلس نستطيع أن نعطي صورة عن مصادر الانفاق على التعليم .



### التمويل الرسمي

ما يروى عن عبدالرحمن الناصر ( ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ ) أنه " قسم الجباية على ثلاثة أثلاث ، ثلث للجند ، وثلث للبناء ، وثلث مدخر " ، ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٣١ ) . ولكن ابن سعيد يقول : " قسم للجند والحروب ، وقسم للبنيان ، وقسم ينفق في غير هذين الصالحين ، ويخزن باقية ذخيرة " ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ص ١٩٥٣ ، ١٧٨ ) . وعهد الناصر يمثل العصر الذهبي للحضارة الأندلسية ، ومع ذلك لا ينقل عنه - كما تشير مثل هذه النصوص - أنه خصص قسماً ما للتعليم ، سواءً لأمكنة التعليم أو للمعلمين أو للطلاب . لكن المساهمة الرسمية للحركة التعليمية لا يمكن نفيها ، إذ أن الحكومة عيّنت ببناء المساجد لعامة المسلمين ، وبالصرف عليها والتكفل بنفقاتها ، من أجل أن يمارس فيها المسلم عبادته ، وبطريقة غير مباشرة كان ذلك اسهماً من الدولة في تهيئة قسم من أماكن التعليم . ثم نقرأ أن الحكم المستنصر ( ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ ) " اتخذ المؤدبين ليعلموا أولاد الضعفاء والمساكين القرآن ، وأنشأ لذلك حول المسجد الجامع وفي أرباض قرطبة سبعة وعشرين مكتبا ، وأجرى عليهم المرتبات ، وعهد اليهم بالاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله العظيم " ، ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ ) . ويقول الشقندي في رسالته حين تعرض لمحاسن أشبيلية : " وأما علماءها في كل صنّف رفيع أو ضيق ، جدا أو هزلا ، فأكثر من أن يعدوا ، وأشهر من أن يذكرها ، وأما ما فيها من الشعراء والوشاحين والزجالين ما لو قسموا على براعة الدعوة ، ضاق بهم ، والكل ينالون خيبر رؤسائها ورفدهم " ، ( ابن حزم ، فضائل الأندلس ، تحقيق صلاح المنجد ، ١٩٦٨ ، ص ٥٢ ) .

إن السلطات الرسمية كانت تساهم أحيانا وفي ظروف معينة ، بتقديم المكافآت والرواتب الجارية للعلماء ، وكان ذلك تفضلا منهم ومباهاة بالكرم في بعض الأحيان . كما أن هذه المساهمة لم تكن سياسة مقررة ، ولم تكن شاملة ، فالحكم المستنصر بنى المكاتب في قرطبة ، ولم يذكر أن صنّفه عم المدن الأندلسية الأخرى ، وقول الشقندي السالف الذكر ، عن

نوال كل العلماء لعطاء الرؤساء ، يقبل بتحفظ ، لأنه قاله في معرض التفاخر بأهل الأندلس ، والرد على من اتهمهم بالتقصير في تدوين محاسنهم .

### التمويل الشعبي

يروى عن فرج بن ابى الحكم بن عبد الرحمن اليحصبي من أهل طليطلة أنه " فات أهل زمانه في العلم والعقل والفضل . . . وتوفي سنة ٤٤٨ هـ ، وحين داره على طلبه السنة " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٤٣٦ ) . وعن لسان الدين بن الخطيب في ترجمة لأحمد بن ابراهيم ابن الزبير الثقفي قوله : " خرج به أبوه عند تغلب العدو وعليها ( الأندلس ) عام ثلاثة وأربعين وستمائة ، ولأبيه ان ذاك اشراء وجودة أعانته على طلب العلم ، وارقاد من أحوجته الأزمة في ذلك الزمان من جالية العلماء عمن قرطبة واشبيلية " ، ( ابن الخطيب ، الاحاطة ، مجلد ١ ، ص ص ١٩٥ - ١٩٦ ) .

ان الباحث في تاريخ الأندلس لا يجد من النصوص ما يكفي للجزم بحقيقة الأوضاع التمويلية للتعليم . والنصوص على قلتها ( ١ ) تنبئ عن بعض اتجاهات الأندلسيين نحو طلبه العلم ، فلقد كان هناك أوقاف ، كما كان هناك من يقدم مساعدات عينية لطلاب العلم . ومثل هذه الاتجاهات ، لا تغير الصورة عن أن التعليم ظل واجب المجتمع ، ففرج ابن ابى الحكم - سابق الذكر - وقف داره على طلاب السنة ، فقط ، والثقفي يتبرع في ظروف خاصة ، وفي مناسبة معينها لطلبة العلم .

### لغة التعليم

قد بيد وغريبا أمراثة السؤال عن لغة التعليم في مجتمع مسلم ، كتابه القرآن

---

( ١ ) سيرد تفصيل أكثر للانفاق على التعليم في فصل " المعلمين " .

الكرهيم " انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " ، ( الزخرف ، آية ٣ ) ، وكذلك أنزلناه حكما عربيا " ، ( الرعد ، آية ٣٧ ) ، وفي مجتمع قيادته السياسية من العرب في أغلب الأحيان ، لكن هذا المجتمع كان خليطا من العرب والبربر ، وأهل البلاد الأصليين من النصارى واليهود (١) ، وكان لكل لغة وأماكن عبادته وكتبه المقدسة . ولم تذكر طائفة غير مسلمة على استخدام اللغة العربية ، فهل كان الشأن نفسه في معاهد العلم .

في القرن الثاني الهجري ، وبعد حوالي خمسة وثلاثين عاما من قيام دولة بني أمية أدرك الأمير هشام الأول بن عبدالرحمن الداخل ( حكم من ١٧٢ - ١٨٠ هـ ) ، خطورة توحيد لغة العلم والثقافة في البلاد ، فـ " جعل اللغة العربية لغة التدريس في معاهد النصارى واليهود " ، ( عنان ، دولة الاسلام في الأندلس ، ج ١ ، ١٩٤٣ ، ص ٢٢٤ ) . ويقول بالنشأ : " أصبح من الواضح نتيجة للأبحاث التي قام بها الاستاذ خوليان « ريميرا » ، أن أهل الأندلس الاسلامي كانوا يستعملون العربية الفصيحة كلغة رسمية يتعلمها الناس في المدارس ، ويكتبون بها الوثائق ، وما إليها " ، ( بالنشأ ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ١٤٢ ) ، ويشير إلى أبحاث ريميرا عدنان طعمة في كتابه موشحات ابن بقي الطليطلي ، ( طعمة ، موشحات ابن بقي ، ١٩٧٩ ، ص ٥٥ ) ، كما يعتمد هذا الرأي ألبير مطلق في دراسته ، ( مطلق ، الحركة اللغوية في الأندلس ، ١٩٦٧ ، ص ٣٢ ) ، ويتبناه الدوميلي في قوله : " كانت اللغة العربية في الأندلس هي اللغة المستعملة وحدها فيما يظهر من كتب في الدولة الاسلامية التي قامت في شبه الجزيرة " ، ( الدوميلي ، العلم عند العرب ، ١٩٦٢ ، ص ٣٤٣ ) ، ومحمد غلاب . . فقد صارت اللغة العربية لغة التخاطب والتدريس والتأليف للمسلمين والمسيحيين واليهود جميعا " ، ( غلاب ، الفلسفة الاسلامية في المغرب ، ؟ ، ص ١٩ ) .

رغم الإشارة إلى أن الأمير هشام الأول اتخذ قرارا سياسيا باتخاذ العربية لغة

التعليم ، لكن قبولها لم يكن قسريا ، بل تدل تعليقات الاسبان المعاصرين وغيرهم من الباحثين على أن الاندلسيين من غير المسلمين ، كانوا يقبلون على تعلم العربية بشغف ولذة ، حتى ان عبارات القارو ( ألبرو ) القرطبي غدت معروفة لدى أكثر الذين كتبوا في حضارة الأندلس ؛ فهو ينعى على المسيحيين استخدام اللغة العربية ، ويتحسر على اند حارلغة الانجيل واللاتينية : " ان اخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين ، لا ليردوا عليها وينقضوها ، وانما لكي يكتسبوا من ذلك اسلما عربيا جميلا صحيحا ، وأين تجد الآن واحدا من غير رجال الدين يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت على الاناجيل المقدسة " ، ( بالنشيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ٤٨٥ ) ، ( بروفنسال ، حضارة العرب ، ص ٢٠ ) ، ( جرروننيام ، حضارة الاسلام ، ٢ ، ص ٨١ - ٨٢ ) ، ثم يقول : " يالللأم لقد أنسى النصارى حتى لغتهم ، فلا تكاد تجد منهم بين الألف واحدا يستطيع أن يكتب الى صاحب له كتابا سليما من الخطأ ، فأما عن الكتابة في لغة العرب ، فانك واجد منهم عددا عظيما ، يجيدونها في اسلوب منق " ، ( بالنشيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ٤٨٦ ) .

لم تكن الرغبة وحدها - على ما يبدو - دافع هذه الطوائف لتعلم العربية ، بل كانت تتضاف اليها الحاجة الاجتماعية أحيانا ، فابن نفراله اليهودي (١) " شغف باللسان العربي ، ونظر فيه وقرأ كتبه ، وطالع أصوله ، فانطلقت يده ولسانه ، وصار يكتسب عنه وعن صاحبه ( يعني الأمير ) فيما احتاج اليه من فصول التحميد لله تعالى والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتزكية لدين الاسلام ، وذكر فضائله " ، ( ابن الخطيب ، الاحاطة ، مجلد ٤١٩٢٢٥٤ ص ٤٤٦ ) .

لقد تعلم ابن نفراله اليهودي اللغة العربية ، وتعمق فيها لتلبي طموحاته في أن يحتل مكانة سياسية مرموقة ، وقد شاء القدر له ، ولا شك ان هناك وظائف واعمالا

(١) كان وزيرا للأمير باديس بن حبوس ، احد أمراء دولة آل زهرى .

أخرى ، كانت تتطلب تعلم اللغة العربية وتقائها .

الرغبة في تعلم العربية ، والحاجة الى تعلمها ، كلاهما دافعا أصيل يضاف الى تدبير السلطات السياسية في اعطاء هذه اللغة مكانتها ، فتعدى فضلها أصحابها الى غيرها من الأمم ، والذي ستحدث عنه الدراسة في مناسبات قادمة لا همية آثاره " فلقـد بقيت اللغة العربية لغة البلاط في توليد و ( طليظلة ) بعد أن استولى عليها الفونسـم السادس ١٠٨٧ م ، ( شريف ، الفكر الاسلامي ، ١٩٧٥ ، ص ١٧٦ ) .

### الكتب والمكتبات

الحاجة الى الكتاب دعت المجتمعات الى الاهتمام به ، والمجتمعات الاسلامية منذ نشأتها شعرت بهذه الحاجة ، فاتجه الناس حكومات وافرادا يساهمون في صنع الكتاب ، ونشره ، حتى تكونت لديهم على مر العصور مكتبات ضخمة ، حوت كتباً مختلفة ومتنوعة فسي موضوعاتها وغاياتها ، استفاد منها العلماء في ابحاثهم والطلاب في دراساتهم ، كما أصبح لهذه المكتبات تنظيماتها واعرافها التي سهلت على الدارس والمطالع استخدام موجوداتها .

ولم تكن الأندلس استثناءً من المجتمعات الاسلامية الاخرى ، فقد اتجه الناس بدورهم في تلك البلاد الى العناية بالكتب ، تأليف ونسخا وجمعاً وتجليداً وترتيباً ، بيعاً وشراءً ، حتى أصبح لها تراثها المكتبي . وما تجمع في المصاحف التي استخلصت من الترات الأندلسي ، يساعدنا في التعرف على نشاط الأندلسيين في هذا المجال وفي الوصول الى بعض الافتراضات بهذا الشأن .

ينقل لنا الدارسون أنه " كان للعرب في اسبانيا وحدها سبعون مكتبة عامة " ، ( ليهون ، حضارة العرب ، ٢ ، ص ٤٧٤ ) ، وهي ستون أنشأها الخلفاء الأمويون وغيرهم ، ( أحمد ضيف ، بلاغة العرب في الأندلس ، ١٩٢٤ ، ص ٩ ) ، ولكن الرقم يتدنّى الى عشرين مكتبة عامة ، ( شريف ، الفكر الاسلامي ، ١٩٧٥ ، ص ٩٣ ) ، ثم يرتفع الى سبعين مكتبة في

قرطبة وحدها ، (توماس ارنولد ، تراث الاسلام ، ١٩٢٢ ، ص ٢٧ ، ويصبح في كل حي دار للكتب مزودة بمئات الآلاف من الكتب ، ( هونكه ، شمس العرب ، ٤ ، ص ٥٠٠ ) .  
لا نعريف بالضبط الاعتبارات التي راعاها هؤلاء الدارسون في تقدير هـ الأرقام ، ولأن الدراسة مهتمة برصد الظواهر والاتجاهات الترموية في الأندلس فلن يعنينا الوقوف عند الأرقام كثيرا ، وإن حركة الأندلسيين في هذا المجال ونشاطهم هو الذي يحدد مقدار مساهمة الكتب في الحركة التعليمية في بلادهم .

يمكن أن نعد مصدرين رئيسيين ساعدا في إيجاد الفرص لانتشار الكتاب الأندلسي واقتناؤه ، وتكاثر المكتبات ، وهما : الرحلة والتأليف . يضاف إليهما الترجمة التي لا تذكر المصادر رعنبا غير أنها بدأت عندما بعث ( رومانوس ) امبراطور البيزنطيين ( ٣٣٧ هـ ) الى عبد الرحمن الناصر ( حكم من ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ ) كتاب ديسقوريدوس في النبات ، وهيروسيمس في التاريخ ( ١ ) .

أما الرحلة الى المشرق ، فقد بدأت في عهد مبكر من قيام دولة الأمويين فسي الأندلس ، وكانت مختلفة الأغراض ، فذهب فيها الغني والفقير ، الحاج والتاجر ، المتطوع من تلقاء نفسه ، والمكلف رسميا من قبل الحكام . ورغم هذا الاختلاف في الراحلين الى المشرق وفي دوافع الرحلة ، فانهم التقوا - فيما يبدو - في الحرص على احضار كتب المشارقة الى الأندلس ، وكانوا أحيانا ينقلون معهم كتب الأندلسيين الى المشارقة ، وغني عن البيان أن هذه الكتب كانت في مختلف الموضوعات الدينية والأدبية واللغوية والعلمية والتاريخية ... الخ .

أهل هذا الارتحال - كما يقول المقرئ - " لا يمكن حصرهم بوجه ولا مجال ، ولا يعلم ذلك على الا حاطة الا علام الفيوب " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، تحقيق الرفاعي ، ٩ ، ص ٦ ) . وما يذكر هنا من أسماء ، يرد على سبيل التمثيل لا الحصر .

(١) انظر ابن ابي أصيعة ، عيون الانباء ، ص ٤٩٤

لقد كان من المبكرين بالرحلة عباس بن الناصح الذي كلفه الأمير الحكم بن هشام (حكم من ١٨٠ - ٢٠٦) أن يتوجه الى المشرق لالتماس الكتب القديمة فأثناء "أتى الأمير" بكتاب السند هند (١) وغيره وكان الهدف من وراء ذلك تعليم ابنه أبي المطرف بن السند الرحمن في العلوم الحديثة والقديمة (ابن سعيد، المغرب، ج ١، ١٩٥٣، ص ٤٥) (عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ١٩٤٣، ص ٢٦٤) (بروفنسال، حضارة العرب، ٢، ص ٤٣) . ويروي ابن بشكوال عن أبي حفص الزهراوى قوله :

ساق سلمة بن سعيد (توفي ٤٠٦ هـ) شيخنا من المشرق ثمانية عشر جملاً مشدودة من كتب وسافر من استنجة الى المشرق واتخذ مصر موثلاً واضطرب في المشرق سنين كثيرة جداً ، يجمع من الاقاني كتب العلم فكلما اجتمع من ذلك مقدار صالح نهض به الى مصر ثم نزع بالجميع الى الاندلس وكانت في كل فن من العلم ولم يتم له ذلك الا بمال كثير حمله الى الشرق (ابن بشكوال، الصلة، ج ١، ١٩٥٥، ص ٢١٩-٢٢٠) .

هذان مثالا للرحلة التي قام بها الاندلسيون الى المشرق ولنا أن نتصور كيفية الكتب التي وصلت الى الاندلس مع هؤلاء الراحلين اذا تذكرنا قول المقرئ السابق عمن عددهم . وينبغي أيضاً الا ننسى رحلة المشاركة الى الاندلس وبالبيتهم من التجار الذين كانوا يحضرون معهم الكتب التي كانت لها سوق نافقة في الاندلس . ان الاندلسيين لم يكتفوا بما كان يصلهم من المشاركة ولم يقفوا عنده ، بل كانت لهم جهودهم الخاصة بالتأليف والتي بدأت أيضاً ، كما بدأ العلم بنفرد قسماً له فعيسى بن دينار (توفي ٢١٢ هـ) "يؤلف كتاب البيوع وينقله عنه عبد الرحمن بن ابراهيم

(١) من أقدم الكتب التي ترجمت الى العربية ، وقد تعلم منه العرب الحساب والاعداد الهندية المعروفة .

الى المشرق ، ويريه لابن الماجيشون ، ويقرأه عليه " وكان لا يمر فصل الا قال : أحسن والله عيماك هذا ! " ، ( ابن الغرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ١٩٦٦ ، ص ٣٣١ ) .  
 وعبد الملك بن حبيب السلمي ( توفي ٢٣٨ هـ ) له مؤلفات في الفقه والتاريخ والآداب كثيرة حسان " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، " تحقيق الرفاعي " ، ٩ ، ص ٨ ) ،  
 وعن ابي علي القالي البغدادي " له التأليف الملاح ، منها كتاب الأملالي ، وكتاب البارع في اللغة ، وكتاب المقصور والمدود ، وكتاب في الابل ونتاجها ، وكتاب في حلو الانسان والخيول وشياتها ، وكتاب فعلت وأفعلت ، وكتاب مقاتل الفرسان " . الخ " ، ( ابن خلكان ، وفیات الأعيان ، ج ٢ ، ٩ ، ص ٢١٢ - ٢١٣ ) ، وربما يكفي دلالة على غزارة انتاج الاندلسيين ما قيل عن ابن حزم ( توفي ٤٥٦ هـ ) بأن مؤلفاته بلغت اربعمائة مجلد ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٣ ، " تحقيق الرفاعي " ، ٩ ، ص ٢٠٦ ) .  
 وظل التأليف مستمرا والمؤلفون يزدادون عطاء وانتاجا ، على الرغم من تقلص السلطان السياسي العربي وانحصاره في مملكة غرناطة ، ففي هذه المملكة يقف لسان الدين — الخטיب وزيري — نصر ملوك غرناطة مثلا على هذا الانتاج بغزارته وتنوعه .

سار التأليف في الأندلس في اتجاهين متآزرين : احدهما ما ألف باسم الخلفاء والأمراء والحكام ، وثانيهما ما ألف بعبادة من العلماء أنفسهم وخدمة للعلم خالصة . وتصلح قصة تمام بن غالب مع الامير ابي الجيش مجاهد مثلا للاتجاه الثاني ، عندما رفض الأول طلبا لأمير باضافة اسمه على كتاب ألفه مقابل ألف دينار ، وقال : " والله لـ لو بذلت لي الدنيا على ذلك ما فعلت ، ولا استجزت الكذب ، فاني لم أجمعه له خاصة ، لكن لكل طالب علم " ، ( صاعد ، طبقات الأمم ، ١٩٦٧ ، ص ٩٩ ) ، ( الضبي ، بغية الملتصق ، ١٩٦٧ ، ص ٢٥٢ ) . أما الاتجاه الأول ، فهو واضح في أغلب المؤلفات ، وسيلي الحديث عنه بشيء من التفصيل في فصل تال .

ان هذه الكثرة في التأليف ، أتاحت المجال لطلاب العلم ان يجدوا بغيتهم في هذا المد الدائم من علمائهم ، ويسرت لهم الحصول على الكتاب ، في وقت كان الحصول صعبا .



## الوراقسة

لم تكن حركة التأليف التي سبق الحديث عن جانب منها ، لتعطي ثمارها ، لولم تتوافر فئة من النساخين الذين كانوا يواصلون عملهم بجد وتجويد ، فيتأقون بخطوطهم وفي تجميل كتبهم ، حتى ليتنافس الناس في شرائها ، ولم يكن هؤلاء الوراقون قادرين على انتاج الكتب ، لولم تتوفر لهم مادة الكتابة ، وأعني بها الورق . فلقد كانت شاطبة - احدى المدن الاندلسية - تحوى على معامل الورق ، ومنها صدر لجميع نواحي الاندلس وأوروبا ، ( كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية الاسلامية ، ١٩٥٠ ، ص ٢٦٠ ) . ولقد اخبر الادريسي بأن ورق شاطبة جيد لا شيل له ، ولم تلمس بلنسية وقطالونية أن نافستا شاطبة منافسة شديدة فسي صنع الورق . وما ساعد على ذلك كثرة الكتان والقنب في الأندلس ، ( سيديو ، تاريخ العرب العام ، ١٩٤٨ ، ص ٤٩٠ ) . وقد أسس أول مصنع للورق في الأندلس سنة ٩٥٠ م - أي في زمن عبدالرحمن الناصر ، ( حمادة ، المكتبات في الاسلام ، ١٩٧٨ ، ص ٧٤ ) .

قبل الخوض في الحديث عن الوراقة ، يحسن أن يعرف القارىء تعريفاً لهما ، فالوراقة " هي معانة الكتب بالانتساخ والتجليد " ، ( ابن خلدون ، المقدمة ، ١٩٦٧ ، ص ٢١٤ ) ، والوراقون هم الذين يمانون صناعة انتساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها " ، ( ابن خلدون ، المقدمة ، ١٩٦٧ ، ص ٢١٥ ) . وكانت هذه المهنة - على ما يبدو - تجارة رابحة نظراً لقبال الناس في الأندلس على شراء الكتب واقتنائها ، ونتيجة لذلك بلغت درجة من الكمال والاتقان ، حتى اذا وصلنا الى القرن السابع الهجرى ، نجسد ابراهيم بن المجاهد اللخمي من أهل اشبيلية ( ت ٧٢٩ / ٨ ) ، يضع كتاباً اسمه " كتاب التيسير في صناعة التفسير " (١) ، ولعل من المفيد نقل عناوين فصوله للاطلاع على مدى عناية الاندلسيين بهذا الفن .

(١) نشر الكتاب ، عبدالله كنون : صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، المجلدان :

يتوزع الكتاب على الأبواب التالية : باب الأداة ، باب التخريم وحكمه ، باب التقفية ، باب التسوية ، باب الحيك وحكمه ، باب التهطين ، باب البشر ، باب تركيب الجلد ، باب العمل في الأسفار الهوالي ورد الكما عليها ، باب طبخ البقم ، باب النقش ، باب نقش الضرس ، باب الأمثلة ، باب العمل في أقربة المصاحف ، باب العمل في الأقربة المبنية ، باب العمل في الجوامع ، باب في الفكث ، باب في العيوب ، ثم يصف المؤلف بالتفصيل تحضير المواد وطريقة صنعها واستخدامها . كما يصف أدق الأعمال والأفعال في صنعة ، ويشير إلى عدة طرق في التجليد ، ما يدل على وجود أكثر من مدرسة فني العمل كانت منتشرة في انحاء الأندلس ، تلبي طلب الناس على الكتب ، وصفة الكتاب التعليمية تدل على أنه كتب ليتعلم منه الناحي فن الوراقة .

## النسخ

الحديث عن الوراقة ، يستدعي الحديث عن النسخ الذين اتخذوا النسخ حرفة لهم ، يتميئون منها ، ويلهون حاجة اجتماعية متزايدة على طلب الكتب ، ولم يكن العمل الذي يقومون به سهلاً ، لأنه لم يكن نسخاً آلياً ، بل كان مسوؤلية يتحمل الناسخ من خلالها ضبط كل كلمة ترد في الكتاب المنسوخ بمقابلته بالأصل الذي نسخ عنه ، وهذا العمل يتطلب أحياناً كثيرة اتقان العربية ، ومعرفة مواقع الكلمات وأعرابها . وهذا ما دفع وراقنا مثل خلف بن عمر ( توفي بعد ٤٦٠ هـ ) ، بعد أن أشكل عليه ضبط الألفاظ أن يقرأ العربية وهو في عشر الأربعين من سنه ، ويبرع فيها حتى أقرأها فيما بعد \* ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٢٩٢ ) ، وإلى جانب ضبط الألفاظ تحتاج الوراقسة إلى فهم مضمون ما ينسخ ، من أجل ذلك كان الوراق يجمع إلى مهنته تأهيلاً شاملاً . ف ( علي بن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري الأشبيلي ( توفي قبل ٦٢٠ هـ ) كان متخصصاً بالنحو ، ذكياً ، بارع الخط والأدب ، درس العربية والآداب زماناً ، وكتب بخطه الأنيق كثيراً من كتب المبتدئين (١) ، كالجمل (٢) وأشعار الستة ، والحامسة المازنية ،

(١) يعني المتقدمين زمنياً .

(٢) كتاب " الجمل " للزجاجي .

وفضیح ثعلب . . . وقفت على نسخ كثيرة ما ذكرته بخطه ، لما كان يرغب منه ذلك ، وينافس له في ثمنه ، ( الأوسي المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم الاول ، ١٩٦٥ ، ص ٢٣٢ ) .

لقد كانت الوراقة حرفة ، يمارسها من كان أنيق الخط واضح ، ومن كان قادراً على الترتيب والتنظيم وتزيين الكتاب ، وكان النساخ يجدون ما يشجعهم على التجويد في عملهم ، إذ كان الناس يتنافسون على اقتناء الكتب المضبوطة والصحيحة والجميلة ، حتى أصبح لبعضهم خبرة بخطوط النساخ . فمحمد بن عبدالرحمن بن معمر اللغوي ( قرطبي ، عاش في القرن الخامس الهجري ) كان " من أعلم الناس بالكتب وعلمها ، والهجههم بجمعها ، وأفرزهم لخطوطها وأنسبهم إلى وراقها " ، ( ابن الأثير ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٣٨٤ ) .

### فئات النساخ

يمكن أن نميز فئتين من النساخ ، فئة كانت تحترف النسخ ، وتبيع لحسابها الخاص ، وهي منتشرة في المدن الأندلسية وعلى امتداد الأزمنة التاريخية هناك ، وفئة أخرى كان لها جارية ( رزق ) على ما تقوم به من أعمال الوراقة ، كالذين كانوا ينسخون للحكم المستنصر ( ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ ) ولغيره من الوزراء والعلماء . وهناك احتمال أن هؤلاء كانوا متفرغين أو معروفين وشهورين يستدعون وقت الحاجة إليهم .

من أمثلة الطائفة الأولى ، مالك بن غانم بن الحسن الرعيني القرطبي ، " كان يورق ويعلم . . . وتوفي ٣٠٥ هـ " ، ( ابن الأثير ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٧٠٨ ) ، ومخلص بن عبدالله الأنصاري من أهل غرناطة " . . . بارع الخط أنيق الوراقة " ، ( ابن الأثير ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٧٣٩ ) ، ومحمد بن الفضل " قعد لأقراء العربية ببلنسية ، وكان . . . بارع الخط رائق الوراقة " ، ( ابن الأثير ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٨٠٧ ) .

كان هو "الوراقون في بعض الأحيان هم الذين يسوقون كتبهم بأنفسهم ،  
 فعبد الله بن ابراهيم . . الوراق سكن بلنسية ( وتوفي فيها سنة ٦١١ هـ ) ، قد رحل  
 حاجا . . . وقفل الى بلده ، وكان له دكان بالقيصرية يقعد فيه للتجارة ويبيع الكتب ،  
 وحدث ببسير " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٨٨٢ ) . وكل تجارة  
 تميز نفر من هذه الطائفة ، لما عرف عنهم من سمعة طيبة في اتقان عملهم ، ان ينقل عن  
 أحمد بن يحيى بن أحمد العتبي من أهل مرسية أنه " كان حسن الخط صحيح النقل  
 والضبط ، ثقة صدوقا ، جلدا على الوراق محترفا بها ، تأثل (١) منها مالا كبيرا . . .  
 وتوفي سنة ٥٩٩ هـ ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٩٤ ) ، وعن محمد بن  
 موفق من أهل بلنسية ( ٤٨٨ - ٥٦٣ ) " كان صنع اليد ، عارفا بمرسوم الخط في المصاحف  
 مصدوقا بالضبط ، حسن الوراق ، يغالا (٢) فيما يكتب مع التجويد والاتقان " ، ( ابن  
 الأبار ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٥٠٣ ) .

أما الفئة الثانية ، فيمثلها النساخ الذين كانوا في مكتبة الحكم المستنصر  
 ( ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ ) ، ومنهم محمد بن يحيى بن عبد السلام ( قرطبي توفي ٣٥٨ هـ )  
 " وكان فقيها اماما موشوقا . . . نظر الناس عنده في الاعراب ، وأدب عنده الملوك ، واستأذنه  
 أمير المؤمنين الناصر رضي الله عنه لابنه المغيرة ، ثم صار الى خدمة المستنصر بالله فسي  
 مقابلة الكتب ، وتوسع له في الجراية " ، ( ابن الغرضي ، تاريخ علماء الأندلس ج ١ ، ١٩٦٦ ،  
 ص ٦٩ ) ، وعباس بن عمرو بن هارون الكناشي الوراق " اتصل بولي العهد الحكم . بسن  
 عبد الرحمن - رحمه الله - فتوسع له في الورق ، وصار من جملة الوراقين " ، ( ابن الغرضي ،  
 تاريخ علماء الأندلس ج ١ ، ١٩٦٦ ، ص ٢٩٩ ) . ومن هو " ظفر البغدادي ، وكان من  
 رؤساء الوراقين المدرفين بالضبط ، ( المقرئ ، نقح الطيب ، ج ٤ ، تحقيق محيي  
 الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ١٠٨ ) ، وعبد العزيز بن حسين الزجاج ، ( ابن بشكوال ، الصلة ،  
 ١٩٥٥ ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ ) .

( ١ ) تأثل : جمع .

( ٢ ) الأصح املاثيا ( يغالي ) ونقلت عن المصدر كما هي .

لم يقتصر وجود النساخين على قصور الأمراء وفي مكنتهم ، بل كان للوزراء والقضاة أمثال ذلك . فالوزير أبو بكر محمد بن الوزير أبي مروان عبد الملك ، يأمر رجلاً بنسخ كتاب الأغاني ، وعندما يحضر الرجل الكرايس التي نسخها ، يسأله الوزير عن الأصل الذي أخذت منه ليقابله بالكرايس ، فقال له ، ما أتيت به معي ، ( المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ١٤٣ ) . وعن القاضي أبي القاسم سراج بن عبدالله " شهدت مجلس القاضي أبي المطرف بن فطيس ( توفي ٤٠٣ هـ ) وهو يطلي على الناس الحديث ، ومستمل بين يديه ، وكان له ستة وراقين ينسخون له دائماً ، وقد رتب لهم على ذلك راتباً معلوماً " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ٢٩٩ ) . وثالثه يذكر عن الأستاذ أبي علي القالي البغدادي ، حيث كان يخدم له في النسخ محمد بن الحسين الفهرى الذى " روى عن أبي علي ولازمه ، وتقدم في حفظ الآداب والعلم واللغات ، وهو تولى مع محمد بن معمر الجباني ، نسخ ما لم يهذب أبو علي من تأليفه الذى سماه " البارع " ، ( ابن الأثير ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٣٧١ ) . ويحكى أن أبا جعفر أحمد بن عباس كان له وراق خاص به ( ابن بسام ، الذخيرة ، القسم ١ ، مجلد ٢ ، ١٩٧٨ ، ص ٦٦٥ ) .

لم تقتصر مهنة الوراق على الرجال ، بل شاركت فيها النساء ، كما شاركن في غيرها من الأنشطة التعليمية في الأندلس ، وما ذكره المراكشي في المعجب أنه " كان باليهــضـ الشرقى من قرطبة مائة وسبعون امرأة يشتغلن بكتابة المصاحف بالخط الكوفي " ، ( المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ٤٥٦ - ٤٥٧ ) . هذا في قرطبة وفي حي واحد منها ، وعدد أحيائها فوق العشرين أيضاً ، فكيف في أنحاء الأندلس الأخرى ؟ وينقل ابن حيان فسي المقتبس أن " عائشة بنت أحمد القرطبية لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعد لها علماً وفهماً ، وأدباً وشعراً وفصاحة . . . وكانت حسنة الخط ، تكتب المصاحف ، وماتت عذراء لم تنكح سنة ٤٠٠ هـ " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، تحقيق محيي الدين " ١٩٤٩ ، ص ٢٦ ) ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٦٩٢ - ٦٩٣ ) . وكانت " مزنة كاتبة الأمير الناصر لدين الله . . . أدبية حسنة الخط " ، ( الضبي ، تهفئة الملتصص ، ١٩٦٧ ، ص ٥٤٦ ) . كما كانت " لهنى كاتبة الحكم بن عبد الرحمن الخليفة . . . حاذقة

بالكتابة نحوية شاعرة . . . وكانت عروضية حسنة الخط " ، الضبي ، بغية الملتص ، ١٩٦٧ ، ص ( ٥٩٥ ) .

ما تقدم يمكن أن يحمل لنا بعض ملامح واقع صناعة الوراقة في الأندلس ، فلقد كانت حرفة ، وكانت تجارة رائجة ، وكان ضرورة يقوم بها كل طلبة العلم ، ولكن لم يصل الى درجة الاحتراف الا من كان أنيق الخط رائق الكتابة ، وأولئك هم الذين تنافس الناس في اقتناء كتبهم ، والبحث عنها ليزينوا بها صدور مكتباتهم التي ستكون موضوع الحديث التالي :

### تكوين المكتبات

ان وجود صناعة الوراقة والعناية بنسخ الكتب ، ورواج تجارتها فتح المجال واسعا للناس لاقتنائها ، وتكوين المكتبات منها ، للرجوع اليها وقت الحاجة ، أو لتزيين السدور الاستقرائية بها ( ١ ) ، والحديث عن المكتبات في الأندلس ، نستطيع ان نلم اطرافه من

( ١ ) يروى المقرئ نقلا عن الحضرمي " أقمت بقرطبة ولا زمت سوق كتبها مدة ، أترقب فيها وقوع كتاب كان لي بطله اعتناء الى أن وقع وهو بخط فصيح وتفسير مطيح ، ففرحت به أشد الفرح ، فجعلت أزيد في ثمنه ، فمرجع الي المنادى بالزيادة علي الى ان بلغ فوق حده ، فقلت له : يا هذا أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه الى ما لا يساوي ، قال فأراني شخصا عليه لباس رئاسة فدنوت منه وقلت له : أعز الله سيدنا الفقيه ، ان كان له غرض في هذا الكتاب تركته لئن ، فقد بلغت الزيادة بيننا فوق حده . فقال لي : لست بفقيه ، ولا أدري ما فيه ، ولكن أقمت خزانة كتب واحتفلت فيها ، لأجعل بها بين أعيان البلد . وبقي فيها موضع يبيع هذا الكتاب ، فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ، ولم أبال بما أزيد فيه والحمد لله على ما أنعم من الرزق فهو كثير . قال الحضرمي : فأخرجني ، وحملني علوان قلت له نعم ، لا يكون الرزق كثيرا الا عند مثلك ، يعطى الجوز من لا أسنان له ، وأنا الذي أعلم ما فسي هذا الكتاب وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندى قليلا ، وتحول قلة يدي ما بينسي وينه " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، تحقيق احسان عباس ، ج ١ ، ص ٤٦٣ ) .

ترد هذه القصة عند ما يدور الحديث عن حب المسلمين للكتب ، فهي ان صحت ، ليست مجالا للاعتزاز بحب الجبهة للكتاب ، ان ما جدوى اقتناء كتب لا يستطيع الانسان الاستفادة منها ، ويحرم الآخريين الاستفادة منها وهم بحاجة اليها .

خلال تراجم الحكام والعلماء والقضاة ، وغيرهم ، الذين ذكرت الكتب والمكتبات مقترنة باسمائهم ، لتضيف الى قدرهم اوالى مكانتهم العلمية والاجتماعية . ولم تخص الكتب والمكتبات بحديث مستقل في المؤلفات الاندلسية ، ولم تنقل المراجع التي وقعت بين يدي الدارس شيئاً عن تنظيمات المكتبات ، سواء ما يتعلق منها بالكتب او بنظام المكتبات ، أو بأبنيتها ، أو بطرائق الاستعمال عن طريق الاشارة ، كما ذكر ذلك في بلدان المشرق الاسلامي في المصور المتأخرة (١) .

لقد سبق الحديث عن الأرقام التقديرية للمكتبات العامة في الأندلس ، وكانت هذه التقديرات في مراجع ، أبكرها كتب في نهاية القرن التاسع عشر ( جوستاف ليمون ) ، والأخرى كتبت في النصف الثاني من القرن العشرين ، ولا توضح هذه المراجع الاعتبارات التي انطلقت منها في اطلاقها تسمية " المكتبات العامة " على ما وجد في الأندلس من مكتبات . أما المراجع القديمة التي استعانت بها الدراسة عن التراث الأندلسي ، فلا تذكر نوعاً من المكتبات العامة ، التي يفهم أنها تنشأ عادة لاستخدام الجمهور بدون مقابل ، الا اذا اعتبرنا أن المكتبات التي اعتنى بها الخلفاء والامراء ونظموها ، كانت تحت تصرف طلاب العلم والباحثين ، أو أن المساجد احتوت على مجموعة من الكتب ، بذلت للطائفتين بيوت الله للعبادة والعلم . ومن هذا الاعتبار يمكن أن يدور الحديث عن نوعين من المكتبات : مكتبات القصور ومكتبات البيوت ( المكتبات الخاصة ) .

### مكتبات القصور

عندما يتناول الحديث المكتبات في الأندلس ، أو المكتبات في العالم الاسلامي ، يحظى الحكم المستنصر الخليفة الأندلسي ( ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ ) ، بنصيب كبير من هذا الحديث . فمنذ أن كان شاباً ، وقبل أن يصبح خليفة ، أظهر ميلاً شديداً للعلم والثقافة ،

---

(١) انظر ، أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، أحمد شلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، ومحمد ماهر حمادة ، المكتبات في الاسلام .

وأيضا للعلماء " واستجلب من بغداد وبصرى وغيرها من ديار الشرق عيون التآلف الجليلة، والصناعات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة، وجمع منها في بقية أيام أبيه، ثم في مدة ملكه من بعده، ما كان يفاهي ما جمعت ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة "، (صاعد، طبقات الأمم، ١٩٦٢، ص ٨٦) .

ويقول المراكشي : " كان الحكم يبحث في شراء الكتب إلى الأقطار، رجالا من التجار، ويرسل إليهم الأموال لشراؤها، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يجهده... واجتمعت خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده "، (المراكشي، المعجب، ١٩٦٣، ص ٦١) . وفي رأى المقرئ " أنه جمع من الكتب ما لا يعد ولا يوصف كثرة ونفاضة، حتى قيل : أنها كانت أربعمائة ألف مجلد، وأنهم لما نقلوها، أقاموا ستة أشهر في نقلها "، (المقرئ، نفح الطيب، ج ٣، "تحقيق الرقاعي"، ص ٢٦٤) ، و" كان له وراثون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التأليف... ومن وراثيه ببغداد محمد بن طرخان ومن أهل الأندلس والشرق جماعة "، (ابن الأثير، الحلة السيرة، ج ١، ١٩٦٣، ص ٢٠٢) .

(١١)  
كانت مكتبة الحكم ملان الدارسين والباحثين والمؤلفين، ويبدو أنها نظمت بطريقة تسهل مطالعة كتبها، فلقد كان فيها فهارس لخدمة هذا الغرض، بلغ عدد هـا أربعا وأربعين فهرسة، وفي كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر الدواوين لا غير "، (المراكشي، المعجب، ١٩٦٣، ص ٥٩) . وينقل مثل هذا الكلام المقرئ في نفـح الطيب، (المقرئ، نفح الطيب، ج ٣، "تحقيق الرقاعي"، ص ٢٣٩) ، وابن الأثير في الحلة السيرة، (ابن الأثير، الحلة السيرة، ج ١، ١٩٦٣، ص ٢٠٣) ، وتبدو لنا عظمة هذه المكتبة إذا قارناها بما كتبه هاسكنز من كتالوج مكتبة السويون، وهي المكتبة الرئيسية في باريس في العصور الوسطى بأنه ضم ١٢٢٢ مجلدا، (هاسكنز، نشأة الجامعات، ١٩٢١، ص ٣٠٩) .

(١١) كانت مكتبة الحكم هذه في القصر الملكي بمدينة الزهراء



وإذا تجاوزنا الحكم المستنصر ، زمانا ومكانا ، فاننا قلنا نجد أميرا أو حاكما من  
حكام الأندلس لم يهتم بالكتب وجمعها ومطالعتها ، فالمظفر بن الأفطس ( ٤٣٦ هـ -  
٤٥٣ هـ = ١٠٤٥ - ١٠٦٢ م ) " كان جم المعرفة معها لأهل العلم ، جماعة للكتيب ،  
لم يكن في ملوك الأندلس من يفوقه في أرب ومعرفة " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٤ ، تحقيق  
محي الدين عبد الحميد ، ١٩٤٩ ، ص ٣٥١ ) . ومن مجاهد العاصري أمير دانيه " صار  
في المعرفة نسيج وحده ، وجمع من دوائر العلوم خزائن جمّة " ، ( ابن يمام ، الذخيرة ،  
قسم ٣ ، مجلد ١ ، ١٩٧٩ ، ص ٢٣ ) ، وكذا يقال عن يوسف بن عبد الوه من أحد أسراء  
الموحدين أنه " أولع بجمع الكتب من أنحاء الأندلس والمغرب " ، ( المراكشي ، المعجب ،  
١٩٦٣ ، ص ٣١١ ) .

ان عناية الملوك والحكام بجمع الكتب وتكوين المكتبات ، بدأت لا شك مبكّرة ،  
بتكوين نوى لها ، أضاف اللاحق الى السابق حتى تجمع منها قدر كبير ، كان له أثره  
الخطير على الحركة التعليمية في الأندلس .

#### مكتبات البيوت ( المكتبات الخاصة )

لم يقتصر اقتناء الكتب - كما تقدم - على الملوك والحكام بل كان الميل الى الكتب  
عاما عند الأندلسيين ، حتى انعكس هذا الميل انصرافا الى العناية بالكتب الى حد  
تزيينها وتجميلها ، ولرصد هذه الظاهرة ، ستعرض مجموعة من التراجم التي مثلت هذا  
النشاط ، وعلى طريق هذا نفر الذين سيمر ذكرهم ، سار الكثيرون ، فكانت لهم مكتباتهم  
الخاصة ، التي استفادوا منها وأعادوا بها طلاب العلم .

عاشت في قرطبة طائفة بنت أحمد ( توفيت ٤٠٠ هـ ) وكانت " تجمع الكتب ،  
وتعتني بالعلم ، ولها خزانة علم كبيرة حسنة " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٦٦ ،  
ص ٦٥٤ ) ، وأبو حفص عمر بن عبد الله الذهلي ( توفي ٤٥٤ هـ ) ، نهب له البيوت  
ثمانية أحاطت من الكتب عندما حاول اخراجها الى مكان غير داره بالهض الغروي " ، ( ابن  
بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٤٠٠ ) ، ومن أحمد بن ابراهيم العبدري ( توفي

٥٩٩ هـ ) يقول ابن الأبار : " اقتنى من الدفاتر كثيرا ، بلغني أن قيمة ذلك ستسنة  
آلاف دينار " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٩٤ ) ، ونقل عن " القصار  
القرطبي " أحد المعاصرين للنهضة التعليمية في الأندلس " أن الشباب المسيحي يقرأون  
ويدرسون الكتب العربية بنشاط منقطع النظير ، يشكلون منها مكتبات هائلة بأثمان  
باهظة ، ويعلنون عن هذه الآداب في كل مكان أنها مذهبة " ، ( بروفنسال ، الحضارة  
العربية في الأندلس ، ٢ ، ص ٧٠ ) ، ( حيدر باحات ، مجالي الاسلام ، ٢ ، ص ص  
١٠٥ - ١٠٦ ) .

خارج قرطبة وفي بلنسية طاش عبيد الله بن عبد الله . . بن عيشون ( توفي  
٥٧٤/٣ هـ ) " كان نهاية في الصلاح والفضل . . . أخبارها محققا ، واقتنى من الدواوين  
والدفاتر كثيرا " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٩٣٦ ) ، ومن أهل مالقة  
يذكر محمد بن سليمان النفزي ( طاش من ٤٧٣ - ٥٢٥ ) بوصفه من جنابي الكتب ، ( ابن  
بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٥٧٩ ) ، ( محمد بن سعيد الغساني في القسطن  
السادس الهجري " كان تاريخيا نسابا . . . واقتنى من الدواوين والدفاتر عظيمها ،  
فاق أهل بلده في ذلك " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٥١٧ ) .

وفي غرناطة طاش علي بن عبد بن الحسن اللخمي الذي كان يبيت في بيت  
كتبه ويظفي الصباح ، فكما تذكر شيئا ، قام وأوقده ، ونظر ، ثم يعود ويظفقه ، فكان  
هذا دأبه كأنه يلتمس بذلك خلوا خاطر في الظلمة " ، ( المراكشي ، الذيل والتكملة ،  
قسم ١ ، ٢ ، ص ٢٢٩ ) . وفي موسية كانت لمحمد بن غلبون بن محمد بن عبد العزيز  
الانصاري ( توفي ٦٥٠ هـ ) مكتبة " ملوذة أصولا عتيقة ودفاتر أنيقة " ، ( ابن الأبار  
التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٦٤٤ ) ، وفي الموسية طاش أول عصر الطوائف الوزير أحمد بن  
عاصم الذي جمع من الكتب " ما لم يكن عند ملك . . . حتى وراقده انه قد حصلها قبل مقتله  
بسنة ، فبلغت المجلدات في التحصيل اوصاف ألف ، وأما الدفاتر المغرومة ، فلم يقف على  
عدد ها لكثرتها " ، ( ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ١ ، مجلد ٢ ، ١٩٧٨ ، ص ٦٦٥ ) ،  
( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٥ " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ٧٨ ) .

لم تكن مهمة هؤلاء الذين تقدم ذكرهم وأمثالهم من أصحاب المكتبات جمع الكتب بحسب هبل كانوا يعتنون بها ، ويتأكدون من محتواها ، ويبدلون بها لمن شاء أن يستفيد ، سواء أكان ذلك في الدار أو في البحث والتأليف ، فالحجاري ( صاحب كتاب المسهب ) يستعين بخزائن الكتب التي لدى إبراهيم بن عبد الله في تصنيف كتابه ، ( ابن سعيد ، المغرب في حلل المغرب ج ١ ، ص ١٩٥٣ ) ، وعن أحمد بن محمد . . بن مفرج الأموي ( ٥٦١ - ٦٣٢ هـ ) أنه " وما ذهب منها " من الكتب " لطمسه الأصل النفيس الذي يحز وجوده ، احتساباً واطانة على التعليم " ، ( ابن الخطيب ، الاطاحة ، مجلد ١ ، ص ٢١٦ ) ، وكان أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الأموي ( توفي ٤٠٠ هـ ) " قل ما يجوز عليه فيها ( في الكتب ) خطأ ولا وهم ، وكان لا يزال يتتبع ما يجده في كتبه من السقط والخلل بزيادة في اللفظ ونقصان منه ، فيصلحه حيثما وجده ، ويعيده السلي الصواب " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ١٩٥٥ ، ص ٢١ - ٢٣ ) .

ويمكن أن نعد مع هذه الفئة من الجامعين أولئك الوراقين الذين كانت دكاكينهم أو بيوتهم مليئة بالكتب ، يتاجرون بها وينتفعون منها في أغراضهم العلمية ، حيث كان أغلبهم - كما مر معنا - يشتغل بمختلف أنواع العلوم السائدة في عصره .

بقي أن ندرك أن بعض الروايات التي اعتمد عليها قد بداخلها العبالغة ، وقد لا تكون صحيحة أحياناً ، ولكنها على كل حال مؤشرات على انتشار الكتب والمكتبات فسي الأندلس ، وعلى اهتمام الناس بها ، إذ أن العبالغة نفسها في تقدير الكتب والمكتبات دليل على الاتجاهات الاجتماعية نحو الكتاب في الأندلس .

### البيئات التعليمية

رغم عدم وجود المداو من وعدم انتشارها ، لم يعجز الأندلسيين أن يجدوا الأمكنة المناسبة لتلقي التعليم ، فالساجد كانت منتشرة بكثرة ، في كل مدينة وقريه ، وفتحست أبوابها اوقات الليل والنهار لاستقبال المعلمين والمتعلمين . ويوت العلماء لم توصد

أبوها في وجه طالبي العلم من أية جهة جاءوا ، كما أن التجار وجدوا متسعاً من الوقت ، لأن تستقبل دكاكينهم طلاب العلم . وهناك قصور الخلفاء والأمراء والسراة والأغنياء ، التي كانت تستقبل المعلمين الخصوصيين الذين ينتدبهم الآباء لتعليم أبنائهم . وفي بيت الأسرة من أية طبقة كانت ، تلقى كثير من الطلاب تعليمهم الأولي ، ووسط تفقهوا بالعلم في الأسرة .

أما المدارس النظامية ، فلم تعرف في الأندلس ، سوى ما ذكر من مدرسة فسي غرناطة ، يظهر أنها بنيت متأخرة في زمن يوسف بن اسماعيل بن فرج . ابن اسماعيل بن يوسف بن نصر ، الذي ولي الملك في غرناطة من ٧٣٣ - وتوفي ٧٥٥ هـ ، وفيه يقول ابن الخطيب " وفي أيامه بنيت المدرسة العجيبة بكر المدارس في حضرته ، فتحت ، وكلمت أوقاتها " ، ( ابن الخطيب ، اللوحة الهدية ، ١٩٢٩ ، ص ٩٦ ) . وينصب ابن الخطيب انشائها الى الحاجب رضوان النصري ( توفي ٧٦٠ هـ ) في قوله : " أحدث المدرسة بغرناطة ، ولم تكن بها بعد . وسبب إليها الفوائد ووقف عليها النواع المملة ، وانفسرد بمنقبتها ، فجاءت نسجة وحدها بهجة ورسدا وظرفا وفخامة ، وجلب المال الموقوف ، فأهد سميه عليها " ، ( ابن الخطيب ، الا حاطة ، مجلد ٤١٧٧.٥٤ ص ٥١٦ - ٥١٧ ) .

### الخلاصة

دخل العرب المسلمون الأندلس بعد أن كانت مسرحاً لأحداث تاريخية ، أدت الى خرابها ، ولم تترك آثاراً حضارية فيها يمكن أن ينسج العرب على منوالها ، فأقامسوا حضارتهم في الأندلس أصيلة غير مقلدة ، وكانت لغتهم العمومية لغة العلم والثقافة ، فبذ غزت قلوب الأندلسيين وعقولهم وسيطرت على مشاعرهم ، حتى لم يروا بأصا من الكتابة بها ، والتعلم من خلالها .

لقد وجد الأندلسيون - مسلمين وغير مسلمين - معاهد للعلم مفتوحة ، ومعلمين لا يخلون بعلمهم ، ولم يكن التعليم يكلفهم الا يسيراً ، وكان الاختلاف بين ابنسباء

الطبقات المختلفة في ظروف العمل فقط ، فمنهم من كان عمله مرهقا ، يستد طول النهار فلا يجد متعاً من الجهد للتعلم ، ومنهم من كان همه التعلم ، وقد هيأت له أسرته كل اسبابه .

وما ساعد على النهضة التعليمية في الأندلس ، توفر الكتب من خلال الراحلين الى المشرق والوافدين منه ، ومن خلال ما قام به النصارى الذين انتشروا في معظم المدن الأندلسية ، يوفرون للتعلم ، وللمطالع ما يحتاج من الكتب ، وذلك كله أدى الى تكوين المكتبات الرسمية في القصور ، والمكتبات الخاصة التي تجمعت عند طالبي الكتب ومحبيها .

## الفصل الرابع

### دور الحكام في الحركة التعليمية

#### مقدمة

الأدوار التي قام بها الحكام في تنشيط الحركة التعليمية ، متنوعة ومتداخلة ، ومرتبطة بالظروف التي عاشها أولئك الحكام ، والتكوين الثقافي لكل منهم ، وبتأثير المشاعر العامة الذي تكون نتيجة أحداث متشابكة شديدة التعقيد .

لقد تمثل دور الحكام في عدة مظاهر : أهمها تهيئة الظروف العامة لحياة مزدهرة في مجالات الصناعة والتجارة والزراعة ، وبناء المساجد في كل مدينة وقرية ، وتشجيع رحلة العلماء من المشرق واليه . كما كان للحكام دورهم في دفع العلماء إلى التأليف ، وفي تكوين المكتبات التي حفلت بها قصورهم ، وفي تحمل قسط من نفقات التعليم .

يبدأ الفصل بحديث عن جوانب من الحياة العامة التي ساهم الحكام في صنعها كل بطريقة ، ومن دور الحكام في بناء المساجد التي كان بناؤها واجباً على الحكام تقتضيه طبيعة الدور الديني ، والسياسي الذي يضطلعون به ، ثم يلي ذلك تفصيل عن بعض المواقف الشخصية للحكام أئمة المفكرين والعلماء ، وأثر ذلك على الحركة التعليمية .

#### الظروف العامة

عندما وصل الأمير عبد الرحمن الداخل قرطبة ، وأعلن تأسيس الإمارة الأموية ، كان عليه أن يواجه قتنا وأحداثاً كثيرة ، أثارتها عليه الولاة الطامحون بالسلطة والأعداء الخارجيون ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ٢ ، ص ص ٥٠ - ٥١ ) ، ولكنهم وخلفاؤه من بعده استطاعوا أن يهيئوا جواً من الأمن والاستقرار نتج عنه ازدهار اقتصادي في مجالات الصناعة والزراعة والتجارة ، فانبثق من هذا الازدهار حاجيات

اجتماعية ازداد معها الطلب على التعليم لتلبية تلك الاحتياجات .

فالتجارة مثلا كانت ناشطة ، وكانت "أساطيل الأندلس التجارية تغلق من مالقة -  
 وجاية والمرية ولشبونة ورسلمونة تحمل الى الشرق والغرب حاصلات الأندلس " ، ( كرد علي ،  
 الاسلام والحضارة العثمانية ، ١٩٥٠ ، ص ٢٥٩ ) ، والتجارة كما نعلم " تحمل مع البضائع  
 كتبها وأفكارا " ، ( أحمد بدر ، دراسات في تاريخ الأندلس ، ١ ، ص ١١٢ ) ، وتتطلب  
 ممارستها مستوى من التعليم . وفي مجال الزراعة والري كان للعرب نظام دقيق روي كثيرا من  
 السهول التي تحيط بمدنها ، ( سيدو ، تاريخ العرب العام ، ١٩٤٨ ، ص ٣١٥ ) ، وشك  
 هذا النظام كان يتطلب - لا شك - مجموعة من المهارات التي تندخل فيها التهيئة بشكل  
 أو بآخر . وفي مجال الصناعة " كانت لهم مناجم الحاقوت بالقرب من مالقة حاجرة ، وكان  
 المرجان يستخرج من شواطئ طركونة ، وصار الناس لا يتحدثون في الشرق وفي شواطئ  
 أفريقية عن غير نصال طليطلة ، وحرير غرناطة ، وسروج قرطبة وجلودها " ، ( سيدو ، تاريخ  
 العرب العام ، ١٩٤٨ ، ص ٣١٤ ) ، ( لجون ، حضارة العرب ، ١ ، ص ٢٧٦ ) .

كان ذلك الازدهار زمن الأمويين ، حيث ذكر ابن حزم " أن دولة بني أمية كانت  
 أنبل دول الاسلام ، وأنكاه في العدو ، وقد بلغت من العز والنصر ما لا مزيد عليه " ،  
 المقرئ ، نفخ الطيب ، ج ١ ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ٣٠٦ ) ، وعند ما زالت  
 دولة الأمويين ، وحدث الانقسام السياسي في الأندلس بقيام ملوك الطوائف ، لاقت الحركة  
 العلمية كل تشجيع ورعاية ، وأصبح ملوك المسلمين في مدن طليطلة وطلوس ولنسية  
 ودانية والمرية وغرناطة ، وفي اشبيلية بشكل خاص " ملقى الشعراء والأدباء والفنانين  
 والعلماء والفلاسفة والأطباء " . ورغم أنه كان عصر انحطاط سياسي ، لكن ذلك لم يمنع تجديدا  
 في نتائج الفكر لا مثيل له ، ( بروفنسال ، حضارة العرب في الأندلس ، ١ ، ص ٢٩-٣٠ )  
 و ( الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ١٩٧٦ ، ص ٤١٥ ) . ويؤكد ( الدوسيلي ) أن العلوم  
 والآداب ظلت مزدهرة مشعة بعد سقوط خلافة قرطبة " بل قد نشطت عن ذي قبل ، إذ كان  
 قد تم تهديد البيئة الصالحة واعدادها فعلا ، فاستكثر ملوك الطوائف في مختلف عواصمهم  
 من سعاد الحضارة الخصبة ، وضربوا مثلا جديدا لما يمكن ان يفعله الذكاء والتنافس " ،  
 ( الدوسيلي ، العلم عند العرب ، ١٩٦٢ ، ص ٣٤٦ ) .

وعندما قامت دولة بني الأحمر في غرناطة ، بعد زوال حكم المرابطين والموحدين  
نشطت فيها " دراسة الفلك والطب ، والكيمياء والرياضيات بين العلوم " ، ( سيديسو ،  
تاريخ العرب العام ، ١٩٤٨ ، ص ٣٦٥ ) .

ذلك الحال من الازدهار والتقدم بدأ يظهر عليه الضمور والانحلال في أواخر  
أيام العرب في الأندلس ، حيث " ذهب رسم التعليم من بينهم ، وذهبت عنايتهم بالعلوم  
لتناقص عمران المسلمين بها منذ شين من السنين ، ولم يبق من رسم العلوم عندهم الا فن  
العوية والأدب . . . وأما الفقه بينهم فوهم غلو ، وأثر بعد عين ، وأما العقليات ، فلا  
أثر ولا عين " ، ( ابن خلدون ، المقدمة ، ١٩٦٢ ، ص ٢٢٤ ) .

### الحكام هنا الساجد

إذا تذكرنا أن الساجد أهم الهيئات التعليمية في العصور الإسلامية المتقدمة ،  
اتضح لنا ما قدمه الحكام في سبيل بنائها والعناية بها . فلقد كانت " الساجد هسي  
الأساس الذي يعتمد عليه العرب في صبغ المدن المفتوحة بالصيغة الإسلامية ، إذ أن  
المسجد الجامع يصبح محور الزمن مركز المدينة وقلعها النابض ، فمنه تتفرع الطرق الكبرى  
المؤديّة الى أبواب المدينة . . . وفيه تعقد الاجتماعات السياسية ، وتوزع ألوية الجيش ،  
وتدرس العلوم الدينية وغير الدينية " ( سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ،  
١٩٦٢ ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦ ) .

لقد كانت الساجد أول شيء ينجزه المسلمون ، حين يقيمون في مكان ما ، ( الحجي ،  
التاريخ الأندلسي ، ١٩٢٦ ، ص ١٤٢ ) . ففي قرطبة وحدها بلغ عدد الساجد  
اخمائة وتسعين مسجداً زمن عبد الرحمن الداخل ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٤ ، ( تحقيق  
الرفاعي ) ، ٢ ، ص ٣١٤ ) . ثم زادت فيها بعد حتى وصلت الى ثلاثة آلاف وثمانمائة  
وسبعة وثلاثين مسجداً ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٤ ، ( تحقيق الرفاعي ) ، ٢ ،  
ص ٣١٤ ) . ولنا أن تصور عظمة الدور الذي قامت به الساجد ، إذا عرفنا أن ثلاثمائة



آلاف قرية خارج قرطبة ، كان في كل منها منبر وفقه مقلص (١) .

كل هذه المساجد كانت تفتح أبوابها لطلبة العلم ، ويعد وأن كل مدينة مهما صغرت ، كان فيها جامع كبير يجمع الناس في المناسبات الدينية والسياسية ، ومساجد صغيرة ، يؤمها الناس للصلاة والتعلم . فالحميدى يقول عن مدينة ( شقورة ) : " فيها جامع ومساجد صغيرة " ، ( الحميرى ، الروض المعطار ، ١٩٢٥ ، ص ٣٤٩ ) ، وعن مهيتر " حصن بالاندلس ، قريه من طرطوشة . . . مهيتر جامع ومساجد " ، ( الحميرى ، الروض المعطار ، ١٩٢٥ ، ص ٥٤٠ ) .

لم يكتف الحكام ببناء المساجد ، بل كانوا يعينون لها القوة والخدام . وبلغ عدد هؤلاء في المسجد الجامع بقرطبة مائة وتسعة وخمسين من أئمة ومقرئين وأمناء وموزنين وسدنة وموقدين ، وغيرهم من المتصرفين ، ( ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ٩ ، ص ٢٨٨ ) .

وينقل ابن غالب المؤرخ الأندلسي أن ما كان " يعمره ويخدمه من الخطباء والأئمة والموزنين والقومة مائة رجل وعشرات ، لهم من الدنانير على اختلاف منازلهم ثمانية دنانير في الشهر ، مكافأة على رتبهم ، وتعطيل أشغالهم ، حاشا الديار لسكناهم " ، ( عبد البديع ، الاسلام في اسبانيا ، ١٩٥٨ ، ص ١٨٤ ) .

عند مثل اولئك الأئمة والموزنين والخطباء ، كان الطلاب يجدون بغيتهم ، يحصلون على ما يريدون من العلم دون أن يكلفهم ذلك أجرا ، لأن أستاذتهم يتقاضون

(١) مقلص : يلصق القلنسوة ( تكتب بالسين والصاد ) ، أى أنه كان لعلماؤهم رزى خاص كالعلماء فوق الرووس ، لا يتوج رأسه بها الا من كان ذا حظ عظيم من الفقه والحديث ، ومعرفة الكتاب والسنة ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٤ ، ) تحقيق الرضاوى ( ، ٢ ، ص ٣١٤ ) .

راتها معلوما من الحكام ،بالإضافة الى الدور التي فتحت لهم لمسكناتهم . وفي مثل هذه المساجد كان طلاب العلم يلقون انواعا متعددة من الخدمات التي يقدمها لهم القومسة في المساجد ، وذلك يضمنون انصرافهم التام الى العلم والتعلم .

لم يقتصر بناء المساجد على المدن الكبيرة ، بل كان في كل قرية بها جماعة مسلمة ، لأن المسجد مكان لا يستغني عنه المسلم ، فهو دار عبادة تقام فيه الصلاة أحسن أركان الاسلام الخمسة ، وفيه يلتقي المسلمون ، فيتجاذبون الحديث حول شؤنهم الحياتية اليومية والعامة ، ويمارسون فيه أنواعا من السلوك تنعكس على تربية شخصياتهم .

ان أى حاكم مسلم لا يستطيع أن يصرف عنايته عن بناء المساجد ، نظرا للدور الكبير الذي قامت به في حياة الجماعات الاسلامية ، ومن هنا كان بناء المساجد صفة مشتركة بين جميع الحكام المسلمين ، ينفقون على بنائها من الموارد العامة للدولة ، سواء أكان ذلك مما يدفعه المسلمون من الزكاة ، أو من الضرائب التي تأخذها الدولة على البضائع والأراضي .

أما ما تميز به الحكام ، احدهم عن الآخر في دعم الحركة التعليمية ، وفيما تركسوه من آثار عليها ، فسيبحث عنه من خلال مواقفهم الشخصية وفي اطار الدول التي انتمسوا اليها ، وظالها ما كانت تسمى باسم العائلة الحاكمة مثل ( الامويين ، بني عباس ، بنسبي جمهور ، المرابطون ... الخ ) .

### مواقف الأمويين

لقد كان لشعور الأمويين بمعظمة ماضيهم ، وقد رتبهم على منافسة بغداد المشرق - عاصمة العباسيين - أشرقوى في تحريك الهمم الى طلب العلم . فعبد الرحمن الداخل "عاش في مصرأبي جعفر المنصور الى زمن هارون الرشيد ( ١٣٢ هـ - ١٨٢ هـ ) ، وكان الحكم بن هشام معاصرا للمأمون ( ١٨٠ - ٢٠٦ هـ ) ، فكانت الدولتان تتسابقان فسي ميدان العلوم والحضارة ، وكانت قرطبة بغداد كميتي العلماء ومضيي العلم والفنون " ، ( ضيف ، بلاغة العرب ، ١٩٤٤ ، ص ٥ ) .

كان أغلب الحكام الأمويين - بمقاييس عصرهم - علماء وأدباء ، وقل أن تجد من يشذ عن هذه القاعدة ، لأن في انصراف الأمير عن اعداد نفسه للمسؤولية ، وفي انصرافه عن تأديتها وتثقيفها سببا في ابعاده عن الحكم في أحيان كثيرة ، ولذا عني الأمراء والخلفاء بتربية أبنائهم وتعليمهم ، نظرا لما ينتظرهم من سوء ولغات جسام في تدبير أمور البلاد التي يسوسونها ، وتلبية لما يتوقعه المجتمع الخلف من حاكمه ، والحاكم يصعبه لتثقيف نفسه وتعليمها يعكس مستويات التعليم والثقافة لدى أبنائه المجتمع الذي يحكمه .

لعل أسبق القرارات الهامة في تاريخ التعليم في الأندلس ، ما قام به الأمير هشام الأول ( حكم من ١٧٢ - ١٨٠ هـ = ٧٨٨ - ٧٩٦ م ) ، إذ جعل اللغة العربية لغة التعليم في معاهد النصارى واليهود التابعة لحكمه ، بالإضافة الى كونها لغة التعليم عند المسلمين . لكننا ينبغي ألا نفهم من ذلك أنه أجبر النصارى واليهود على التعلم بهذه اللغة . أي أن قبول هؤلاء اللغة لم يكن قسريا ، بل كانوا يعشقون هذه اللغة وتحضرهم روعة التعبير بها (١) .

وعندما خلف الحكم أباه هشام ( حكم من ١٨٠ - ٢٠٦ هـ = ٧٩٦ - ٨٢٢ م ) ، كلف عباس بن ناصح بالسفر الى المشرق لاكتساب الكتب القديمة ، فأثناء بكتاب السند هند (٢) ، وغيره من الكتب لتعليم ولده عبدالرحمن الثاني الملقب بالأوسط ( حكم من ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ = ٨٢٢ - ٨٥٢ م ) ، وكان لكتاب السند هند أثره في الأندلس وفي الغرب الأروبي ، إذ عن هذا الطريق دخلت الأرقام الهندية .

كان من أثر رعاية الحكم بابه عبدالرحمن أن شب محبا للعلوم ، شغوبا بهما ، ونصيرا للعلماء والأدباء والفنانين " كان عالما بعلوم الشريعة . . . وحنيف في أيامه الجوامع في كور الأندلس " ، (المقرئ ، نفخ الطيب ، ج٣ ، (تحقيق الرقاعي) ، ص ١٢٥ - ١٢٦) .

(١) انظر ، لغة التعليم في الفصل الثاني .

(٢) مر التعريف بالكتاب في الفصل الثاني .

وكان مولعا بالفلك والتنجيم ، وقد أحاط نفسه بمنخبة من علماء الفلك ، وأدرك عليهم الأثر ، والنجم ، (المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ٤٨ ) و ( ٢ ) ، أخبار مجموعة ، ١٨٦٢ ، ص ١٣٥ .

وفي عهده وصل زهاب الى الأندلس باستدعاء من أبيه الحكم قبل موته ، فأكرمه عبد الرحمن الأوسط " وأنزله في دار من أحسن الدور ، وحمل اليه ما يحتاج اليه ، وخلص عليه . بعد ثلاثة أيام ، استدعاء وكتب اليه في كل شهر بمائتي دينار راتباً ، وأن يجري على بنيه الذين وفدوا معه . . . عشرون ديناراً لكل واحد منهم كل شهر ، وأن يجري على زهاب من المعروف العام ثلاثة آلاف دينار ، منها لكل عيد ألف دينار " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٤ ) ، ( تحقيق محي الدين ) ، ١٩٤٩ ، ص ص ١٢٠ - ١٢١ ) . ولزهاب هذا سيكون شأن في نشوء وازدهار مدينة قرطبة ، سيأتي الحديث عنها .

وفي كنف عبد الرحمن الأوسط ، عاش العالم العربي الشهير عباس بن فرناس ، الذي قام بأول محاولة طيران في التاريخ . وعندما وقف تيار العامة ضد ابن فرناس وشنع عليه ، وطعن عليه في دينه ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ١٩٥٣ ، ص ٣٣٣ ) ، وقف الأمير عبد الرحمن الراجاني ، فكان لذلك الموقف أشبه البعيد في حياته وفي حياة الطلاب الذين أخذوا عنه .

وما يروى أن الأمير عبد الرحمن طلب الى عباس بن فرناس أن يعمل آلة لصد حركات الكواكب والنجوم تسمى عندهم ( ذات الحلق ) ، وقد صنعها ابن فرناس ، وقد صعد للأمير محمد بن عبد الرحمن مع أبيات من الشعر . ثم كلفه الأمير محمد نفسه بعمل آلة لمعرفة الأوقات ، فعمل له آلة تعرف بها الأوقات في الليل والنهار ( بتول سعيد ، الأقلام ، ج ٣ ، ١٩٦٦ ، ص ص ٥٤ - ٥٥ ) .

الى جانب ما أبدعه ابن فرناس في العلوم ، فانه فك رموز كتاب " المثال " في العروض للخليل بن أحمد ، في الوقت الذي لم يجد فيه الأمير عبد الرحمن الأوسط أحدا يفكها له ، وظل الكتاب مطروحا في زوايا القصر ، وكأنه أعجوبة طلاس لا يستطيع أحد فهمه ، حتى وقع بيد عباس بن فرناس ، الذي أدرك بثاقب فكره ان المؤلف ( الخليل بن أحمد ) لا بد وأن

يكون قد وضع كتابها قبل " المثال " يهجد له ويفسر ما فيه . وعند ما بعث الأمير إلى المشرق من يسأل عن هذا الكتاب ، وجده وطاد به إلى عباس بن فرناس ، الذي استطاع أن يفهم من خلال الكتابين علم العروض ، ويهيك رموزه ، وينشره على الناس للتعليم ، ولقاء ذلك وصله الأمير بثلاثمائة دينار مكسوة ، ( بتول سعيد ، الأقلام ، ج ٣ ، ١٩٦٦ ، ص ٥٦ ) .

وسا نقل عن عبد الرحمن الأوسط أنه أوصى حبيب بن الوليد الرواني الأسوي ، المعروف بدحون القرطبي ، بترك لبس الوشي الشامي عند ما بلغه أنه كان يلبسه فسي حلقة له بجامع قرطبة أثناء أسبوعه الحديث ، فامتلأ لما طلبه منه الأمير ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٩ ، ( تحقيق الرقاعي ) ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ) .

مهما كانت الأسباب وراء طلب الأمير ، فإن ذلك دليل على اهتمامه بأخبار المعلمين ، فلقد كان في الحلقات من ينقل له أخبارهم ، ومن يتدخل في خصوصيات اللباس ، لا بد أنه كان يتدخل في غير ذلك من أمور المعلمين ويهتم بها .

وينقل ابن سعيد أن عبد الرحمن الأوسط سجن بشر بن حبيب ( السابق ذكره ) ، بعد أن تشفع فيه وأطلقه ، رحل إلى المشرق ، ثم عاد يعلم غزير ، وكانت له حلقة بجامع قرطبة ، ظل يلتقي فيها بطلبته إلى أن نهاء عبد الرحمن عن ذلك ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ١٩٥٣ ، ص ٦٢ ) .

ما السر في ملاحقة الأمير لحبيب ولا يهت به بشر ؟ انه نهى ( حبيب ) أن يلبس الوشي الشامي ، ثم سجن ( بشر ) ومنعه من التعلم . هل كانت لهما مطامح سياسية ؟ هل كان في تحلق الناس حولهما ما يثير شكوك الأمير ؟

ان ما نقله ابن سعيد يرجح أنه موقف سياسي ، عند ما ذكر أن سجن بشر كان بسبب شعر قاله ، ومنه هذان البيتان :

لأضر من جميع الأرض قاطبة	نارا وأبلغ ما لا يبلغ الأجل
أنا الذي ليس في الدنيا له مثل	ما ارتقائي في العليا جرى المثل

انهما أُمويان ، وليس من المستبعد أن تكون لهما تطلعات الى الملك ، لكن ذلك لا يمنعنا أن نستشف من هذا الموقف ، محاولة الأُمراء لضبط عملية التعليم وخاصة في المرحلة العليا من التعلم .

ثم ينشأ الخلاف من الأُمراء على حب العلم ، وتبقى سلسلة الرعاية متصلة الحلقات ، فمحمد بن عبد الرحمن الأوسط يقف مع ( بقي بن مخلد ) ، الفقيه ، عندما طرد من المشرق مع مصنف أبي بكر بن شببة (١) ، وقعد لا قرائه وتعليمه ، فأندكر عليه جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف ، وأثارت العامة ضده ، ومنعوه من قراءته ، فوصل الأمر الى الأمير محمد الذي قرأ الكتاب وتصفح جزءاً جزءاً الى آخره وأعجب به ، ودفعه الى خازن الكتب قاثلاً : " هذا كتاب لا تستغني عنه خزانتنا ، فانظر في نسخه لنا ، ثم قال ( بقي بن مخلد ) : انشر علمك وارو ما عندك من الحديث ، واجلس للناس حتى ينتفعوا بك ، فنهاهم أن يتعرضوا له " ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ١٩٥٣ ، ص ٥٢ ) و ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٩ ) و ( المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ٤٩ ) و ( الحميد ، الجدوة ، ١٩٦٦ ، ص ١١ ) .

لقد أصبح ( بقي بن مخلد ) بفضل علمه وبفضل موقف الأمير علماً مشهوراً ، وأدباً علمه لما ثار الناس عليه ، ولولا علمه لما قدمه الأمير ، وبعد ما انصرف ( بقي بن مخلد ) الى نشر علمه في الفقه والحديث ، وألف كتاباً في التفسير قال فيه ابن حزم : " أقطع أنه لم يؤولف في الاسلام مثل تفسيره ، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره " ، ( المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ٥٠ ) ، وفيه يقول أحمد أمين : " نقل العلوم نقلة جديدة ، لانه جمع أحاديث كثيرة وصنفها على حسب أبواب الفقه ، ومن الاستنباط منها ، فكانت كتبه كتب حديث وفقه معا " ، ( أحمد أمين ، ظهير الاسلام ، ج ٣ ، ١٩٦٦ ، ص ٥١ ) . وتقول رواية ( ابن عذاري ) : " ان الأمير وصله ، وأصبح في زمرة فقهاء ، ورفع من منزلته ، وظل عظيم القدر عند الناس ، وعند الأمير الذي أعجب به ( بقي ) لشافته وأدبه وعلمه ، وقال فيه :

( ١ ) كتاب في الحديث .

ما كلمت احدا من ملوك الدنيا ، اكمل عقلا ولا ابلغ فضلا من الامير محمد " ، ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٩ ) .

وكان الامير محمد " أعلم الناس بالحساب . . . واذا اخل أحد من خزانة وأهل خدمة الحساب بشي " من ذلك لم يجز عليه بأدنى لحظة " ، ( ٢ ، أخبار مجموعة ، ١٨٦٧ ، ص ١٤١ - ١٤٢ )

ثم يلي الحكم عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر ( ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ ) ، بعد فترة من الفلق واندلاع الثورات في الاندلس ، فينصرف همه للقضاء على الفتن ، وإعادة الهيبة الى الملك ، وييسط سيطرته على جميع أقطار الاندلس حتى بر العدو (مراكش) وكان أول امير أموى في الاندلس يلقب نفسه بالخليفة سنة ٣١٧ هـ ، عندما بلغه ضعف الخلافة العباسية بالعراق ، ( الحميدى ، جذوة المقتبس ، ١٩٦٦ ، ص ١٣ ) . وعند ما لقب الفاطميون انفسهم بالخلفاء ، وغدوا خطرا يهدد الاندلس ، يضاف الى ذلك شعور الناصر بقوة الدولة الاموية في عهده . ورغم انشغاله بالحياة السياسية وبالحملات العسكرية ، فانه لم يهمل الناحية الثقافية ، اذ في عهده

وصلت هدية رومانوس امبراطور البيزنطيين ( ٣٣٧ هـ ) ، وفيها كتاب ديسقوريدس في النبات مصورا ، مكتوبا بالاغريقية ، ولم يكن يوثق بقرطبة من نصارى الاندلس من يقرأ هذه اللغة . فقال الناصر امبراطور القسطنطينية . . . ان يبعث اليه برجل يتكلم الاغريقية واللاتينية ، ليعلم له عبدا يكونون مترجمين . فبعث براهب يدعى نقولا سنة ٣٤٠ هـ ، تولى مع نفر من الاطباء بالاندلس البحث عن أسماء عقاقير ذلك الكتاب ، والوقوف على أشخاصها ، وتصحيح النطق بأسمائها ، وعاش نقولا الراهب حتى صلور دولة الحكم ، ( ابن أبي أصبعيه ، عيون الانباء ، ٢ ، ص ١٩٤ ) و ( ابن جليل ، الطبقات ، ١٩٥٥ ، ص ٢ ) .

وكان في هدية الامبراطور كتاب آخر في التاريخ هو كتاب هرويسير ، وقد قال الامبراطور حين أرسله مخاطبا عبد الرحمن : " أما كتاب هرويسير ، فعندك في بلدك من

اللطينيين من يقرأ باللسان اللطيني ، وإن كاشفتهم عنه نقلوه لك من اللسان اللطيني  
الى اللسان العربي " ، ( ابن أبي أصيبعة ، صيون الأبناء ، ١٩٦٥ ، ص ٤٩٤ ) .

والناصر هو الذي استقدم ابا علي القالي البغدادي الى الأندلس والذي سيكون  
له تأثيره العميق على جيل من المعلمين والتلاميذ ، وعلى نهضة علم اللغة في الأندلس .  
وفي زمن الناصر عاش محمد بن عبدالله بن سرة القرطبي ( ٢٦٩ - ٣١٩ هـ ) ، لكنسه  
اتخذ منه موقفا مغايرا و " أحرق كتبه وصنفاه بأمر ( منه ) خارج باب جامع قرطبة ،  
لأنها كانت تتضمن اشارات فاضحة ، وصارات عن منازل الملحدين ، وكان مذهبه يجمع بين  
التصوف والاعتزال " ، ( سالمه تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ١٩٦٢ ، ص ٣١٢ ) .  
وسبب ذلك " شن عليه فقهاء المالكية . . . حيا شعوا " ، ( الدوسلي ، العلم عند  
المرب ، ١٩٤٨ ، ص ٣٥٠ ) ، ولم يكن موقف الناصر الا استجابة لموقف الفقهاء ، ومثل  
هذه المواقف ستتكرر حيال كل مفكر لا تعجب الفقهاء آراؤه ، مما ترك آثاره على الحركة  
الفكرية في الأندلس ، كما ترك آثاره في غيرها ، وإلى مثل هذه المواقف من الفقهاء المتزمتين  
أشار منذر بن سعيد البلوطي (١) قاضي الناصر وأثيره ، والذي يقول فيه الحميري : " كان  
نظارا لا يقنع بالتقليد ، ومن قوله في استقصاء هذه الفرقة ( يعني المقلدين ) :

عذيري من قوم اذا ما سألتهم      دليلا يقولوا هكذا قال مالك  
فان زدت قالوا قال سحنون مثله      وقد كان لا تخفى عليه السالك  
فان قلت قال الله ضجوا وأعولوا      علي وقالوا أنت خصم ما حاك

( الحميري ، الروض المعطار ، ١٩٢٥ ، ص ٩٥ - ٩٦ ) .

هذا القول يدل على وجود فئة كانت تكرر حرية التفكير ، وإنما تحفظ اقوالا ترددها  
دون أن تفكر في ملامتها لواقع الناس ، ومن أجل ذلك لجأ ابن سرة وأمثاله الى التخفي  
والتستر ، وكان لا يعرف مكانه الا تلاميذه ومريده .

(١) كان القاضي منذر متقفا بالمذهب الظاهري ، ويحكم في قضائه بمذهب الامام  
مالك ، المذهب الرسمي لأهل الأندلس ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، تحقيق  
احمد الرفاعي " ، ص ٤٤ - ٤٥ ) .



إذا تجاوزنا عهد الناصر ، نلتقي بأمنه الحكم المستنصر ، الذي لم تكن فترة حكمه بداية  
عنايته بالعلم والعلماء ، وإنما انصرف إلى هذا العمل وهو أمير ، وكان والده كفاء أمور المملكة  
الأخرى ، ليتفرغ هو للعلم والثقافة ، فسمي بالأمير المثقف ، وضرب الشل بحكمته وذوقه وعلو شأنه  
في سائر العلوم ، ووضع مع الأعلام البارزين في التاريخ العربي الذين دفعوا الثقافة إلى قمم  
ازدهارها .

لقد تعرضت الدراسة<sup>(١)</sup> الجانب من دوره لدى الحديث عن المكتبات ، وستحاول هنا القاء  
الضوء لكشف جوانب أخرى من جهوده ، والتي تحتاج إلى بحث مستقل لاستقصائها ، وببيان  
أثرها على الحركة التعليمية في الأندلس .

يجمل صاعد التغلبي دور الحكم المستنصر بقوله : " . . . لما مضى صدر من المائة الرابعة ،  
انتدب الأمير الحكم المستنصر . . . وذلك في أيام أبيه إلى العناية بالعلوم وإيثار أهلها  
واستجلب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار المشرق عيون التأليف الجليلة والمصنفات الغريبة  
في العلوم القديمة والحديثة ، وجمع منها في بقية أيام أبيه ، ثم في مدة ملكه من بعده . ما كاد  
يضاهي ما جمعه ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة " ، ( صاعد التغلبي ، طبقات الأئمة ،  
١٩٦٧ ، ص ٨٦ ) و ( ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ١ ، ١٩٦٣ ، ص ٢٠١ - ٢٠٣ ) .  
إن الحكم من خلال ما قام به من العناية بالكتب وجمعها ، كان يهيئ أهم وسائل التعليم ،  
وتعيينه النساخ في مكتبته وخارج مملكته ، إيمان على تيسير نشر الكتاب والحصول عليه ، ولم ييخل  
في هذا الشأن بالمال ، إذ دفع لأبي الفرج الأصفهاني<sup>(٢)</sup> ألف دينار ذهباً لقاء حصوله على نسخة  
من كتاب الأغاني قبل نشره في بغداد ، ( ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ١ ، ١٩٦٣ ، ص ٢٠١ ) .  
ولقد شجع الكثيرين على تأليف الكتب ، إذ ذكر منهم على سبيل المثال السريدي  
" وكان من الأئمة<sup>(٣)</sup> في اللغة العربية ، والف في النحو

(١) انظر الفصل الثاني عنوان " الكتب والمكتبات "

(٢) كان إرسال أبي الفرج الأصفهاني كتابه إلى الأندلس جازفة ليس من السهل القيام بها ،  
إذ كان موالياً للمؤمنين في الأندلس .

(٣) وردت في المصدر ( الأئمة ) والنصوب للدارس .

كتابا ساء "الواضح" واختصر كتاب "العين" اختصارا حسنا ، وجمع في "الأبنيّة"  
وفي "لحن العامة" وفي أخبار النحويين كتابا شهيرة " ( المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ،  
ص ٦٢ - ٦٣ ) ، ومنهم أبو عبد الله محمد بن يوسف الوراق التاريخي الحجاري " ألف  
للخليفة الحكم المستنصر كتابا ضخما في مالكة أفريقيا وسالكها " ، ( شكيب أرسلان ، الحلل  
المنيرة ، ج ٢ ، ١٩٣٦ ، ص ٧٣ ) ، وللحكم أيضا ألف ابن زيد الاسقف القرطبي كتساب  
" تفصيل الأزمان ، ومضال الأبدان " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٤ ، " تحقيق محي الدين ،  
١٩٤٩ ، ص ١٧٦ )

لقد كان شغف الحكم بالكتب لا يوقف ، حتى الحرب لم تنسه هذا الشغف ،  
فعندما اعتذره عبد الله القاضي عن مصاحبته في غزو الروم بسبب ضعف في جسمه ، بحث  
له من يشترط عليه مقابل اعتذاره أن يؤلف كتابا في أشعار الخلفاء الأمويين بالمشرق  
والأندلس على مثال كتاب الصولي في أشعار بني العباس . قبل عبد الله الشرط ، ونزل  
في دار الطلك لا تمام كتابه ، وكمل في مجلد صالح ، حمله أحمد بن نصر - أحد رجالات  
الحكم - ولقيه به في طليطلة ، فسر به كثيرا ، ( الضبي ، بقية الملتقى ، ١٩٦٧ ، ص ٣٣٣ ) .  
هذه أشلة لجهود الحكم في التأليف ، وأما ما قام به العلماء فعلا في التأليف فانه كثير .  
لم تقتصر جهود الحكم على التكليف في تأليف الكتب ، بل كان يوجه المؤلفين فسي  
خطة الكتاب وفي مضمونه ، ويقدّم لهم من مكتبته مراجعهم ، ومن ثقافته وطلعه ومن رواياته  
وحفظه ، ثم ينشر مؤلفاتهم على نفقة الخاصة ، كما فعل في مؤلفات ابن عبد الوهّاب صاحب  
كتاب العقد الفريد ، ( أحمد ضيف ، بلاغة العرب في الأندلس ، ١٩٢٤ ، ص ١٠ ) .

ولعل من أهم ما يذكر في هذا المجال مواقف العلماء ، والبحث عنهم ،  
واستقدامهم الى قرطبة من أنحاء الأندلس ومن خارج الأندلس ، فكان هؤلاء الواقفون  
بشاكرون في الحركة التعليمية والتأليفية ، ويمتد تأثيرهم في عدة أجيال من خلال تلاميذهم  
ومؤلفاتهم ، وأوضح مثال على هؤلاء أبو علي القالي البغدادي ، الذي استنداه الناصر ،  
وأكرم وفادته مع ابنه الحكم ، فكان لهجرة من بغداد الى قرطبة أثر كبير ، إذ أحضر معه من

بغداد وواهب الشعر الجاهلية والاسلامية مقروءة على العلماء ، محققة الأصول ، قراها على علماء كبار امثال لفظيهم وواهب دريد وغيرهما . وفي جامع قرطبة جلس لا قراء هذه الكتب وتدريسها ، فتخرج على يديه طائفة من العلماء - وخاصة علماء اللغة - الذين تأثسروا بخلفه وشخصيته ، وصاروا على المدى البعيد تلاميذ مخلصين يدافعون عن طريقتة ومذهبه ، وكونوا مدرسة تنتهي بأصولها وطرائقها اليه . وعندما جاء صاعد البغدادي (١) تعرض له هؤلاء التلاميذ ، وحاولوا الحط من قدره ، وانتصروا لأستاذهم ابي علي عندما شعروا أن مجيئ صاعد قصد به احتلال مكانة ابي علي البغدادي .

ثم كان أثر القالي بما تركه من مؤلفات ، أملاها على طلابه في جامع قرطبة ، وسار حديثها وأثرها في كل المدن الأندلسية (٢) ، منها "كتاب (البارع) في اللغة . . . . . وكتاب المقصور والمدود ، وكتاب في الابل وشائجها ، وكتاب في حلى الانعام والخيل وشيائنها ، وكتاب فعلت وأفعلت ، وكتاب مقاتل الفرسان " ، (ابن خلكان ، وفیات الأعيان ، ج ٢ ، ٢ ، ص ص ٢١٢ - ٢١٣) .

ويروى عن الحكم - بالاضافة الى ما تقدم - أنه فتح سبعة وعشرين مكتبا لتعليم أولاد الفقراء ، (ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ٢ ، ص ص ٢٤٠ - ٢٤١) . وكان من جملة ما وقفه على المعلمين حوانيت السراجين في قرطبة وأمرهم بتعليم أولاد الضعفاء والساكنين ، (سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ١٩٧١ ، ص ٢٠٦) .

ان ما قام به الحكم يومئذ ما ذهب الدارس اليه ، في أن الفرص لم تكن متكافئة لأبناء الأندلسيين في الذهاب الى مكاتب التعليم وحلقاته ، وأن بعض الآباء كانوا غير قادرين على تعليم أبنائهم ، ذلك ما شعر به الحكم المستنصر ، ففتح المكاتب لتعليم أولاد الفقراء ، ووقف على المعلمين حوانيت السراجين في قرطبة ، لمساعد أولئك الضعفاء على أخذ

(١) ستذكر قصة صاعد لدى الحديث عن أثر المنصور في الحركة العلمية .

(٢) للاطلاع على ما جلمه ابو علي القالي من كتب مشرفة يمكن الرجوع الى فهرسة ابن خبير

نصيبتهم من التعليم .

ولم يكتف بذلك ، بل كان يتفقد الطلاب والمعلمين بزياراته ، ويذكر أن أبا الحسن الانطاكي عين للقراءة خلف بن حسين بن - وان ابن حيان يوم زاره الحكم المستنصر بالله ، لأنه كان حسن الصوت ، ( ابن الأثير ، الذميلة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٢٩٥ ) .

وكان الحكم باراً بالمعلمين ، عطوفاً عليهم ، يحترمهم من أجل ما يحملونه من علم ، فعندما استدعى اسحاق بن ابراهيم بن مسرة من مجلس تعليمه لم يجبه الى طلبه " الا بعد أن أنهى حلقة مع طلابه ، وكان ما قاله لرسول الأمير :

سمعا وطاعة لأمر المؤمنين - ولا عجلة - فارجع اليه وعرفه - وفقه الله - عني ، أنك وجدتي في بيت من بيوت الله اسمعهم حديث ابن عمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فهم يقسمون عني ، وليس يمكنني ترك ما أنا فيه . . . . . وتقبل الحكم منه ذلك مسروراً ، وصعد بالخادم ينتظره حتى يفسرغ ، ثم طلب من الأمير أن يفتح له باباً من أبواب قصره لا يفتحه ، لكونه أقرب الأبواب اليه - وهو لا يستطيع المشي طويلاً - فأجابه الحكم الى طلبه .  
( المقرئ ، نفع الطبيب ، ج ٣ ، " تحقيق الرقاعي " ، ص ٢١٣ -

٢١٨ ) .

هكذا كان الحكم بثقافته العميقة الشاملة ، وحرصه ودأبه ، من أكبر دعائم الحركة التعليمية في الأندلس ، من خلال ما وفره من كتب ومكتبات ، ومن خلال تشجيعه الصادق والمعنوي للمعلماء في رحلاتهم العلمية وفي تأليفهم ، ومن خلال ما هبأه من جوائز التمامح والحرية ، الذي كان من نتائجه " أن ظهرت المدارس ، واجتمع المشتغلون بكل علم من العلوم بعضهم الى بعض . . . وأباح لأهل الرياضة والفلك تعاطي فنونهم وتدريسها لجمهور الناس ، ومن ثم ظهرت الى الوجود مدرسة الرياضي الفلكي المشهور " سلمة المجرطي ، توفي ٣٩٤ هـ = ١٠٠٤ م " ، ( بالنبيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ٤٤٨ ) . ومن نتائج هذا التمامح أيضاً بقاء مدرسة ابن مسرة الذي أحرق والده الناصر

كتبه " وكان معظم تلاميذ ابن سيرة من أهل الأدب والمؤرخين المعنيين بالجدل والتفكير الفلسفي " ، ( بالنسبة ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ٣٣٠ ) .

جاء بعد الحكم ابنه هشام الذي تولى العهد صغيرا ، مما أتاح المجال لمحمد بن أبي طاهر الطقب بالحاجب المنصور ، ومساعدة أم هشام (صاحب البشكنسية ) ، أن ينفرد بالسلطان ، ويحسب السلطنة ، فيحافظ على هيبتها في أعين الأعداء ، وعلى استقرارها في الداخل ، وما يعنيننا من تاريخ المنصور هنا هو دوره في الحركة التعليمية .

كان أول عمل قام به المنصور (١) ( حكم من ٣٦٦ - ٣٩٢ هـ ) بالنسبة للحركة الثقافية منسجما مع خطته لاغتصاب السلطة من هشام المؤيد ، فلقد بدأ حياته السياسية بتصفية خصومه السياسيين ، وعلى رأسهم الحاجب أبو جعفر المصفي ، ثم اعتمد نفسي الجيش على البهر ، ورتب وزراءه وأعوانه في الحكم ، وكى يكتسب رضى العامة عند الخزان الحكم الجامعة للكتب فأخرج ما فيها من المؤلفات في علوم المنطق والنجوم وغير ذلك من علوم الأقال ، وأحرق بعضها ، وطرح بعضها في آبار القصر ، تحبها لغوام أهل الأندلس ، وتقبها لمذهب الخليفة الحكم عندهم ، ولكنه حافظ على العلوم التي يرضى عنها الأندلسيون فأبقى مؤلفات النحو واللغة والأشعار والأخبار والفقه والحديث والطب ، ( صاعد ، طبقات الأمم ، ١٩٦٢ ، ص ٨٢ ) .

لقد كان من نتائج عمل المنصور ، أن انصرف الناس عن تلك العلوم ، وصاروا يكتفون ما يعرفونه منها كيلا يتعرضوا لتهمة الإلحاد ، وشغب العامة . ولنا أن نتصور بعد ذلك الضرر الذي تجره مثل هذا الموقف على الفكر ، وعلى اتجاهات التفكير عند الناس . وأظن أيضا أن الدوافع السياسية لدى المنصور هي التي أخطت الطبيب أحمد بن حكم بن حفصون الموصوف بالفطنة ودقة النظر ، وحبسه بالفلسفة والمنطق ، والذي خدم الحكم المستنصر بمواسطة الحاجب جعفر المصفي ، حيث اسقط من ديوان الأطباء بعد موت الحاجب سب

(١) رغم أن المنصور ليس أمويا ، لكنه سلك تحت العهد الأموي ، لأن السلطان الأسدي للخليفة الأموي ظل قائما في الفترة التي حكمها المنصور وفي عهد ولديه أيضا ، وعندهما .

جعفر ( صاعد ، طبقات الأمم ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٣ ) ، والمعروف أن المنصور هو الذي قتل الحاجب جعفرا .

أما فيما يتعلق بالعلوم اللغوية والأدبية ، فقد لعبت مجالس المنصور دورها ، إذ " كان له مجلس معروف في الأسبوع يجتمع فيه مع أهل العلم للكلام فيها بحضرته ، ما كان مقيما بقرطبة ، لأنه كان ذا همة ونية في الجهاد ، مواصلا لغزو الروم " ، ( الضبي ، بغية الملتنس ، ١٩٦٧ ، ص ١١٦ ) و ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ١٩٥٣ ، ص ١٩٤ ) ، وفي مثل هذه المجالس ، ( الضبي ، بغية الملتنس ، ١٩٦٧ ، ص ص ٣٢١ - ٣٢٢ ) ، كان تلامذة أبي علي القالي البغدادي - الذي سبق ذكره - يتصدون لصاعد البغدادي اللغوي المشهور ( قدم الأندلس ٣٨٠ هـ = ٩٩٠ م ) والذي " بلغه أن اللغة بالأندلس مطلوبة ، والآداب هناك مرغوب فيها ، من ملوكها ورعياتها فارتحل إلى الأندلس " ، ( القفطي ، أنباء الرواة ، ج ٢ ، ١٩٠٨ ، ص ٨٥ ) .

وفي مجالس المنصور ، خضع صاعد لأكثر من اختبار في الأدب واللغة والشعر ، فأعجب المنصور بأدبه ما رتجاله الأشعار ، وكلفه بتأليف كتاب " الجواس " ابن قعطيل المذحجي مع ابنة عمه عفرا " وكان المنصور كثير الشغف بهذا الكتاب . . . حتى رتب له من يخرج له أمامه كل ليلة " ، ( المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ٧٨ ) ، كما طلب منه أن يؤلف كتابا كما فعل أبو علي القالي في الأمالي ، فأملى كتابه " الفصوص " في مدة قصيرة ، وعند ما سمعه من في مجلس المنصور من أدبا " تتبعوه " فلم تعرفه كلمة صحيحة عندهم ، ولا خبير ثبت لديهم " ، ( بالنشيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ٦٧ ) ، ورغم ذلك فقد أثابه المنصور عليه بخمسة آلاف دينار ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٣ ، تحقيق الرفاعي ، ص ٢٨٣ ) ، وأمره أن يسمعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة في عقب سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، واحتشد له من جماعة أهل الأدب ووجوه الناس أمة " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ٢٣٨ ) .

إن مجلس المنصور الأدبي الذي ناقش الحاضرون فيه ، كتاب صاعد البغدادي ، أشبه بالمجالس واللجان العليا في عصرنا التي تقرر كتابا للتدريس ، فرغم السقطات الشبي

تتبعها الأديباء والعلماء الحاضرون مجلس المنصور في كتاب صاعد ، فان المنصور يكافئه عليه ويأمره أن يسمعه الناس بالمسجد الجامع ، ويقبل الناس على ذلك .

تري ، هل قصد المنصور مخالفة آراء مجلس أديبائه وعلمائه ؟ أم أن ما نقله من تخطيقاتهم لصاعد كان فيه مخالفة ؟ وأن غالبية الحاضرين أثنت على كتاب صاعد ، فأخذ المنصور برأي الأغلبية ؟

يرجح أن ذلك هو ما حدث ، إذ لا يعقل أن يطلب المنصور من صاعد اسماع كتاب كله خطأً وعبوب .

لقد شجع المنصور آخرين غير صاعد على التأليف ، منهم أحمد عبد الملك بن هشام المعروف بابن الكوي لا شبيلي ، وأبا مروان المعيطي الفقيه ، يجمع كتاب في أقاصيل مالك رحمه الله ، ( الصوفي ، المنصور بن أبي عامر ، ؟ ، ص ٢٥٢ ) .

ورغم شغل الملك ، فان المنصور كان يزور المدارس ، ويحضر أحياناً حلقات الدروس ، ويستفسر الطلاب عن مشاكلهم ، ويحثهم على الاستزادة من العلم ، ويمنح المكافآت للمتفوقين منهم ، ( عبد الكريم التواتي ، انبهار الوجود العربي في الأندلس ، ؟ ، ص ٦٦٣ ) .

### ملوك الطوائف والحركة التعليمية

كان كل من ملوك الطوائف حريصاً على أن يجمع في بلاطه الشعراء والأديباء والعلماء ، ليباهي بهم البلاطات الأخرى ، وليشيد الشعراء منهم بفضائله ومكرماته ، وكان هذا التنافس خيراً على الحركة العلمية والتعليمية .

تبرز في دول الطوائف أسماء ملوك مثقفين ، اعتنوا بجمع الكتب ، بتشجيع العلماء ، ويفتح قصورهم للمجالس العلمية ، التي كان لها أثرها في الشعر والأدب والنقد ، واللغة والفقه والعلوم .

ففي بلاط بني ذي النون يلمع اسم ابراهيم بن يحيى النقاش المعروف (بابن الزرقيا) ، ويفوق أهل زمانه بأرصاد الكواكب والنجوم ، ومحمد بن بهال صاحب كتاب الفلاحة ، (أحمد بلا فريسيج ، الأدب الاندلسي ، ج ١ ، ١٩٤١ ، ص ٦٤ - ٦٥) ، الذي تبد عليه الصبغة التعليمية فيما يعرضه عن حياة النباتات المختلفة ، وأشجارا ، أزهارا ، وعن كيفية العناية بها وترتيبها .

وكان المعتض بن صمادح (توفي ٤٨٤ هـ) " يعقد المجالس بقصره للمذاكرة ، ويجلس يوما في كل جمعة للفقهاء والخوادم ، فيناظرون ، بين يديه في كتب التفسير والحديث " (ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ١٩٦٣ ، ص ٨١ - ٨٣) و (ابن سعيد ، المغرب ، ج ٢ ، ١٩٥٣ ، ص ١٩٦ - ١٩٧) ، وفي بلاط المعتض عاش ثلاثة من أشهر الشعراء هم أبو عبد الله بن الحدا ، وابن عبادة وابن الشهيد . وكان المظفر بن الافطس (٤٣٦ - ٤٥٣ هـ) أو (٤٦٠ هـ) " جم المعرفة ، محبا لأهل العلم ، جماعة للكتب ذخايرة عظيمة " (المقرئ ، نفع الطيب ، ج ٤ ، " تحقيق محي الدين " ١٩٤٩ ، ص ٣٥١) ، وينقل المقرئ عن ابن بسلم أن المظفر ألف كتاب التذكرة المشهور (بالمظفر) في خمسين مجلدا " يشتمل على فنون وعلوم ومغاز وسير وفضل وخبر " (المقرئ ، نفع الطيب ، ج ٤ ، " تحقيق محي الدين " ١٩٤٩ ، ص ٣٥١) و (المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ١٢٨) و (ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٣٩٣) . وكان للمظفر مواسم وأيام يستقطب فيها أهل العلم والمعرفة في يابرة وشتين ولشونة . كما كان لولده عمر دور في التأليف شعرا ونثرا .

أما في بلاط بني عباد ، فقد ازدحم فيه الشعراء أكثر من غيرهم ، فلقد كان المعتض نفسه شاعرا " واجتمع له من الشعراء وأهل الأدب ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الاندلس " (المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ١٥٨) ، ولم يتركه الشعراء حتى في منفاه ، فالحصري الشاعر ألف له كتاب " المستحسن من الأشعار " وقدمه له في طنجة " (المقرئ ، نفع الطيب ، ج ٥ ، " تحقيق محي الدين " ١٩٤٩ ، ص ٣٧٩) ، وإلى أبيه المعتض عباد : " قدم الاعلم العالم النحوي شرحه لأبيات كتاب سيويه ، وفي مقدمته يقول المؤلف : " هذا كتاب أمر بتخليصه وتهذيبه وتخليصه المعتض . . . عناية منه بالأدب وميلا إليه ، وتهما بعلم لسان العرب وحرصا عليه " (ألبير مطلق ، الحركة اللغوية في الاندلس ، ١٩٦٧ ، ص ٢٦٠) . واتصل نشاط المعتض بالمعلمين ، فقد عين فرج بن حديد المقرئ بالمسجد



المنسوب الى والدته في اشبيلية ليعلم القراءات ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٤٦٢ ) ، وكان الرازي بن المعتد " من أهل العلم والأدب ، كلف بالطالعة والدراسة ... أشرف على مذهب أبي محمد بن حزم الظاهري ، فمهر في الأصول ، وذهب الى النظر والاختيار ... وكان عالي الهمة ، عالما بالشرعيات ، واقفا على الطبيعيات ، ذا ذكرا للعرب وأنسابها ، حافظا للغاتها وآدابها " ، ( ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ١٩٦٣ ، ص ٧١ ) .

مثل هذه الثقافة لدى الأمراء ، كانت تثير نشاطا تعليميا في دوائر العلماء الذين يحيطون بهم ، فهم مهتمون دائما بمستواهم العلمي حتى يظلوا جلساء نافعين ومتعنين ، وهم يبحثون عن الكتب ويؤلفونها لتسد مثل تلك المستويات الثقافية لدى الأمراء . في دانية والجزائر الشرقية ، يلمع نجم مجاهد العامري ( توفي ٤٤٦ هـ ) ، وهو أحد موالى المنصور بن أبي عامر ، وتصبح دانية في زمنه قبلة الناس في تعلم القراءات عن أبي عمرو الداني الذي " بلغ الغاية فيها ، ووقفت عليه معرفتها ، وانتهت الى روايته أسانيدها ، وتعددت تأليفه فيها ، وعول الناس عليها وعدلوا عن غيرها " ، ( ابن خلدون المقدمة ، ١٩٦٢ ، ص ٧٨٣ ) ، و " كان أهالي الاندلس ( قبل ذلك ) يتبعون القسرات الشرقية منذ الفتح الاسلامي ، ويأخذونها كما هي بدون أن يلقوا بالا الى التعليقات والشروح الحديثة والدراسات العميقة " ، ( كليلا ، مجاهد العامري ، ١٩٦١ ، ص ١٢٨ ) وفي بلاطة عاش أحد أئمة اللغة هو ابن سيدة الذي ألف فيه أهم كتابين له في اللغة ، وهما " المحكم " و " المختصر " ، وأوى اليه ابن حزم ، بعد أن حارب فقها المالكية ، واضطروه لترك قرطبة ، بسبب مخالفته مذهبهم ، فاستقر في ميورقة ، وكان يحكمها آنذاك أحمد بن رشيق الكاتب ، عامل مجاهد العامري عليها ، والذي اشتهر بالعدل فسي سياسته وباشتغاله بالنقد والحديث ، وجمع العلماء وإشارهم " ( ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ١٩٦٣ ، ص ١٢٨ ) ، وفي ميورقة وبعد موت ابن رشيق ( ٤٤٠ هـ ) مظاهر عليه ( على ابن حزم ) الفقهاء ، واستعانوا بأبي الوليد البادي الذي عاد من الشرق في هذا العام ، فناقش ابن حزم وانتصر عليه " ، ( محمد أبو زهرة ، ابن حزم ، ١٩٤٨ ، ص ٤٨ ) .

ويرى الكاتب (أبو زهرة) أن انتصار الباجي كان بقوة السلطان ، ولم يكن بالحجة والبرهان وهكذا فإن ثقافة الأمير الدينية (أعني الأمير مجاهداً) ، كرس دانية مركزاً هاماً للدراسات الدينية ، وما يتبعها من دراسات لغوية ، و"جاء" بعده ابنه علي بن مجاهد فحذا حذوه .

وفي دولة بني هود اشتهر المؤمن بن المعتدر (توفي ٤٧٨ هـ = ١٠٨٥ م) ، فقد كان قائماً بالعدل الرياضية ، وله فيها تأليف مشـل "الاستهلال" و "المنظـر" ، ابن سعيد ، المغرب ، ج ٢ ، ١٩٥٣ ، ص ٤٣٧) ، ويذكر الدوميلي أنه صنف كتاباً في الرياضة سماه "الاستكمال" أراد به عمل تكملة لكتاب الأصول لأقليدس ، ولكتاب المجسطي ، وغير ذلك من الكتب الماثلة في الأهمية ، وقد حظي هذا الكتاب بانتشار عظيم ، ومن الغريب أنه لم يبق له أثر منه ، (الدوميلي ، العلم عند العرب ، ١٩٦٢ ، ص ٢٢٧) .

### فـي زـمن المـرابـطـيـن

يعتبر المرابطون أهل دعوة للدين ، وأهل جهاد لأعدائه ، وبهذه السمة كانت اند فلتهم الى الاندلس لاعانة ملوك الطوائف ، ولتخليصها من أعدائها ، وما لبثت الاندلس غير فترة حتى أصبحت من أملاك المرابطين (١) ، وتابعة لسلطانهم في المغرب ، وصار بلاط يوسف بن تاشفين وابنه علي مجمع الفحول في كل علم ، حتى أشبهت حضرته حضرة بنـي العباس في صدر دولتهم ، (المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ٢٢٧) ، على أن أهم ما يسجل للمرابطين من مواقف في تاريخ الحركة العلمية وبخاصة علي بن يوسف بن تاشفين - أنهم كانوا يؤثرون رجال الفقه والدين ، وكان علي "لا يقطع في جميع ملكته بأمر دون مشورة الفقهاء" (المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ٢٣٥) ، ونتيجة لذلك عظم أمر الفقهاء وكثرت أموالهم ، واتسعت مكاسمهم ، مما جعل شاعر مثل أبي جعفر أحمد بن محمد البني من أهل مدينة جيان يقول فيهمهم :

(١) ملك المرابطون غرناطة واشبيلية ومالقة وألمرية ومرسية ودانية وبلنسية .

أهل الربا لمستم ناموسكم      كالذئب أولج في الظلام العاتم  
فملكتمو الدنيا بذهب مالمسك      وقستموا الأموال باهن القاسم  
وركبتهم شهب الدواب بأشهب      وأصبع صبغت لكم في العالم

( المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ) .

ولم يحظ عند أمير المسلمين " إلا من علم علم الفروع ، أعني فروع مذهب مالك ، فنفتت في ذلك الزمان كتب المذهب ، وعمل بحفتها ، ونهذ ما سواها ، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " ، ( المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ٢٣٦ ) ، وأقبل الناس على دراسة الفروع ، لأن الخط السياسي في الدولة لم يكن يومئذ من بغيرها ، ويغفر كل من يخوض في علم الكلام لأنه بدعة في الدين ، وهذا الشأن كانت تعظم منشورات السلطان على الرعية ، مهددة بالويل كل من خاض في علم الكلام ، وأواقتسى شيئاً من كتبه ، وعمل العقصة إلى استئصال المال وسفك الدماء ، وتنفيذاً لهذا الموقف أحرقت كتب أبي حامد الغزالي ، حتى لا تقع بأيدي الناس . ويحذو حذوه الأمير إبراهيم ابواسحاق بن يوسف بن تاشفين ، حيث يسجن في مدينة شاطبة ابن باجة الفيلسوف عندما قدم إليها بتهمة الزندقة ، ( سليم التكريتي ، الأقلام ، ج ١ ، ١٩٦٦ ، ص ٧٢ ) .

وعندما تقضي المصلحة السياسية باستخدام المتكلمين ، يعود على بن تاشفين ، ويتخذ من مالك بن وهيب الفيلسوف جليسا له وأنيسا ، لينظر به محمد بن تومرت الملقب بالمهدي مؤسس دولة الموحدين ، الذي كان يدعو لتقويض دولة المرابطين على أسس موقف جديد من الدين ، ( المقرئ ، نفع الطيب ، ج ٥ ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ٢٨ ) .

### الموحدين

قامت دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين ، واستولت على معظم أملاكها فسم الأندلس ، وكان مؤسسها عبد المؤمن بن علي ( ٥٢٤ - ٥٥٨ هـ ) على مذهب محمد بن

تومرت الذي يقول بالعودة الى القرآن الكريم والسنة الشريفة " وأعادوا ( يعني الموحدين ) القول بالاجتهاد ، ورأوا أن المختصات الفقهية ، جنت على الفقه " ، ( أحمد أمين ،  
ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ١٩٦٦ ، ص ٦٥ ) .

كان عبدالمؤمن نصيراً لأهل العلم ، يستدعيهم من البلاد الى حضرته " ويجري  
عليهم الأرزاق الواسعة ، ويظهر التنويه بهم ، والأعظام لهم " ، ( المراكشي ، المعجب ،  
١٩٦٣ ، ص ٢٦٩ ) ، وكان هو نفسه " من رجال العلم المعدودين . . . فصيح اللسان ،  
عالماً بالجدل ، متفقها في علم الأصول ، حافظاً للحديث ، صحيح الرواية متجراً في العلوم  
الدينية والعقلية ، اماماً في النحو واللغة والقراءات ، ملماً بالتاريخ والصير ، أدبياً  
شاعراً " ، ( حسن إبراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي ، جزء ٤ ، ١٩٦٢ ، ص ٢٢١ ) .

خلف عبدالمؤمن ابنه يوسف ( ابو يعقوب ٥٥٧ - ٥٦٣ هـ = ١١٦٢ - ١١٨٤ م )  
الذي طمح به شرف نفسه وعلو همة الى تعلم الفلسفة ، فجمع كثيراً من أجزاءها ، وسدأ  
من ذلك بعلم الطب . . . ثم تخطى ذلك الى ما هو أشرف من أنواع الفلسفة ، وأمّر  
بجمع كتبها " ، ( المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ ) ، وقرب اليه  
الفلاسفة مثال ابن طفيل صاحب كتاب " حي بن يقظان " الذي عرفه بدوره على أبي الوليد  
بن رشد ، أعظم فلاسفة المغرب ، وكثيراً ما كانت تنعقد المناظرات بينه وبين الفلاسفة  
يتحدثون فيها بأقوال أرسطو وأفلاطون وجميع الفلاسفة ، ( المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ،  
ص ٣١١ - ٣١٦ ) ، وينقل بالنشأ عن ابن رشد أن يوسف بن عبدالمؤمن هذا هو  
الذي حمل على تلخيص ما لخصه من كتب الحكماء أرسطوطاليس في بقرب أغراضها للناس  
ويسهل فهمها عليهم ، ( بالنشأ ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ) .  
ثم يتولى الحكم ابو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن ( ٥٦٩ - ٥٩٥ هـ ) ،  
وتكون له مواقفه المؤثرة ، لا على الدراسات الدينية وحدها ، بل على الدراسات النحوية  
أيضاً ، ففي " أيامه انقطع علم الفروع ، وخافه الفقهاء " ، وأمر بحرق كتب المذهب بعد أن  
يجرد ما فيها من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والقرآن ، ففعل ذلك ، فأحرق

منها جملة في سائر البلاد ، كدونة سحنون ، وكتاب ابن يونس ، ونواد رابن ابي زيد ومختصره ، وكتاب التهذيب للبراذعي ، وواضة ابن حبيب " ، ( المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ص ٣٥٤ ) ، وهدف من ذلك - كما يقول المراكشي - محو مذهب ملك وازالتسه من المغرب ، ومن أجل ذلك أمر بأن تجمع الأحاديث من المصنفات العشرة ( ١ ) ، فأجيب الى ذلك ، وكان يطيبها بنفسه على الناس وبأخذهم بحفظها " ، ( المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ٣٥٥ ) ، وأمر الفقهاء الا يقتلوا أحدا من المجتهدين ، بل يرجعوا الى الكتاب والسنة وجهتهدوا بأنفسهم ، ويبدوا أن هذا القرار السياسي الذي تشل بحرق كتب الفروع التي مرت الاشارة اليها ، شجع عالما نحويا ، هو ابن مضاء القرطبي أن يجتهد " لهدم كتاب سيويه . . . ووضع مذهب في النحو . . . وألف في ذلك ثلاثة كتب : المشرق في النحو ، وتنزيه القرآن عما لا يليق باليمان ، والرد على النخاعة ، وفي هذه الكتب الثلاثة - على ما يظهر - رد على نحو سيويه وأنصاره ، والنظر الى نحو جديد " ، ( أحمد أميسن ، ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ١٩٦٦ ، ص ص ٩٥ - ٩٦ ) .

لقد كان يوسف يدرك أن العلم سند من لا قبيلة له ولا ناصر ، فحذب على الطلاب - طلاب الحديث - ونالوا في أيامه ما لم ينالوه زمن غيره ، حتى حمل ذلك الكثيرون على حصد الطلاب من أهل هذه المنزلة ، فجمع الموحدين ، وقال لهم : " يا معشر الموحدين أنتم قبائل ، فمن نابه منكم أمر فزع الى قبيلته " وهو لا - يعني الطلبة - لا قبيل لهم الا أنا " ، ( المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ٣٥٦ ) .

ان مثل هذه المواقف من الحاكم السياسي ، تفتح شهية الناس للتجديد ، ويحمل المعلمون والطلاب راية التجديد ، ولكن في الاتجاه الذي يبتغيه ، فابن رشد الفيلسوف الذي نال رعاية يوسف ( والد يعقوب ، المنصور ، تنصب عليه نقمة يعقوب لأسباب أختلفت في تفسيرها .

( ١ ) المصنفات العشرة هي : الصحيحان ، والترمذي ، والموطأ ، وسنن ابي داود ، وسنن النسائي ، وسنن البزار ، وسنن ابن ابي شيبة ، وسنن الدارقطني ، وسنن البيهقي .

يقول ابن حزم : " أما كتب الفلسفة فاماها في عصرنا أبو الوليد بن رشد القرطبي وله فيها تصانيف جدها لما رأى انحراف منصور بن عبد المؤمن (١) عن هذا العلم ، وسجنه بسببها " ، ( المقرئ ، نفع الطبيب ، ج ٤ ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ١٢٦ ) ، وعن القاضي أبي مروان - ان ابن رشد كان يخاطب المنصور ، بعبارة : نسمع يا أخي ، وعندما صنف كتابها في الحيوان وذكر فيه الزرافة ، قال : رأيتها عند ملك البوير ( يعني المنصور ) ، فلما بلغ المنصور ذلك نقم عليه وأبعد " ، ( ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ٧٩٦٥ ، ص ٥٣٢ ) . أما بالنشأ ، فيرى في غضب المنصور سعاية الوشاة ، أو أن آراء ابن رشد لم تأتلف مع الدين ، ( بالنشأ ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ٣٥٥ ) . صغض النظر عن الأسباب ، فقد أصدر الأمير أسرا " يحرم تدارس الفلسفة وعلوسها ، وأخذ يضطهد المشتغلين بها " ، ( بالنشأ ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ٣٥٥ ) ، وابتعد عن ابن رشد تلاميذه ، لما رأوا اضطهاد السلطان له .

### بنو نصر في غرناطة

بعد سقوط قرطبة ( ٦٦٣ هـ = ١٢٣٦/٥ م ) ، صمدت قبيلة من بني الأحمر وعاشت ما يقرب من قرنين ونصف في غرناطة وما حولها ، وانتهت هذه الدولة بسقوط غرناطة ( ٨٩٨ هـ = ١٤٩٢ م ) ، وكان شأن ملوكها كغيرهم من ملوك الأندلس ، في فتح

---

(١) أظن أن المقرئ وهم في نقل قول ابن حزم ، أو دخل اليه اضطراب في الرواية . فابن حزم الفقيه توفي ٤٥٦ هـ ، وأبو الوليد ابن رشد الذي يتحدث عنه هو جد ابن رشد الفيلسوف المولود في قرطبة سنة ٥٢٠ هـ ، وينقل محمد كرد علي هذا القول في كتابه : غابر الأندلس وحاضرها ، ص ٥٦ دون مناقشة . ويمكن أن يصح النقل إذا اعتبرنا أن ابن حزم غير أبي محمد علي بن أحمد بن حزم وشخص آخر .

بلاطاتهم ، لأهل العلم والأدب ، وتشجيعهم ، وذل الجوائز لهم ، وفدت مجالسهم  
مجالس تهبة وأدب وعلم .

دخل محمد بن يوسف ( ابو عبد الله ) غرناطة ٦٣٥ هـ و " كان يعقد للناس  
مجلسا عاما يومين في كل اسبوع ، ترتفع اليه الظلمات ، ويضافه طلاب الحاجات  
وينشد الشعراء ، وتدخل اليه الوفود ، ويشاور أبواب النصائح في مجلس يحضره  
أعيان الحضرة ، وقضاة الجماعة ، وأولو الرتب النبيلة في الخدمة ، يفتح بقراءة أحاديث  
من الصحيحين ، ويختم بأعشار من القرآن العظيم " ، ( لسان الدين بن الخطيب ،  
اللمعة البدرية ، ١٩١٨ ، ص ٣١ - ٣٢ ) . ويغلب على خلفه محمد بن محمد بن  
يوسف صفات أبرزها " ايثار العلماء من الأطباء والمنجمين والحكام والكتاب والشعراء " ،  
( لسان الدين بن الخطيب ، اللمعة البدرية ، ١٩١٨ ، ص ٣٨ ) ، ويهد محمد ابنه  
يوسف ، الذي يلوه أبوه - رغم حبه للعلم - على الاستغراق في الاشتغال بعلم النجوم ،  
وقصد يوما منزله لأجل ذلك ، ودخل المجلس به مجلدات كثيرة " ، ( لسان الدين بن  
الخطيب ، الاحاطة ، مجلد ٤ ، ١٩٧٧ ، ص ٣٥٤ ) . وينقل محمد كرد علي " أن ملوك  
غرناطة فرضوا جوائز للمخترعين ، لينشطوهم ويلقوا المناصرة بينهم ، ووما ميزوهم بامتيازات  
خاصة " ، ( كرد علي ، غابر الأندلس وحاضرها ، ١٩٢٣ ، ص ٨٤ - ٨٥ ) .

### الخلاصة

ليس ما تقدم استقصاء لكل جهود الحكام السياسيين التي ساهمت في الحركة  
التعليمية ، فلقد حكم الأندلس - وخاصة في زمن الطوائف ، أمراء كثيرون غير الذين مر  
ذكرهم ، وكانت لهم - لا شك - مساهماتهم على أقدار متفاوتة ، وحتى الذين مر ذكرهم ،  
لمتقصد الدراسة استقصاء كل ما بذلوه من جهود ، بل كان القصد التعرف الى طبيعة  
الدور الذي قاموا به ، والذي تمثل في تشجيع العلماء ، وحماية دور العلم والمكافأة  
على التأليف ، والمساهمة في نشر الكتب ، وفي توجيه الدراسات أحيانا . وعندما يظهر  
أحدهم ميلا لعلم من العلوم ، ويجهتد في إبرازه ، أو عندما يطارق فيلصوق ويحرق كتبه ،  
فانه بطريقة غير مباشرة ينهى الناس عن الأخذ منه ، والدرس عليه .

## الفصل الخامس

### رتب المعلمين ومؤهلاتهم

#### مقدمة

لقد حكمت قطاع المعلمين مجموعة من الأعراف والتقاليد التي من غير المستطاع تحديد ملامحها بدقة . فالذين اتجهوا الى التعليم واتخذوا منه عملا لهم ، لم يخولهم لذلك مؤهلات علمية معينة ومتفق عليها ، كما أن التعليم لم يكن وظيفة رسمية تعينهم فيها الدولة وفق معايير محددة كالشهادة العلمية مثلا ، وإنما كان حفظ أحدهم لكتاب في الحديث أو اتقانه لكتاب في الأدب أو في التاريخ أو في اللغة أو في الفقه ، أو اتقانه لمجموعة من الكتب في موضوع واحد أو في أكثر من موضوع هو الذي يؤهله للتعليم ، أما لشهادة معلميه له بذلك من خلال اجازتهم له ، أو عندما يأمن بنفسه الكفاءة للقيام بالتعليم . ومن خلال الممارسة والمعاشية مع المتعلمين ، يثبت ان كان جديرا بالمهمة أو غير جدير بها .

سيتناول هذا الفصل الحديث عن : ثقافة المعلمين وتخصصاتهم ، الألقاب التي أطلقت عليهم ، وكانت تعبيرا عن مكانتهم العلمية ، ثم عن أحوال المعلمين المادية والاجتماعية .

### ثقافة المعلمين وتخصصاتهم

كان القرآن الكريم محور الدراسات الإسلامية (١) : اللغة من نحو وصرف و بلاغة وأدب وشعر ، والحديث والقرآن ، الفقه وما يتفرع عنه ، مقارنة الأديان ، المنطق والفلسفة ، حتى دراسة الفلك والحساب كانت - بإحدى الأمور - خدمة لما في القرآن من عبادات تحتاج الى معرفة الأوقات ، ومن قسمة الارث تحتاج معرفة بالحساب . والطبع تطورت هذه الدراسات

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ١٩٦٢ ، ص ص ٧٨٢-٨٢١ .



وأصبح لها فروع تخصص وتعمق ، تطلبه تطور الحياة وتعقيد ها ، والتكيف مع ظروفها المتجددة باستمرار .

ازاء ذلك الواقع ، تزود المعلمون والعلمون بهذه الالوان من العلوم ، كـسـل وظروفه التي تهيأت له : منهم من تعمق في الفقه والحديث ومنهم من تعمق بالعربية والآداب ، ومنهم من كان عالماً بالهندسة والحساب . . . الخ . ورغم التوجه الى تخصص معين ، كان المعلمون - في معظم الاحيان - يجمعون الى ذلك قاعدة ثقافية عامة تتناول علوم العصر ، واذ ما قعد أحدهم للتعلم لا ييخل بمسما عنده من فنون العلم ، على أن الامر لم يخل من قيام معلمين متخصصين بمادة دراسية معينة ، يقصد هم الطلاب من أجلها .

### الثقافة الموسوعية

كثال لثقافة المعلمين ، هناك بعض الاسماء التي نالت شهرة واسعة لغزارة علمهم وشموليته وتنوعه حتى أصبحوا مضرب المثل . ففي أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث عشر عبد الملك بن حبيب ( ١ ) ( ١٧٩ - ٢٣٨ هـ = ٧٩٦ - ٨٥٣ م ) وكان أديباً نحويًا ، حافظًا شاعرًا ، متصرفًا في فنون العلم من الاخبار والانساب والاشعار ، وله مؤلفات حسان في الفقه والأدب والتاريخ كثيرة \* ( ابن عذاري ، البيان المغرب ج ٢ ، ص ٢٤٦ ، ١١١ ) و ( ابن خاقان ، مطح الانفس ، قسم ٢ ، ص ٣٦ ) . ويقول عنه بالانشيا \* كان عبد الملك بحرا من العلوم بالشعر والانساب والتاريخ والفقه والمعاجم والطب . . . جلس للتدريس في مسجد قرطبة ، وكان يقسم طلبته مجسوعات لا يسمعون الا كنبه وموطأ مالك \* ، ( بالنشيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ١٩٥٥ ص ١٩٤ ) .

وعن أبي الوليد القشبي ( ٤٠٨ - ٤٨٩ هـ ) يقول صاعد : أحد المتفنيين بالعلوم

( ١ ) عبد الملك بن حبيب : حج وتغف بالمدينة بذهب الامام مالك وظل من ناشري المذهب في الاندلس .

الموسمين في ضروب المعارف، من اهل الفكر الصحيح والنظر الناقد والتحقيق بضاعة المهندسة والنطق والرسوخ في علم اللغة والنحو والشعر والخطابة والاحكام بعلم الفقه والاثـر والكلام، وهو مع ذلك شاعر بليغ، ليس يفضلـه عالم بالانصاب والاخبار والسير<sup>(١)</sup>، صاعد التغلبي، طبقات الأمم، ١٩٦٢، ص ٩٦) و (ابن يشكوال، الصلة، قسم ٢، ١٩٥٥، ص ٦٥٣). وأثر عن عتيق بن الحسين بن عبد الله بن محمد بن ابي عبد الله بن رشيق التغلبي (٥٨١ - ٦٦١ هـ) انه كان محدثا، فحرا، فقيها، نحويا، ادبيا، تاريخيا، فآخذا بحظ وافر من علم الطب، عارفا بعلم الكلام، واصل الفقه، فرضيا، عاقدا للشروط، (الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة، السقر الخاص، ج ١، ١٩٦٥، ص ١١٩ - ١٢٠).

هذه اشارة للثقافة الموسوعية التي كان يحيط بها المعلمون في الواقع التربوي الاندلسي، وفي اصرارية متعاقبة، بدأت مبكرة، وظلت ممتدة، وفي المراجع<sup>(١)</sup> شواهد كثيرة لهذه الظاهرة. تلك النماذج من المعلمين، لم تمنع وجود فئة اخرى من المعلمين، بدت عليهم ملامح التخصص، فقد هم المعلمون، او هم قصدوا المدن الاندلسية ينشرون ما عندهم من علم.

### التخصصات العلمية:

ويقصد بالتخصصات العلمية: علوم الحساب والهندسة والطب والفلك والكيمياء التي برع فيها طائفة من المعلمين وتميزوا بما عندهم منها، فقدوا لتعليمها، وانتشروا

---

(١) انظر مثلا: ابن يشكوال في الصلة، وابن الأبار في المعجم، والمراكشي في الذيل والتكملة، ابن الزبير في صلة الصلة، وابن الفرضي في تاريخ علماء الاندلس، وكلها من مصادر الدراسة.

في أكثر من مدينة أندلسية ، وتخرج على أيديهم فئة من التلاميذ .  
 من هؤلاء المعلمين أبو القاسم مسلمة بن أحمد الجريطي <sup>(١)</sup> ( ١٥٠ - ١٠٠٧ م ) :  
 امام الرياضيين في الأندلس في وقته ، ومن أشهر علماء الفلك وكانت له  
 عناية بأرصاد الكواكب ، وشغف بكتاب بطليموس المعروف بالجسطي ،  
 له مؤلفات قيمة في الحساب والهندسة والحساب التجاري ، وعسني  
 بزيج الخوارزمي وزاد فيه جداول حسنة ، وله رسالة في الأسطرلاب ،  
 وشرح على كتاب بطليموس ، وترجمت جميعا الى اللاتينية في القرن  
 الثالث عشر بأمر الملك الفونس <sup>(٢)</sup> . . وقد غني الجريطي بتتبع تاريخ  
 الحضارات القديمة ، ومكتشفات وجهود الأمم القديمة في تقدم العمران  
 والحضارة ، وله بحوث في علم الفلك والرياضيات والكيمياء وعلم الحيل <sup>(٣)</sup>  
 والتاريخ الطبيعي ، وتأثير النشأة والبيئة على الكائنات ، وقد عدة  
 فصول للبحث في ملكة المواليد الثلاثة من نبات وحيوان ومعادن . (عبد  
 الحليم المنتصر ، تاريخ العلم ، ١٩٦٧ ، ص ١٦٣) .

لقد تغلب الجانب العلمي - كما نرى - على ثقافة مسلمة ، وعلى يد يتخرج خلاصته  
 " لم ينجب عالم بالأندلس مثلهم " ، (عبد الحليم المنتصر ، تاريخ العلم ، ١٩٦٧ ، ص ١٦٣) ،  
 منهم أصبغ بن محمد بن أصبغ بن المسح المهرى (توفي ٤٤٦ هـ) ، من أهل قرطبة \* وكلن  
 من أهل المعرفة الكاملة بالعدد والهندسة والمهارة في صناعة الطب والتجاسة \* ،  
 (ابن الأبار ، الثكنة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٢٠٧) ، وأبو عثمان سعيد بن

(١) من مدينة جريط ، وهي مدينة طريد حاليا .

(٢) هو الفونس العاشر ملك قشتالة ولون من سنة ١٢٢١ - ١٢٨٤ م .

(٣) علم الحيل هو علم الميكانيكا .

محمد من طليطلة ( توفي ٤٤٠ هـ عن ٧٥ سنة ) ، رحل الى قرطبة ، وأخذ عن سلسلة العدد والهندسة كما أخذ الطب عن سليمان بن جلجل ، ( الأوسي المراكشي ، الذيل والتكملة ، بقية الصفر الرابع ، ١٩٦٤ ، ص ٤٣ ) . وفي قرطبة أيضا ، أخذ عن سلسلة عامر بن الصغار ، وعلم بالفرائض والحساب والمساحة ، ( الأوسي المراكشي ، الذيل والتكملة ، الصفر الخامس ، قسم ١ ، ١٩٦٥ ، ص ١١٠ ) ، وكان من تلاميذ ابن الصغار محمد بن ابراهيم الامين وسواه . وفيها ايضا ذكر ابو القاسم أحمد بن عبد الله بن عمر حيث قصد لتعليم العدد والهندسة والنجوم ، ومنها انتقل الى دانية بعد الفتنة . وفي قرطبة أنجب تلاميذ جمة ، ( صاعد التغلبي ، طبقات الأمم ، ١٩٦٧ ، ص ٩١ ) . وكان ابو الحكم عمرو بن عبد الرحمن من أهل قرطبة أحد الراسخين في علم العدد والهندسة . ومن تلاميذه الحسين بن أحمد بن الحسين بن حي المهند من النجم ، الذي يشهد بأنه تلقى مثله في علم الهندسة ، ثم استوطن هذا العالم سرقسطة ، بعد رحلة الى المشرق ، وتوفي فيها سنة ٤٥٨ هـ ، بعد أن عاش تسعين سنة ، ( صاعد التغلبي ، طبقات الأمم ، ١٩٦٧ ، ص ٩٢ ) . ومن هؤلاء علي بن محمد بن فرجون القيسي القرطبي ( توفي ٦٠١ هـ ) " وكان فقيها حافظا ، محسنا ، فاهما في الحساب ، عارفا بفرائض المواريث ، وعلم بهما طويلا " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ١٣٦ ) . كما جلس لأقراة الأدب والنحو في سقيفة الجامع بطليطلة ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ١٣٦ ) ، وفي أبذة من أعمال مدينة جيان ، علم حنون بن ابراهيم بن عباس بن اسحاق البصري ، بالفرائض والحساب وطاش في حدود ( ٥٠٠ هـ ) ، وألف كتابا كبيرا فسي المعادلات ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٢٨٣ ) .

لقد كان سلسلة المجريطي حلقة في سلسلة ، إذ أنه أخذ علمه عن ابي بكر ابن ابي عيسى احمد بن محمد . . الانصاري ، وكان مقدما في العدد والهندسة والنجوم وكان يقرله سلسلة بالسبق في سائر العلوم الرياضية ، ( صاعد التغلبي ، طبقات الأمم ، ١٩٦٧ ، ص ٩٩ ) . كما أخذ عن ابي أيوب عبد الغافر بن محمد ، أحد المهرة بعلم الهندسة ، ( صاعد التغلبي ، طبقات الأمم ، ١٩٦٧ ، ص ٨٨ ) .

## تخصصات في اللغة والأدب

هناك معلمون عرف عنهم التخصص في اللغة وآدابها ، فعملوا فنونها ودرسوها فيها ، حتى اشتهر عنهم ذلك . ويبدو أن هذا الاتجاه التخصصي بدأ يتضح في القرون الرابع والمجسرى ، ومع اتساع العلوم في القرون اللاحقة وتفرعها بتعدد اتجاه التخصص أكثر فأكثر ، ويقعد التخصصون في اللغة والأدب للتعليم . وفيما يلي طلائفة منهم موزمنة على المدن الاندلسية :

ففي قرطبة ( من ٣٥٢ - ٤٤١ هـ ) عاش الانطليبي أبو القاسم ابراهيم بن محمد ابن زكريا الذي ينتهي نسباً إلى سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري ، و " كان من أئمة النحو واللغة ، له معرفة تامة على معاني الشعو ، وشرح ديوان المتنبي شرحاً جديداً ، وهو مشهور . . . وكان متصداً بالاندلس لاقراء الأدب " ( ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٢٤١ ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ) . وفي قرطبة أيضاً عاش قبل الاربعمائة محمد بن الخطاب الأزدي النحوي ، وكان قد تخرج على يد أبي علي القالي البغدادي ( ١ ) ، وأبي بكر بن القوطية ، وأبي عبد الله الراحي وغيرهم " وني بالعربية والآداب واللغات فاستقل بمعرفتها ، وتقدم في صناعتها . قال الحميدى : " كان يختلف اليه في علم العربية أولاد الأكابر " ( الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ص ١٩٥٦ ، ص ٣٧٧ ) ، ومن معلمي قرطبة عمر بن يوسف بن محمد بن مضاء بن عقبة اللخمي ، وفيها علم الأدب والنحو ، وتوفي سنة ٣٣٨ هـ ( المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم الثاني ، ١٩٦٥ ، ص ٤٢٣ ) .

في القرن الخامس المجسرى عاش في قرطبة أبو مروان عبد الطك الطنبسي ( ٣٦٦ - ٤٥٢ هـ ) ، وكان اماماً في اللغة والأدب والحديث ، وأخف عنه خلق كثير ، ( ابن

( ١ ) قدم الاندلس من بغداد سنة ٣٢٨ هـ ، ودرس بجامع قرطبة الأدب والنحو .

بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ ) ، ومنهم ابن حمدون من أهل قرطبة ، " كان معلماً بالأدب ذا فهم وتصرف فيه ، وتوفي ٤٥٠ هـ " ، ( ابن الأثير ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٣٩١ ) .

وفي طليطلة ، تصدى لتدريس علوم اللسان ، نحواً ولغة وأدباً ، سعيد بن عيسى الرصني ( ٣٨١ - ٤٦٢ هـ ) ، ( الأوسي المراكشي ، الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ، ١٩٦٤ ، ص ٣٩ ) ، ومن أهل بطليوس ، محمد بن بهلول الكفيف ، يذكره ابن عزيز ويقول : " دخل ينشئة ، بلدى ٥٥٠ هـ ، فاجتمعنا اليه في الكامل والنوادر (١) ، وكان من القاضين عليهما ، مع حظ من النحو ، وخرج عنا بعد مدة الى اقلش ، فاستأذنه بعض خدمة السلطان لولده " ، ( ابن الأثير ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٣٩٣ ) . ومن أهل بلنسية محمد بن حسين " وكان أدبياً متفنناً متسع المعرفة ، معلماً بالعربية واللغة " ، ( ابن الأثير ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٣٩٤ ) . وفي مرسية علم العربية ، محمد بن خلف النحوي وأخوه ابو جعفر وتوفي سنة ٤٧٣ هـ ، ( ابن الأثير ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٣٩٧ ) .

وفي دانية زمن مجاهد وموفق العاصميين ، ظهر ابن سيدة اللغوى المتخصص ، ( توفي ٤٥٨ هـ ) ، وفيه يقول الجباري ، صاحب السهب : " لا يعلم بالاندلس أشد اعتناء من هذا الرجل باللغة ، ولا أعظم تواليف " ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ٢ ، ١٩٥٣ ، ص ٢٥٩ ) و ( ابن خاقان ، مطمح الأنفس . . . . . قسم ٢ ، ص ٦٠ ) ، وله كتابان شهيران في اللغة هما " المحكم " و " المخصص " ، وفي الكتاب الأخير يظهر مدى علمه باللغة ، حيث تحدث فيه عن الانسان والحيوان والنبات ، والمظاهر الكونية الاخرى ، ( عبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ، ١٩٦٢ ، ص ١٩٤ - ١٩٥ ) .

وفي القرن السادس ، وأوائل القرن السابع الهجري ، عاش ابو جعفر الحميدى ، " وكان آخر من انتهى اليه علم الادب بالاندلس ، وقرأ عليه المراكشي سنة ٦٠٦ هـ بقرطبة ،

(١) كتابان في اللغة والأدب .

وفيه يقول : " ما رأيت أروى لشعر قديم ولا حديث ، ولا أذكر بحكاية تتعلق بأدب أو مثل سائر أوهيت نادراً وسجعة مستحسنة منه " ، ( المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ٣٨٠ ) .  
وعن أبي الحسن الذباج ( علي بن جابر بن علي ابن يحيى اللخمي الاشبيلي ٥٦٦ هـ - ٦٤٦ هـ ) يقول المراكشي : " عكف على اقراء القرآن وتدريس العربية والأدب نحو خمسين سنة ، لم يتعرض لسواء ، ولا عرج على غيره . . . وكان مبارك التعليم ، نفع اللبس بصحبته ، ولاخذ عنه خلقا كثيرا " ، ( المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم الأول ، ١٩٦٥ ، ص ١٩٩ ) . وفي اشبيلية أيضا ، عاش محمد بن طاهر الانصاري النحوي ( توفي ٥٨٠ هـ ) و " أخذ علم العربية عن أبي القاسم بن الرواك ، وأبي الحسن بن مسلم ، ورأس أهل وقته فيها ، ودرس في بلاد مختلفة ، وكان قائما على كتاب سيبويه ، وأصول ابن السراج ، ومعاني القرآن للفراء ، والايضاح للغارسي ، ويعتني بها ، ويرى ما عداها في الصناعة مطرح ، وله تعليق على كتاب سيبويه ، سماه بالطرر لم يسبق الى مثله " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٥٣٢ ) . ودرس كتاب سيبويه في النحو أبو الحسن الأخضر في اشبيلية ، وأخذ عنه محمد بن عبدالله أبي يحيى بن فرح بن الجدد الفهرري ( ٤٩٦ - ٥٨٦ هـ ) ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٥٤٢ ) .

كان أولئك المعلمون مشهورين بفنهم في بلد هم ، وقد تتجاوز شهرتهم نطاق مدينتهم ، فأبو مروان عبدالملك ( ٤٠٠ - ٤٨٩ هـ ) " كان امام الأندلس في وقته فسي علم لسان العرب ، وضبط لغاتها ، وأذكرهم لشوارد أشعارها ، وأثقفهم في ذلك واليه كانت الرحلة من جميع جهات الأندلس " ، ( القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٨١٦ ) و ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٣٦٥ ) .

الى هنا كان الحديث عن المعلمين الذين غلب عليهم تخصص بعينه ، فكان منهم الذين اقتصروا بالمواد العلمية وقعدوا لتدريسها ، ومنهم من اقتصروا بالأدب واللغة ، وقعدوا لتدريسها ، وهناك معلمون اشتهروا بشتغالهم بعلوم أخرى ، سأذكر امثلة لهم فيما يلي :

### تخصصات أخرى

كما اختلف معلمون بالعلوم ، وباللغة ، والآداب ، اختلف معلمون آخرون بالفقه والحديث والمنطق وبتدريس القرآن ، تفسيراً وأمراباً وقراءة وبالفلسفة والطب<sup>(١)</sup> .

يروى عن يحيى بن عبد الرحيم بن أحمد بن ربيع الأشعري القرطبي المتوفى سنة ٦٤٩ هـ ، أنه " أقرأ علم الكلام عمره كله ، بقرطبة ، واشبيلية وخرناطة ومالقة ، وأقرأ الفقه وأصول الفقه ، وأسمع الحديث " ، ( ابن الزبير ، صلة الصلة ، ١٩٣٧ ، ص ١٩٦ ) .

وروى عن أبي الطرف عبد الرحمن بن مروان القنازعي ( ٣٩٣ - ٤٢٥ هـ ) ، أن جعفر ابن عبد الله بن أحمد التجيبي " تلا عليه القرآن ، وسمع الحديث ثلاثة أعوام " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٣٢٢ ) ، ومن اشتهر بالقراءات اسماعيل بن خلف النحوي السرقسطي حيث " كان إماماً في علوم الآداب ، متقناً لفن القراءات ، وصنف كتاب " العنوان " في القراءات ، وعدة الناس في الاشتغال بهذا الشأن عليه " ، ( ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ، ٢٤١ ، ص ٢٣٣ ) .

قد يحدث أن يغير المعلم اختصاصه لعوامل مختلفة ، وينصرف لتعليم مادة أخرى ، فمحمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجند الفهرى من اشبيلية ( ٤٩٦ - ٥٨٦ هـ ) " عني في أول أمره بالعربية فبرع فيها ، وعزم على الاقتصار عليها ، والتصدر لأقاربه ، ثم مال إلى دراسة الفقه ومطالعة الحديث والإشراف على الاتفاق والاختلاف بتحرير أبي الوليد بن رشد<sup>(٢)</sup> آياه على ذلك ، ونفع الله به ، وانتهت إليه الرياسة في الحفظ والفتيا " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٥٤٢ ) .

---

(١) اقتصرت خوف التكرار والطول ، سير حديث آخر عن هذه المواد في فصل " مواد الدراسة " .

(٢) كان ابن رشد معلماً له .



## المعلمون واتقان لغات غير العربية

يضاف الى ثقافة المعلمين وتخصصاتهم جانب آخر ، هو اتقان بعضهم لغات أجنبية ، يعلمون بها وهو لغون ، مثال ذلك ما ذكر عن محمد بن احمد القرموطي المروسي ، أنه كان " من أعرف أهل الاندلس بالعلوم القديمة ، المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب فيلسوفا ، طبيا ماهرا ، آية الله في المعرفة بالاندلس ، يقرى الأسماء بالسنن ، فنونهم التي يرضون فيها وفي تعلمها . ولما تغلب طاغية الروم على مرسية ، عرف له حقه فبنى له مدرسة يقرى فيها المسلمين والنصارى واليهود " ، ( المقرئ ، نفع الطبيب ، ج ٥ ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ٢٦٦ ) ، وكان ابو حيان الغرناطي مسن أكبر علما النحو في الاندلس ، ولغويا عبقريا ، ولد من أصل بهري سنة ٦٥٤ هـ ، وأهميته أنه كان لغويا بمعنى أنه يعرف لغات كثيرة ، ألف كتابا في اللغة الفارسية ، وأخرى في اللغة التركية ، والصنفان موجودان الى اليوم ، وهما عظيم القيمة ، كما ألف كتابا في اللغة الحبشية ، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٤٥ هـ ، ( احمد أمين ، ظهرا لسلام ، ج ٣ ، ١٩٦٦ ، ص ٩٥ ) .

كان هذا الاستعراض القصير لا يبراز ظاهرة التخصص لدى المعلمين في الاندلس ، ولم يكن الهدف منه استقصاء أسماء المعلمين المختصين ، انسجاما مع خطة هذا الدرس التي تتجه الى ابراز الظواهر التعليمية من خلال ما ذكر عن تراجم الاندلسيين في هذا المجال .

## ألقاب المعلمين

لقد أطلق على العلماء المسلمين في فترات من التاريخ الاسلامي ألقاب علمية ، مثل فقيه ، وعالم ، وامام ، واستاذ ، ومدرس . الخ . وكان للذين اشتغلوا بالتعليم نصيب من هذه الألقاب . وسنحاول هنا التعرف الى تلك الألقاب التي أطلقت على المعلمين فسي

الاندلس من حيث تنوعها وتدريج مستوياتها ، والاساس الذي انطلقت منه هذه التسميات .  
 ستعرض الدراسة هنا لطائفة محدودة من هذه الالقاب ، وستترك جانبا  
 الالقاب التي اعترف بها المعلمون ، لملازمتهم تدريس مادة معينة ، كفلان المحسنة  
 أو الفقيه أو التاريخي أو النحوي ، وسيوجه الحديث الى الالقاب التي تدل على مكانة  
 صاحبها من العلم الذي يقوم بتعليمه ، فهناك نحويون كثيرون مثلاً او محدثون ، لكن  
 ليس كل النحويين ولا كل المحدثين يطلق عليهم لقب " الامام " أو " الشيخ " أو " الاستاذ " .  
 لم تكن لدى الاندلسيين اسس علمية متفق عليها لحيازة هذه الالقاب ، كما لم  
 تكن مرتبطة بمرحلة دراسية معينة أو بشهادة علمية معروفة ، أو بقراءة عدد من الكتب  
 المشهورة في مادة علمية ، بل كان اللقب دليلاً على المكانة العلمية التي بلغها صاحبه ، وأقر  
 له بها زملاؤه من المعلمين أو طلابه أو مجتمعه بشكل عام . وفيها يقول محمد غنيمة :  
 " هذه الالقاب لم تكن تعطى بطريق الامتحان العام أو الخاص ، وإنما تجي غالباً نتيجة  
 للمكانة العلمية التي يكونها العالم لنفسه ويلعبها فيه المجتمع والمشتغلون بالدرس  
 والبحث ، فتستفيض بذلك شهرته ، وينتشر ذكره ، ويلقبه رجال عصره باللقب العلمي الذي  
 يناسبه ، ويدل على قدره " ، ( محمد غنيمة ، تاريخ الجامعات الاسلامية ، ١٩٥٣ ، ص ٢٣٠ ) .

### الألقاب

أطلق لقب الامام ، على جملة من معلمي الاندلس ، في أزمان متعاقبة ، وأينما  
 كانوا في جهة من جهاتها ، وفق الاعراف والتقاليد التي اتفق عليها العلماء والمعلمون  
 والمتعلمون . ويدل اللقب على تقدم المكانة العلمية لصاحبه . ولكن هل كان لقب الامام  
 أو " امام " أعلى لقب يحوزه العالم أو المعلم ؟

يقول محمد غنيمة " وهو أسمى ألقاب العلم عامة ، ويدل على تمكن صاحبه من علمه  
 وحجته فيه ، بحيث يصير للناس قدوة يقتدى ، " اماما " في هذا العلم ، ويرجع اليه في  
 ويقصد لأجله " ، ( محمد غنيمة ، تاريخ الجامعات الاسلامية ، ١٩٥٣ ، ص ٢٣١ ) . ثم

يورد غنيمة ترجمة الاستاذ (جب Gibb) للقب بكلمة "دكتور" ، ويعلق على ذلك بتخطئة (جب) فيما ذهب اليه لاعتبارات أوردها . وأرى أن مقارنة هـذـه الالقباب بالشهادات العصرية أمر يتجاوز القياس الصحيح ، إذ ليس بالامكان التعبير عن معطيات مرحلة حضارية ، بمعطيات مرحلة حضارية أخرى ، بخاصة اذا كان البـسـون النمسي شامعا . وأما تعليق غنيمة ، بأن المكانة العلمية للامام لا يستطيع بلوغها كل من حمل "الدكتوراه" فانه مبني على كلام لا يتضمنه قول المستشرق (جب) أو أنه لم يقبل ذلك ، إذ يفهم كلامه أن لقب "الامام" أعلى لقب علمي كما أن شهادة "الدكتوراه" أعلى شهادة علمية . والفروق الفردية لا ينكرها أحد . فحاملو شهادات المستوى الواحد ليسوا بالطبع بمستوى واحد من العلم ، وكذلك الائمة الذين حملوا مثل هذا اللقب .

### ائمة في اللغة

لم يكن لقب "امام" خاصا بمعلم مادة بعينها ، بل أطلق هذا اللقب على مختصين في المواد المختلفة ، فالمكانة العلمية التي يرمز لها هذا اللقب يمكن بلوغها في الحديث والفقه والعربية وغيرها .

وصف أبو عبد الملك عثمان بن الحنـسـي القيسي القرطبي ( المتوفى ٢٧٣هـ عن أربع وتسعين سنة ) بأنه " أحد أئمة النحاة اللغويين " ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ١٩٥٣ ، ص ١١٣ ) ، كما وصف أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدي الاشبيلي ( توفي قريبا من ٣٨٠هـ ) بأنه " امام في النحو واللغة " ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ١٩٥٣ ، ص ١١٣ ) و ( المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ٦٠ ) ، ويقول فيه المقرئ : " كان كتاب العيين للخليل مختل القواعد ، فامتعر له هذا الامام ، وصقل صداه ، كما يحقـل الحمـام ، وأبرزه في أجمل منزع ، حتى قيل : هذا ما أبدع واخترع ، وله كتاب في النحو يسمى الواضح " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٥ ، تحقيق محي الدين ، ١٩٤٩ ، ص ٤٤ ) .

وذكر من هؤلاء الأئمة أبو غالب تام بن غالب بن عمر اللقوي المعروف بالتياني من أهل قرطبة ، وسكن مرسية ، وتوفي بالمريّة سنة ٤٣٦ هـ ، ( ابن خلكان ، وفیات الأعيان ، ج ٣ ، ؟ ، ص ١٠٨ ) . وأبو بكر بن خشرم من اشبيلية ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٢٠٥ ) ، ومحمد بن عاصم النحوي - وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية ، وتوفي سنة ٣٨٠ هـ ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٤٧٨ ) ، وأبو علي الشلوبين إمام نحاة المغرب ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ٢ ، ١٩٥٣ ، ص ٣٣٨ ) ، وغيرهم كثيرون من أئمة النحو .

#### أئمة في الحديث :

يذكر من المحدثين أبو عمر يوسف بن عبد البر ، وكان إماماً لاندلس وعالمها . . . . . صحح المتن والسند . . . . . حصر الرواة ، وأحصى الضعاف منهم والثقات ، وجد في تصحيح المسقيم . . . . . مع معاناة العلل والتنبيه والتوقيف والاتقان والتشقيف \* ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٥ ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ ) .

هذا الوصف لأبي عمر قد يبرر إطلاق لقب الإمام عليه ومن المحدثين خالد ابن سعيد من أهل قرطبة ( توفي ٣٥٢ هـ ) و " كان إماماً في الحديث ، حافظاً له ، بصيراً بعمله ، عالماً بطرقه مقدماً على أهل وقته في ذلك " ، ( ابن الغرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ١٩٦٦ ، ص ١٣١ ) .

#### أئمة في الرياضيات :

كان أبو عبد الله بن محمد بن الصفار القرطبي الضرير ( توفي سنة ٦٣٩ هـ ) " إماماً في علم الحساب ، مع أنه كان أعمى مقعداً مشوه الخلقة " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، " تحقيق الرفاعي " ، ؟ ، ص ٢٢٠ ) . وكان سلمة المجريطي إمام الرياضيين في الاندلس في وقته ، ( صاعد ، طبقات الأئمة ، ١٩٦٧ ، ص ٩٥ ) .

## الشيخ

"الشيخ" لقب علمي آخر أطلقه الاندلسيون على علمائهم الذين اشتغلوا بالتعليم أو لم يشتغلوا به . فهل كان هذا اللقب يترجم مكانة معينة في العلم ؟ هل يتساوى "الشيخ" مع "الامام" من حيث المكانة العلمية ؟ أم أن لقب "شيخ" يرمز لمنزلة أعلى أو أدنى من ذلك ؟ ماذا تقول النصوص ؟

في حديث ابن بشكوال عن جعفر بن مفرج بن عبد الله الحضرمي (ولد ٣٥٨-٩) يقول : "كان متقدما في علم الطب ، مطبوع فيه ، وذا علم بالحساب وفنونه . من شيوخه في الحساب سلمة المجريطي<sup>(١)</sup> ، وروى الطب عن أبيه " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ١٢٩ ) . سلمة المجريطي هنا "شيخ" من شيوخ "مفرج" . وقد مر فيما تقدم أن سلمة يعد ٣امام "أهل زمانه في الفلك والرياضيات" (٢) ، فهل قصد أن "الشيخ" يعني المعلم ؟ حيث كان لـ "مفرج" معلمون كثيرون منهم سلمة ؟ وسأهم بشيوخه ؟ أم أن لقب "الشيخ" يتساوى في المكانة العلمية لقب "الامام" ؟

فيما يلي نصوص نستدل منها أن لقب "الشيخ" تعبير عن مكانة علمية متميزة لا يصل اليها جميع المعلمين . فأبو عبد الله محمد بن عتاب بن محسن (٣٨٣-٤٦٢ هـ) "قرطبي شيخ المفتين بها في هذه الطبقة ، تفقه بأبي عمر بن الفخار ، وأبي الأصم القرشي ، والقاضي ابن بشير ، صحبه أزيد من اثني عشر عاما " ، ( القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج ١ ، ص ٨١٠ ) ، وأبو عبد الله محمد بن علي الفخار ( توفي سنة ٧٥٤ هـ ) "كان شيخ النخبة بالاندلس غير مدافع ، وأخذ عنه خلق كثير ، كالشاطبي

(١) يذكر في الكتب "المجريطي" و "المجريطي" نسبة الى "مجريط" وهي مدينة "مدريد" الحالية .

(٢) انظر عنوان "الأئمة" في الدراسة .

أبي اسحاق صاحب شرح الألفية ، والوزير ابن زمرك وغيرها " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٧ ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ٢٧٥ ) ، ثم ينقل المقرئ قول لسان الدين بن الخطيب عن أبي عبد الله الفخار - سابق الذكر - ولا زمت قراءة العربية والفقه والتفسير .  
 على الشيخ الأستاذ الخطيب أبي عبد الله بن الفخار الألبيري ، الإمام المجمع على إمامته في فن العربية " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٧ ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ٢٧٦ ) .

هل اختلف المدلول للقب عند كل من الكاتبين : لسان الدين والمقرئ ، لا تصاح الفترة الزمنية بينهما ؟ هل كان في ذهن ابن الخطيب فروق قائمة بين لقب " شيخ " و " أستاذ " و " إمام " عندما وصف بها مجتمعة ابن الفخار الألبيري ؟

بعض النصوص توحي بأن لقب " شيخ " رمز لمكانة علمية متقدمة ، فعندما بعث عبد الملك أبو مروان الطنبلي ( ٣٩٦ - ٤٥٢/٦ هـ ) برسالة إلى ابنه من مصر ، ونقلها أبو الحسن بن مغيث - قال فيها :

يا أهل أندلس ما عندكم أدب بالمشرق الأدب النفاخ بالطيب  
 يدعى الشباب شيوخا في مجالسهم والشيخ عندكم يدعى بتلقيب  
 ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٣٦٠ ) .

وينقل المقرئ من جده الأبي : " ضينا نحن نستكبر العدول عن الكتب الأئمة التي كتب الشيوخ ، أتيت لنا تقييدات للجهلة ، بل مسودات الصوخ ، قانا لله ، وأنا اليه راجعون " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٧ ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ١٩٨ ) .  
 هذا النص يعبر صراحة عن أن لقب " الشيخ " يرمز لمكانة أدنى من المكانة التي يرمز لها لقب " الإمام " ، حيث عد الاستغناء بكتب الشيوخ عن كتب الأئمة شيئا كبيرا ، لكن إلى أي مدى نأخذ بهذا النص ، وهو صادر عن المغاربة ( ١ ) ؟ وليس عن الأندلسيين أنفسهم ؟ إن القرب المكاني بين الأندلس والمغرب ، وتوحد الثقافة بين البلدين يجعلنا نستأنس به ، ولا نقطع بما يقوله .

~~~~~

( ١ ) المقرئ من أسرة مغربية .

هناك نصوص أخرى نفهم منها أن الشيخ " هو المعلم ، وأن اللقب لا نستطيع فصله في أحيان كثيرة عن دلالة الدينية .

يذكر أن علي بن عبدالله بن الحسن الجذامي النباهي المالقي " أخذ عن الشيخ الخطيب أبي بكر الطنجالي . . . وعن الشيخ الفقيه أبي القاسم محمد بن أحمد الفساني . . . وتلا على الشيخ الاستاذ المقرئ أبي محمد بن أيوب . . . وعلى الشيخ المقرئ أبي القاسم بن يحيى بن محمد ابن درهم . ومن أشياخه صهره القاضي الاستاذ أبو عمرو بن منظور " ، ( لسان الدين بن الخطيب ، الا حاطة ، مجلد ٤ ، ١٩٧٧ ، ص ٩٠ ) ، وعن اسماعيل بن محمد بن خزرج ( توفي سنة ٤٢١ هـ ) : " وضع كتاباً سماه الانتقاء في أرمدة أسفار ذكر فيه أسماء شيوخه وعددهم مائة وسبعون " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ١٠٣ ) ، وعن الحسن بن مفرج " عني بالحديث وروايته من الشيخ " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ١٣٧ ) . ووصف أبو عثمان سعيد ابن محمد بن عبدالله بن قرة من أهل قرطبة بالأدب واللمعة " وقد ذكره أبو مروان الطبري في شيوخه " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ٢١٧ ) ، وكان أبو بحر الأسدي يعظم أبا الوليد الوقشي (١) ، " ويقدمه على من لقي من شيوخه ، ويصفه بالاستبحار في العلوم " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٦٥٤ ) .

نستنتج مما سبق أن لقب " الشيخ " يشل مكانة علمية أحياناً ، وقد يطلقه التلاميذ على معلمهم الذين أخذوا عنهم ، وقد يختلط بالدلالة الدينية ، فلا نميز المقصود ، وقد يطلق مع ألقاب أخرى مترادفاً معها ، كأن يقال : فلان الاستاذ ، والشيخ ، الامام الفقيه .

(١) أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام الكتاني من طليطلة ، عاش من ٤٠٨ - ٤٨٩ هـ وتوفي بدانية .

## الأستاذ

يمكن أن نفهم من النصوص السابقة أن لقب "امام" و "شيخ" يوصف بهما العالم. إذا حقق مكانة علمية مرموقة، سواء أ قام بالتعليم أم لم يقوم به. أما لقب "الأستاذ" فيبدو أنه يعني المعلم، وهو لقب خاص به، ويطلق في الغالب الأعم على المعلمين، ولكنه يخص فئة منهم، استطاعت أن تنجح في مهمتها التدريسية، ومن أجل ذلك لم يطلق على جميع المعلمين.

ورد لقب "أستاذ" متصلاً بتخصصات مختلفة: فهناك أستاذ مقرر، وأستاذ حافظ، وأستاذ عربية، وأستاذ نحوي... الخ. لقد كان مروان بن جراح المرادي من أهل سرقسطه (توفي ٥٠١ هـ) "أديبا متفننا، أستاذا في العربية"، (ابن الأثير، التكملة، ج ٢، ١٩٥٦، ص ٦٩٤). ومفرج بن محمد بن عصام الفهري اللشبوني، سكن قرطبة و "كان أستاذا في العربية والآداب"، (ابن الأثير، التكملة، ج ٢، ١٩٥٦، ص ٧٢٣). وعلي بن إبراهيم بن علي بن عبد الرحمن بن حسن الأمي من أهل مدينته أركش (توفي ٦٤٢ هـ) "كان رحمه الله أستاذا ببلدة شريش، إماما في الأدب مجيدا في نظمه ونثره"، (ابن الزبير، صلة الصلة، ١٩٣٧، ص ١٣٥). ويوسف بن معزوز القيسي "الأستاذ الأديب النحوي، وكان نحويا جليلا، من أهل التقدم في علم الكتاب، أقرأ ببلده مدة، ثم انتقل أخيرا إلى مرسية، فأقرأ بها، كان متصرفا في علم العربية، حسن النظر، شرح كتاب الإيضاح للفارسي، ورد على الزمخشري في مفسله"، (ابن الزبير، صلة الصلة، ١٩٣٧، ص ٢٢١ - ٢٢٢). ومحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن خلصة اللخمي النحوي من أهل بلنسية (توفي ٥٢١ هـ) "كان أستاذا في علم اللسان، مقدما في صناعة العربية، والأدب، فصيحاً مفوها، ذا سمع حسن، وذكا، معروف، حافظا للغات العرب قائما عليها"، (ابن الأثير، التكملة، ج ١، ١٩٥٦، ص ٤٢٦). ويورد عن محمد بن خلصة النحوي الكفيف قول الحمدي: "كان من النحويين المتصدرين والساتذة المشهورين، والشعرا المعجودين، رأيت بدانية بعد ٤٤٠ هـ"، (ابن الأثير،



التكلمة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٣٩٥ ، وعن محمد بن أحمد ابن خشرم العيصي الاشبيلي :  
 " كان استاذ عوية مبرزا في فهمها ، حسن التعليم لها ، ورسها باشبيلية طويلا ، وأنجب  
 تلاميذ جلة " ، ( المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم ٢ ، ١٩٦٥ ، ص ص  
 ٦٢٣ - ٦٢٤ ) . ثم يرد مثل هذه الأوصاف " واشتهر ( ١ ) بالاستاذية والاقراء ، واعتده  
 الناس في ذلك " ، ( الزبيدي ، صلة الصلة ، ١٩٣٧ ، ص ص ١٧١ - ١٧٢ ) . وفي زجل  
 لابن قزمان ( توفي ٥٥٤ هـ ) ، وهو يساوم باثفا ، ترد هذه الابهات :

حتى ريت فتى أكمل وطبع في جنبتي جالس

قل أستاذ حياك الله فرردت أحسن تحية

ثم قال في مكان آخر :

قالوا لي أستاذ امشي بنينا للدار

( عبدالعزيز الأهواني ، الزجل في الاندلس ، ١٩٥٧ ، ص ١٨٢ ) .

هل يعبر لقب " أستاذ " هنا عن مكانة ابن قزمان ، وكان زعيم الزجالين في  
 عصره في الاندلس ورائدهم ، والمقدم في هذا الفن ؟ أم أنه لقب تجلة واحترام يستخد منه  
 الناس في المخاطبات العادية ؟

### المؤدون والمعلمون

وقف الذين كتبوا عن التسمية العمومية الاسلامية ، ووقفات حاولوا من خلالها  
 تفسير مدلول كلمة " معلم " و " مؤدب " .

قال خليل طوطح عن " المعلم " يظهر أن هذا اللقب كان أحط الرتب العلمية  
 إذ كثيرا ما قرن بتعليم الأولاد والصبية ، والكتاب والكتاتيب " ، ( خليل طوطح ، التسمية  
 عند العرب ، - ١٩ ، ص ٤٧ ) . ويعتمد في ذلك على ما ذكره ابن خلكان عن أبي  
 غالب عبد الحميد الكاتب ، أنه " كان في الكتابة وفي كل فن من العلم اما ما . وكان أولا معلم  
 صبية ، ينتقل في البلدان ، ومنه أخذ المتوصلون ، ولطريقته لزمو " ، ( ابن خلكان ، وفيات

( ١ ) المقصود يحيى بن عبد الله بن محمد المعروف بالفرضي من أهل شرق الاندلس .

الاعيان ، ج ٣ ، ٢ ، ص ٢٢٨ ) ، وعلى ما ذكره ياقوت عن أحمد بن سهل البلخي أنه " كان معلما للصبيان ثم رفعه العلم الى مرتبة طلبة " ، ( ياقوت ، معجم الأدباء ، ج ٣ ، ٢ ، ص ٦٥ ) ، وما ذكره عن اسماعيل بن عباد في معرض التحقيق : " لوجرت الأمور على موضوع الرأي ، وقضية العقل ، لكان معلما " ، ( ياقوت ، معجم الأدباء ، ج ٦ ، ٢ ، ص ١٨٤ ) .

النصان : الأول والثاني من عبد الحميد وعن ابن سهل البلخي ، لا يحملان ما يمكن أن نستنتج معه ، أن تعليمها الصبيان ينبغي تقديمها في علمها ، والذي كان سببها في تقديمها الاجتماعي . وطوطح نفسه لا يثبت على هذا الرأي ، فهو في مكان آخر يقول : " قد يستنتج أيضا أن كلمة "مؤدب" كانت مرادفة "لمعلم" ، إذ تستعمل كلمة "مؤدب" في كتاب الأتاني ، و " معلم " في البيان والتبيين " ، ( خليل طوطح ، التهيئة عند العرب ، - ١٩ ، ص ٤٨ ) . وهناك قول للجاحظ (١) ، ينقله أحمد شلبي بسدل على مكانة "المؤدب" التي رأى طوطح أنها تعني " معلم " : لقد أطلقوا كلمة مؤدب على معلمي أولاد الملوك " ، ( أحمد شلبي ، تاريخ التهيئة الإسلامية ، ١٩٦٠ ، ص ٥٨ ) ، ويقول شلبي في مكان آخر : " وكانت هذه الوظيفة " وظيفه المؤدب " جذابة للغاية تفتح من يشغلها في مكانة طلبة " ، ( أحمد شلبي ، تاريخ التهيئة الإسلامية ، ١٩٦٠ ، ص ٦١ ) . أما ناجي معروف ، فيرى أن " المعلم هو الذي يقوم بمهمة التعليم في هذه المكاتب ( يعني الكتاتيب ) . أما المؤدب فالظاهر أنه لتعليم أولاد الخاصة ، وهم أولاد الخلفاء والنبل ، والقادة " ، ( ناجي معروف ، المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، ١٩٦٠ ، ص ١٢٠ ) .

أظن أن أولئك الباحثين اعتمدوا في تقرير هذه الآراء على النصوص المشرقية ، فماذا تقول النصوص الأندلسية ؟

(١) عن رسالة المعلمين ، للجاحظ مخطوط ، ظهر الورقة رقم ١١ .

ورد في النصوص المتقدمة ان رجلا من المعلمين بشرق الاندلس، ادعى النبوة، وتأول القرآن على غير تأويله، فاتبعه جماعة من الغوغاء زمن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام سنة ٢٣٧ هـ (ابن عذارى، البيان، ج ٢، ص ٢٠٩)، ويطلق عليه معلم كتاب (المؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ١٨٦٢، ص ١٠٧). ونقل ابن القضي عن محمد ابن احمد بن يحيى الزهرى المعروف بالاشبيلي (توفي ٣٢٥ هـ) انه "كان معلم كتاب، روى عن محمد بن وضاح، وابراهيم بن محمد بن باز والخشني قاسم بن محمد وابراهيم ابن قاسم بن هلال. وكان يجتمع اليه من اهل الحسبة، والمعلمون يقرأون عليه، وكان يدخل على امير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد رضي الله عنه، ويأخذ جوائزه" (ابن القضي، تاريخ علماء الاندلس، ج ٢، ١٩٦٦، ص ٤٤ - ٤٥). لقد كان محمد المذكور معلم كتاب عالي الثقافة، يجتمع اليه معلمون آخرون، وكان محترما عند امير المؤمنين. وفي القرون المتأخرة يذكر لقب معلم دون ان نشعر معه بدنو المكانة الاجتماعية للمعلمين: يروى عن محمد بن الوليد القيشاطي (توفي ٤٦٠ هـ) الاديب انه: "كان معلم العربية بقرطبة وكان لها ذكرا مقدما في معرفتها" (ابن بشكوال، الصلة، ج ٢، ١٩٥٥، ص ٥٤٢). وكان ابو بكر بن حزم من اشبيلية "من اهل الادب والعربية ومعلما بها" (ابن الابار، التكملة، ج ١، ١٩٥٦، ص ٢١٩). وعن ابي القاسم احمد بن محمد المعروف بالطنبري "كان معلما يعلم العدد والهندسة، نافذا فيهما" (صاعد التغلبي، طبقات الامم، ١٩٦٧، ص ٨٩). وفي مكان آخر يقرن لقب "معلم" بلقب "شيخ" وذكر ابو بكر بن عيسى بن احمد بن علاء ابن اشعث الكندي ابا على الغساني وقال: "هو شيخي ومعلمي... اختلفت اليه نحو خمسة اعوام في تعلم الفقه والادب" (ابن بشكوال، الصلة، ج ١، ١٩٥٥، ص ١١٥). وقد يطلق لقب "معلم" مع لقب "المؤدب" على شخص واحد: فأبو الضؤء العاملي من اهل رية "كان معلم قرآن... وكان مؤدب اعراب" (ابن الابار، التكملة، ج ٢، ١٩٥٦، ص ٢٧١).

المكانة المنحطة التي تحدث عنها طوطح ، عندما تعرض " للمعلم " والفكر الصائبة  
عن المعلمين ، أنهم دون غيرهم من الفئات الاجتماعية ، اعتمد في تقريرها على نصوص محدودة ،  
أهمها ما نقله الجاحظ من أمثال العامة " أحق من معلم كتاب " ، حيث شعر لرجل يدعو  
" صقلاب " يقول فيه :

وكيف يرجي العقل والرأى عند من يروح على أنثى ويغدو على طفل

وينقل قولاً ينسبه لبعض الحكماء : لا تستشيروا معلماً ، ولا راعي غنم ولا كنيست  
القوم مع النساء . ولا ينسى الجاحظ أن يعلق على قول الأخير " فأما استحقاق رعاة الغنم  
في الجملة ، فكيف يكون ذلك صواباً ، وقد رعى الغنم عدة من جلة الانبياء عليهم السلام " ،  
( الجاحظ ، الميمان والتبيين ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٢٦٨ ) . وتعلق الجاحظ يدل على  
تحفظه ازاء مثل هذه التسميات .

ويبدو أن نصوصاً نسبت أولم يهتم بها ، وكلها تشيد بمكانة المعلم هالد ور الذي  
قام به المعلمون ، وليس ما أوردته من نصوص أندلسية الا أمثلة لنصوص كثيرة ترد الفكرة التي  
يحاول قطاع من المجتمع إلحاقها بالمعلم لسبب من الأسباب .

أما " الموهوب " فقد ورد في النصوص أيضاً من الألقاب التي أطلقت على المعلمين :  
ورد تارة مطلقاً ، كما نقل من عفا بن قريش بن مروان الاشبيلي : " كان موهباً يقرى القرآن  
وهو موهوب به " ، ( المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم الاول ، ١٩٦٥ ، ص  
١٤٩ ) . ومن أصبح بن تمام الحرار من اهل قرطبة ( توفي ٣٦٥ هـ ) : " كان من أهل  
القراءات والحفظ للقرآن ، وكان موهباً " ، ( ابن الفري ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ،  
١٩٦٦ ، ص ٨١ ) . وأخبر القاضي ابو القاسم عن محمد بن حسين بن أحمد " كسان  
موهبي ، وكان أستاذي " ، ( الضبي ، بغية الملتص ، ١٩٦٢ ، ص ٢٠ ) .

ثم ورد هذا اللفظ مقيداً ، اما بالمادة الدراسية ، كما ورد في وصف ابن الفريضي  
" كان موهباً بالنحو " ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ١٩٥٣ ، ص ١١٢ ) . أو بالطبقة

الاجتماعية ، كما في ترجمة بكر بن عبد الله الكلامي حيث " كان مؤدبا لأولاد الخلفاء " رحمهم الله في النحو والشعر " ، ( ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ١٩٦٦ ، ص ٩٤ ) ، وفي ترجمة أبي زيد الأديب من أهل قرطبة " كان مؤدبا لبني أبي عبيدة " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٣٣٢ ) ، وكما نقل الحسن بن شريح عن الوليد بن بكر بن مخلد الغمري في قوله : " كان . . . مؤدبي ومؤدب أخيه المبهلول " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ص ٦٤٢ - ٦٤٣ ) . وهناك تقييد آخر ورد في ترجمة أبي بكر مجاهد بن جعفر العثماني ، والذي عاش في القرن السادس الهجري ، حيث قال عن نفسه : " سكننا الآن ٥٣٠ هـ بقرنطة وأعرف هناك بمؤدب الشبان " ، ( السلفي ، أخبار وتراجم أندلسية ، ١٩٦٣ ، ص ص ٣٠ - ٣١ ) . وكان ميكائيل بن هارون " مؤدب كتاب بحاضرة أستجة " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٢١٩ ) .

يتضح مما سبق أن المؤدب ، لقب أطلق على المعلمين بغض النظر من اختصاصاتهم إذ أن لكل مادة مؤدبين ، كما أنه لم يقتصر على من يؤدبون أولاد الخلفاء والأمراء والأسر الغنية ، وإن غلب على هؤلاء هذا اللقب .

إذا حاولنا معرفة مؤهلات المؤدبين ، فإن في قول أبي بكر الزبيدي ما يستأنس به : " ولم يكن عند مؤدبي العربية ولا عند غيرهم من عني بالنحو كبير علم . . . وذلك أن المؤدبين ، إنما كانوا يمانون إقامة الصناعة في تلقين تلاميذهم المعامل وما شاكلها وتقريب المعاني لهم في ذلك ، ولم يأخذوا أنفسهم بعلم دقائق العربية وفواضلها ولا اعتلال لمساثلها ، ثم كانوا لا ينظرون في إمالة ولا ادغام ، ولا تصرف ولا أبنية " ، ( نعمة رحيم المزراوي ، أبو بكر الزبيدي الأندلسي ، ١٩٧٥ ، ص ٤٦ ) و ( البير مطلق ، الحركة اللغوية ، ١٩٦٧ ، ص ص ٥١ - ٥٢ ) .

المؤدبون لا يصلون مرتبة الشيوخ والأئمة في البحث والتقصي والابداع ، وإنما يكتفون - على ما يبدو - من العلم بما يساعدهم على القيام بمهنتهم ، بخاصة وأنه يطلب منهم التأديب ( التعليم ) بأكثر من مادة أحيانا . والمؤدبون يمثلون معلمي مرحلة تلي مرحلة الكتاب ، وذلك ما يمكن أن نستنتجه من ترجمة الأخفش بن حيمون القهذافي " أصله من

القبذاق ، وتأديب في قرطبة " ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ١٩٥٣ ، ص ١٨٢ ) .  
لو كان التأديب يعني القراءة والكتابة لما احتاج الأخفش للرحلة ، حيث كانت الكتائب  
منتشرة . وما حكاه الشاعر عبد المجيد ابن عبدون عن نفسه أنه " كان بين يدي مؤدبه  
وسنة ان ذاك ثلاث عشرة سنة . فعن للمؤدب أن قال : الشعر خطة خسف .

وجعل يردد هذا القول : قال الوزير ابو محمد - رحمه الله - ( ابن عبدون )

فكتبت في لوعي مجيزا : لكل طالب عرف

ثم خطر لي بيت ثان : للشيخ عيبة عيب وللفتى ظرف ظرف

قال : فنظر الي المؤدب وقال : يا عبد المجيد ، ما الذي تكتب ؟ فأرته اللوح ، فلما  
رآه لطيفي ، وعرك أذني ، وقال : لا تشتغل بهذا ، وكتبت البيتين عنده " ، ( المراكشي ،  
المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ١٤١ ) .

يدل ما تقدم على أن ابن عبدون جاوز مرحلة الكتاب وبدأ ينظم الشعر .

رفم انني أطلت قليلا في الحديث من ألقاب المعلمين ، لكنني أعتقد انني لم أصل  
الى قرار يطمأن اليه بشأنها ، وأظن أن من يتصدى لذلك ، سيجد نفسه في حيرة من  
أمرها ، لانها لم تصدر من جهة معينة ، ولتلتزم بأسس يمكن البحث عنها . فهي اما أن  
تكون قد صدرت عن تلميذ مدح معلمه أو عن تلاميذ مدحوا معلمهم وأعجبوا به ، ثم لا قى  
هذا الاعجاب قبولا لدى المجتمع ، أو أن العلماء أنفسهم أطلقوا هذا اللقب لمناسبات  
تأكدوا فيها من أجدرية صاحب اللقب به ، أو أن مؤلفي الكتب هم الذين أطلقوها على  
بعض التراجم التي تضمنتها كتبهم ، كما أن اطلاق هذه الألقاب ارتبط بظروف ، وحوادث  
وحالات اجتماعية من الصعب تعصي دقايقها ، ان أنها ثابته في كل جزئية من سلسلة  
ذلك المعلم الذي عايش تلك الظروف ، سواء أكان ذلك في تدينه أو في علمه أو في معاملته  
للآخرين ، أو في مشاركته لتحمل المسؤولية في القضايا الاجتماعية والقومية . يضاف الى  
ذلك ، أن بعض المراجع تطلق أكثر من لقب على صاحب الترجمة ، أو أن مؤلفا يطلق لقباً على  
أحد العلماء ، وآخر يصفه بلقب غيره ، وأحياناً يكون صادراً عن شاعر أديب ، كما نرى لدى  
ابن خاقان في مطمح الأنفس ، وهو يصف ابا محمد بن الوليد المخزومي : " عالم متفوس ،

وفقيه مدون ، وأستاذ مجود ، وإمام أهل الأندلس . . . ، ( ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، قسيسيم ٢ ، ص ص ٦٠ - ٦١ ) . هذه أوصاف أديب كان يبحث عن السجـع أحياناً ، وعن الترادف أحياناً أخرى ، فضاعت بين ذلك دلالات الألفاظ .

وإذا أمعنا النظر في النصوص العابقة ، وجدنا أن " الأئمة " و " الشيوخ " و " الاساتذة " يشتركون في صفات كثيرة ، مثل تعانيفهم للكتب ، وتعظيمهم في ما لا تخصصهم أو ثقافتهم الموسومة ، أو ابتكاراتهم ، ولكن ذلك ، لا ينفي وجود فوارق في الكانـسة العلمية التي تدل عليها هذه الألقاب ، وربما احتجنا أن نعرف الكثير من التفاصيل عن أولئك الذين حملوها ، في حياتهم الخاصة والعامة ، حتى نستطيع الوصول إلى قرارات أكيدة بشأنها .

### أحوال المعلمين المادية

لم يكن المعلمون موظفين رسميين تعينهم السلطات السوفولية ، كما لم يكن لهم - في حدود معلومات مراجع الدراسة - هيئة رسمية تعثلهم ، ولذا كان التعليم حراً ، لا يخضع فيه المعلمون ولا الطلبة لنظام معين سوى ما قد منا من الأعراف والتقاليد العلمية . وعلى هذا الأساس يمكن أن نتعرف في هذا المجال على الفئات التالية من المعلمين :

#### أ - معلمين موظفين براتب معلومة

هؤلاء هم الذين اتخذ منهم الأمراء والسراة الأغنياء مودعين لا ولا دهم ، وأولئك الذين طلب منهم التزام مساجد بعميتها لتعليم عامة الناس . مثلهم ما ذكر عن الفقيه أحمد بن يوسف الملقب بالقسطلي ، حيث استدعاه الخليفة الحكم الثاني في رمضان سنة ٣٦١ هـ " فأمره بالتأهب لتعليم ولده الأمير أبي الوليد هشام ، وأحسن وصاته به ، ووص له في تعليمه وتدريجه رسوماً ، لم يعد عنها . . . ثم عهد بمقد للفقيه أحمد بن يوسف معلم

الأمير أبي الوليد هشام باجرا\* الرزق عليه\* ، ( سيمون حايك ، صبح المشكنسية ، ١٩٧٦ ، ص ٩١ - ٩٢ ) ، وكان سليمان بن حكم المستعين ، قد أجلس سليمان بن هشام بن وليد بن كليب المقرئ\* للاقرا\* بالمسجد الجامع بقرطبة ، وأصاب ثرا\* ورفعة\* ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ١٩٤ - ١٩٥ ) ، بعد أن كان فقيرا مدقعا . ويذكر من فرج بن حديدة البطلوسي والمتوفي ( ٤٨٠ هـ ) أنه انتقل إلى اشبهلية\* فقد منها في إمارة المعتضد بن عباد - ووافي حينئذ أكمل أمه السيدة بنسبا\* سجدها المنسوب إليها ، فأجلسه المعتضد للاقرا\* به ، بعد أن أجرى عليه راتبها ، ونفقة من الأعباس\* ، ( الأوسي المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ج ٢ ، ١٩٦٥ ، ص ٥٣٨ - ٥٣٩ ) و ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٤٦٢ ) . وفي دراسة لأبهر مطلق يحدد أسماء طائفة منهم ، ويصل إلى أن هؤلاء - إلى جانب الخطوة الخاصة التي كانوا ينالونها في تأديب أولاد الأعيان - كانوا يجدون رزقا مكفولا ميسرا ، وهو رزق يتضمن أحيانا ثلاثة أمور : الراتب ، والحملان (١) ، والعلوفة\* ، ( أبهر مطلق ، الحركة اللغوية في الأندلس ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٢ ) .

#### ب - معلمين يأخذون الأجرة من الدارسين

من النصوص المتوفرة ، نقع على فئة من المعلمين اتخذت - على ما يبدو - من التعليم حرفة تتعيش منها . ففي قرطبة اجتمع المعلمون يوما إلى الغاز بن قيس المتوفي ١٩٩ هـ ، ( ابن الفري ، تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ١٩٦٦ ، ص ٣٤٥ ) ، وقالوا : " يا سيدنا افتنا في الحذقة (٢) . فقال لهم : الحذقة واجبة\* ، ( أبهر مطلق ، الحركة اللغوية

(١) الحملان : ما يحمل للموحد من هدايا .

(٢) الحذقة : جرت العادة أن يقبض الموحد جملا ، كلما بلغ أحد تلامذته مرحلة الاتقان والحذق لما تعلمه ، وقد عرف هذا الجعل في الأندلس بالحذقة . ( من أبهر مطلق ، الحركة اللغوية في الأندلس ، ١٩٦٧ ، ص ٤٩ - ٥٠ ) .



في الاندلس، ١٩٦٢، ص ٤٩ - ٥٠ ) . وورد عن عمر بن عبد العزيز الاشبهلي ،  
والذي يكنى بأبي علي الشلو بين ( ٥٦٢ - ٦٤٥ هـ ) " أنه كان متقدما في العموية كبهر  
اساتيزها " تصد رلتد ريسها بعد الثمانين وخمسة مئة طويلة نحو ستين عاما ، واليه  
كانت الرحلة فيها ، واستفاد بسبب ذلك جاها عريضا ومالا عظيما ، وذكرنا شائعا . وذكر  
لي غير واحد من لقيته أنه كان يبلغ أحيانا استفاد من الطلبة أربعة آلاف درهم في الشهر  
الواحد " ، ( الأوسي المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، الجزء الثاني ، ١٩٦٥ ،  
ص ٤٦٦ ) . ونقل عن العتيبي أن قاسم بن سهل من أهل مدينة جيان جمع منه مستخرجته  
" وكان يأخذ الأجر على اسمها " ، ( ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ١٩٦٦ ،  
ص ٣٦٢ ) . وما ذكر عن أبي بكر الصقلي ( في القرن الخامس الهجري أنه " فارق صقلية  
بلده ، وجال بلاد الاندلس ، فنزل قرطبة حامل الشخص ، نابه الذكر . . . قد ترك الناس  
جانبا وقنع بأدنى معيشة على أخرجة صبية تقي حرف آباءهم ، يعلمهم القرآن متعيشا  
بالقل الذي يوثقه ، غير منتقص عليهم ، ولا مقصر في تعلمهم " ، ( ابن الأبار ، التكملة ،  
ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٢٢٣ ) . وظل مثل هذا التعيش دأب الكثير من المعلمين . ففي زمن  
دولة بني نصر في غرناطة ، ذكر عن أبي محمد عبدالله بن محمد بن سارة البكري ( المتوفى  
٧١٥ هـ ) أنه " سكن اشبهلية ، وتعيش فيها بالوراقة فأدركته حرفة الادب ، وجال فسي  
الاندلس شرقا وغربا للتعليم بالعموية " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، تحقيق الرفاعي ، ج ١ ،  
؟ ، ص ٦٩ ) . هذه الرحلة - لا شك - كانت ابتغاء المعيشة والرزق . ومن كتساب  
بحث به محمد الغالب بالله احد الامراء النصارى الى ابن عاصم ( أبي محمد يحيى بن  
محمد بن محمد . . . الاندلسي الغرناطي ، يوليه القضاء نستنتج أن الولاة كانوا مفوضين  
بالدفع الى المعلمين . فما ورد في الكتاب " وعلى جميع القضاة الا مضيا ، والعلماء الا رضيا ،  
والخطباء الا وليا ، والمقرئين الا زكيا " وحملة الا قلام الأخطيا " ، ان يعتمدوا هذا الولي  
العواد في كل ما يرجع الى عوائدهم ، ويختص في دار الملك من مرتباتهم وفوائدهم " ،  
( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٨ ، " تحقيق الرفاعي " ، ؟ ، ص ٢٦٨ ) . كان ذلك  
الكتاب في صفر عام ٨٥٢ في او اخر حكم بني نصر ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٨ ، " تحقيق  
الرفاعي " ، ؟ ، ص ٢٦٨ ) .

## ج - معلمين لم يتقاضوا أجراً على التعليم

أغلب الظن أن هؤلاء المعلمين لم يكونوا يحترفون التعليم ، وإنما يسمع منهم القرآن ويقرأ عليهم ، كما يؤخذ منهم الحديث . ففي قرطبة سكن أحمد بن محمد بن عبد الله الطليحي ( ٣٤٠ - ٤٢٩ هـ ) " وأقرأ الناس بها محتسبا ، في سبيل الله ، وأسمعهم الحديث ، والتزم الأمانة بسجدة متعة ، ثم خرج إلى الثغر فتجول فيه وانتفع الناس بعلمه " ( ابن بشكوال ، الصلاة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ٤٤ - ٤٥ ) . وكان عتيق بن طلي بن خلف ( ٥٢٦ - ٦١٢ هـ ) " شيخا صالحا ورعا . . . مواظبا على تلاوة القرآن ، كثير النصيحة في إقراءه ، مشبها لا يشغله من سماع القارئ عليه شيء " ، ولا يمتنعي على إقراءه أجرا إلا من الله تعالى " ( الأوسي المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، الجزء الأول ، ١٩٦٥ ، ص ١٢٣ ) . ولما قرأ محمد بن عبد الرحمن المذحجي ( المتوفى ٥٣٧ هـ ) على أبي طلي الغساني وسمع منه " دفع إليه يوما جملة من المال جزاء على ذلك ، فأخذه ووضع على رأسه ، وقال : لا آخذ على هذا شيئا أبدا ، ولو أخذت من أحد لأخذت منك " ( ابن الأبار ، المعجم ، ١٩٦٧ ، ص ١٤٢ ، والتكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٥٤ ) . وفي جزيرة شقر من أعمال بلنسية ، طاش محمد بن إبراهيم اللخمي ( توفي ٥٨٢ هـ ) بعد أن رحل إلى الحج صغدا ، وأقرأ في شقر " القرآن نحو من أربعين سنة لم يأخذ من أحد أجرا ، ولا قسطل هدية " ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٢ ، " تحقيق الرقاعي " ، ص ٩٠ ) .

وهناك أناس كانوا ينتسبون إلى طائفات سرية شهرة ، أحبوا العلم للعلم ، وكانوا لا يعملون بما عندهم على الناس ، دون أن يأخذوا أجرا على ذلك . يذكر منهم المقرئ بني الجد باشميلية ، وبني الخليل وضرهم في مدن أخرى ، حيث " كانوا يتعشون من فضول أملاكهم ، ووجائب رعايهم ، ويقعدون بدورهم ، عاكفين على بر ، مطاعين لرؤية وفتيا ، يقصد هم الناس في الشهادة ، فيجاملونهم . . . ويهدونهم إلى سبيل الحق فيها ، من غير أجر ولا كلفة ، إلا الحفظ على المناصب ، وما يجريه السلطان من الحرمة ، والتفقد في الضرورة ، وما يهد بهم الناس من الأطر والتجلة " ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٨ ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ٢٨٥ ) .

وما يؤكده تقاضي المعلمين أجوراً أعلى تعليمهم ، ما قام به الحكم المستنصر من فتح مكاتب لليتامي والفقراء في قرطبة ، لمتمكنوا من التعليم .

### المعلّمات من النساء

من النصوص المتوافرة ، نرى أن المرأة شاركت الرجل في حمل رسالة التعليم ، وإن كان ذلك على نطاق ضيق ، وأكثر تعليمهن فيما يبدو ، كان في الأسر الغنية ، يدل على ذلك ما ذكره ابن حزم (١) عن النساء واللواتي يمكن أن يكن صغيرات في الحب ، يمدنهن : الطيبة والحجامة والدلالة والمأشطة والمغنية ، والكاهنة والمعلمة ، ( ابن حزم ، طوق الحمامة ، ٩ ، ص ٥٤ ) . ومنذ العهد الأندلسي المبكرة اشتهرت منهن اسماء في مجال التأديب والتعليم . فلقد نقل عن محمد بن حزم من قرطبة ( عاش في القرن الثالث الهجري ) أنه " أدب أحمد بن يحيى ، ومحمد بن هاشم الاقشتين ، وكان أبوه معلماً عاصماً ، وكانت له اخت تودب أيضاً ، وتجمعهم كلهم في التعليم دار واحدة " ، ( ابن الأثير ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٣٥٨ ) . وفاطمة بنت يحيى بن يوسف المغامي أخت الفقيه يوسف بن يحيى " كانت خيرة فاضلة ، عالمة فقيهة ، ورعة ، استوطنت قرطبة ، فيها توفيت - رحمها الله - سنة ٣١٩ هـ " ، ( الضبي ، بغية الملتص ، ١٩٦٢ ، ص ٥٤٧ ) . وفاطمة بنت محمد بن علي بن شريعة اللخمي أخت أبي محمد الأشبيلي ، شاركت أخاها أبا محمد فسي بعض شيوخه ، وأجازها معاً محمد بن فطيس الهميري في جميع روايته بخط يده " ، ( الضبي ، بغية الملتص ، ١٩٦٢ ، ص ٥٤٧ ) ، ومريم بنت أبي يعقوب الشلبي الحاجة " أدبية شاعرة جزلة مشهورة ، كانت تعلم النساء الأدب ، وتحتشم لدينها وفضلها ، وعمرت عمراً طويلاً ، وشهرت بعد الأرمائة هجرية " ، ( الضبي ، بغية الملتص ، ١٩٦٢ ، ص ٥٤٤ ) .

(١) هو علي بن أحمد بن حزم ( توفي ٤٥٦ هـ ) .

كانت النساء يمارسن التعليم مع ابناهن اسرهن : يذكر عن محمد بن احمد ابن عبد الله بن محمد بن سيد الناس أنه " تلا على أبيه وجدته أم أبيه أم العفاف نزهة بنست أبي الحسن سليمان بن أحمد بن سليمان اللخمي " ، ( الأوسي المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم ٢ ، ١٩٦٥ ، ص ٦٥٤ ) . ونقل عن عبدة بنت بشر جارية دحون (١) ، أنها اشتهرت بكثرة روايتها عن مالك وغيره من علماء المدينة ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٩ ، " تحقيق الرقاعي " ، ص ٢٤٦ ) ، وكانت لبنى كاتبة الحكم بن عبد الرحمن الخليفة ، حاذقة بالكتابة ، نحوية ، شاعرة ، بصيرة بالحساب ، مشاركة في العلم ، وكانت مروضية حصنة الخط ، توفيت ٣٢٤ هـ ، ( الضبي ، بغية الطعس ، ١٩٦٢ ، ص ٥٤٦ ) ، ويروى عن مريم إحدى جوارى عبد الرحمن الناصر ، أنها كانت تعلم بنسبات الأسر الراقية في أشبيلية العلم والشعر مع شهرة عظيمة ، فتخرجت في مد رستها نساءً بارعات كثيرات " ، ( غوستاف ليهون ، حضارة العرب ، ٢ ، ص ٤٠٤ ) .

هناك عدد أكبر من النساء اللواتي روين الحديث وعلمن الأدب والشعر والنحو ، ولكن تقف على قمة الشهرة منهن عائشة القرطبية (توفيت بعد ٤٠٠ هـ) التي امتازت بذلكها النادر . وكانت خطيبها تلقى في الأكاديمية الملكية بقرطبة ، وتلقى استحساناً عظيماً " ، (خودابخش ، الحضارة الإسلامية ، ١٩٦٠ ، ص ١٨٤ ) . ولم يكن من حرائر الأندلس في زمانها من يعدلها فهما وعلماً وأدباً وشعراً وفصاحة ، (ابن بشكوال ، الصلصة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ص ٦٩٢ - ٦٩٣ ) . وعن ابن دحية في العطب " وأنها أديبة شاعرة ، مشهورة وكانت تعلم النساء الأدب " ، (المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ص ٢٦ - ٢٧ ) ، وإلى جانب عائشة اشتهرت ولادة بنت المستكفي الشاعرة وعشيقه ابن زيدون التي قال فيها قصائد جمّة مشهورة . ولقد نقل عنها أنها أدبت مهجّة القرطبية إلى أن صارت شاعرة وهجتها ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ١٩٥٣ ، ص ١٤٣ ) .

(١) دحون : هو حبيب بن الوليد المرزاني الأموي ، توفي بعد ٢٠٠ هـ .



وأخيرا تطرق الفصل الى احوال المعلمين المادية ، فتبين أن قسما من المعلمين درسوا احتسابا في سبيل الله ، لم يأخذوا أجرا ، وقسما اتخذ من التعليم حرفة يتعبدش منها ، وقسما آخرون يتلقون راتبا جاريا من الحكام الذين اتخذوا من هؤلاء المعلمين موهدين لأولادهم ، أو الأثرياء الذين اتخذوهم موهدين لأولادهم . وفي الختام تعرض الفصل للمعلومات من النساء ، فتبين أنهن شاركن في التعليم ، وفي نطاق ضيق محدود ، ولكنه كان دورا رائدا لهن بين نساء العصور الوسطى في المجتمعات غير الإسلامية .

## الفصل السادس

### مهام المعلمين وطرائق تأديتهم

#### مقدمة

سلك المعلمون طرقاً وأساليب مختلفة ومتعددة لنقل ما عندهم من المعلومات ونقل ما في كتبهم التي يقتنونها لغايات تعليمية ، ينفعون بها الناس . لقد كان كل معلم يجتهد أن تكون له أساليبه التي يجذب من خلالها الطلاب اليه ، وهو في ذلك - لا شك - يتأثر بخبراته السابقة وأساليب المعلمين الذين أخذ عنهم والتقى بهم ، ومضيف إلى ذلك ما يستطيع ابتكاره وتجريبه ، لكنه - على كل الأحوال - لا يخرج عمن أساليب التي كانت سائدة في عصره ، والتي أملت بها طبيعة المرحلة الحضارية ومعطياتها المادية ، والحركة التعليمية . فالحصول على الكتب - في مراحل مبكرة - لم يكن يتيسر لكل طالب ، والكتاب الذي كان يدرسه ، أو الكتب التي كان يدرسها المعلم أثناء طلبه ، هي التي سيعلمها لطلابه ، ورغم ما ورد عن الوراق والنسخ ، ونشاط النساخ ، لكن الكتب ، لن تفي بحاجة الطلاب الكثيرين الذين أقبلوا على التعلم ، كما أن النسخ لن يكون قادراً على توفير كل الأعداد المتنوعة من الكتب . فهي وإن مدت حاجة المعلمين لكنها - في تقديرى وكما تدل النصوص - لم تكن كافية لحاجات جميع الطلبة . كما أن الحديث الشريف وطرق روايته وجمعه ، كان من المواد التي تأثرت بها أساليب المعلمين ، فلقد كان الحديث أول ما اتجه اليه المسلمون ، واهتموا به ، فانعكست أساليب روايته وحفظه ونقله على تعليم باقي المواد الدراسية التي نشأت في ظلال الدراسات القرآنية ، ودراسات الحديث . وانعكس أيضاً أدب المحدثين ، وطالبي الحديث على المعلمين عامة ، وعلى طالبي التعليم .

## اساليب التعليم

### الاسماع

كان الاسماع احدى الطرق الشائعة ، ولعله من الطرق الرئيسية في التعليم ، وهو ينقسم الى املاء وتحديث \* ، ( القاضي مياض ، الاسماع ، ١٩٢٠ ، ص ٦٩ ) و ( بكري شيخ أمين ، أدب الحديث النبوي ، ١٩٧٣ ، ص ٧٦ ) ، سواء أكان ذلك من حفظ المعلم أم من كتاب يقرأه ، ويرد محمد غنيمه اعتماد التعليم الاسلامي على الرواية السلي طبيعة العقل العربي وقد رته الفائقة على الحفظ ، عندما كانت الامية غالبة على الامية العربية أول أمرها ، مما جعل الرواية الوسيلة المثلى في اذاعة الثقافة العربية ونشرها . لقد كان لكل شاعر في الجاهلية زاوية يحفظ شعره ويرويه عنه ، وكان الحديث النبوي ينقل بالرواية ويعتمد عليها ، ثم أخذت رواية اللغة والادب بطرق المحدثين واتبع سننهم ، لما كان من تواصل بين اللغة والحديث . وهذا قد شاعت الرواية في كافة العلوم الاسلامية ، ( محمد غنيمه ، تاريخ الجامعات ، ١٩٥٣ ، ص ص ١٨٠ - ١٨١ ) .

### الاملاء

هو نفس اسلوب الاسماع ، والاختلاف في حاله الملتقي ، فهو في الحالة الاولى يسمع ويحفظ ، وفي حالة الاملاء يضبط الاستاذ " كل كلمة يقولها ، والطالب يقيد كل كلمة يسمعها " ، ( محمد غنيمه ، تاريخ الجامعات الاسلامية ، ١٩٥٣ ، ص ١٨٣ ) و ( بكري شيخ أمين ، أدب الحديث النبوي ، ١٩٧٣ ، ص ٧٦ ) . ويحلل طوطح استخدام طريقتي الاملاء والتلقين بـ " عدم توافر الكتب المدروسة والمعاجم ودواشر المعارف وغيرها لديهم . . . مما أنه لم يكن من الكتاب الا نسخة واحدة ، وكانت هذه بيد المعلم ، كذلك اضطر هذا أن يعلي على طلبته محتويات تلك النسخة " ، ( خليل طوطح ، التوبة عند العرب ، - ١٩ ، ص ٨٨ ) .



## القراءة :

هي أن يقرأ المعلم من كتاب ، والمطالب يسمع منه ، وقد يقرأ المعلم من حفظه ، وقد يقرأ الطالب على المعلم كتابا يحفظه العلم أو يقتني أصله ، ( القاضي عياض ، الالاع ، ١٩٢٠ ، ص ٢٠ ) . ويرى فنيمة أن القراءة كانت وسيلة لتدريس رواية عمل علمي ليس من إنتاج الأستاذ نفسه في غالب الأحيان ، محمد غنيمة ، تاريخ الجامعات الإسلامية ، ١٩٥٣ ، ص ١٨٦ ) .

كانت الأساليب المتقدمة عامة ومنتشرة في العالم الإسلامي ، فهل اعتمد الاندلسيون مثل هذه الطرق ؟ وهل اقتصرُوا عليها فقط ؟

المتتبع للنصوص ، يرى انتشار هذه الأساليب في الاندلس أيضا ، واعتادها بالاضافة إلى أساليب أخرى ستعرض لها الدراسة .

عن أحمد بن مطهر بن غالب بن سعيد بن عبد الرحمن التجيبي من أهل ألبسنة ( توفي بعد ٦٣٠ هـ ) وعرف بابن السقاء ، أنه " تصدر للاقراء والاسماع والتعليم " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ١٢ ) ، وعن محمد بن حارث الخشني أحد قضاة قرطبة ، أنه " تفقه بالقيروان . . . وقدم الاندلس حدثا وسنه اثنتا عشرة سنة ، فسمع من ابن أميين ، وقاسم بن أصبغ ، وأحمد بن عباد و . . . و . . . " ، ( الخشني ، قضاة قرطبة ، ؟ ، ص ٦ - ٧ ) . وروى عن سليمان بن حرب ( ٤٠٣ - ٤٧٤ هـ ) أنه كان يحضر مجلسه " ثلاثة آلاف رجل للسماع " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ٢٠٢ ) .

ومن شهر بالاقراء حسين بن محمد بن حسين بن علي بن عريب الانصاري من طرطوشة حيث " تصدر لاقراء القرآن ببلده ، وولي الخطبة بجامعه ، وأقرأ أيضا بمسرح مطبة في مجلس شيخه ابن اللواق ، ثم انتقل إلى المربة ، فأقرأ بجامعها " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٢٧٥ ) ، وكان جعفر بن يحيى بن إبراهيم من أهل مدينة دانيية ( توفي ٥٤٠ هـ ) " أدبيا كاتباً شاعراً . . . وأقرأ بالعربية والآداب " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٢٣١ ) .

وفي الاملاء : كان الهيثم بن أحمد بن أبي غالب بن الهيثم " يطلي على شخص شعرا ، وعلى ثاب مؤشحة ، وعلى ثالث زجلا ، كل ذلك ارتجال دون توقف " ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ١٩٥٣ ، ص ٢٥٨ ) ، ومن ثابت بن محمد الجرجاني ( توفي ٤٣١ هـ ) أنه " ألقى بالاندلس كتابا في شرح كتاب الجمل للزجاجي " ، ( الضبي ، بهيمة الملتص ، ١٩٦٢ ، ص ٢٥٣ ) ، وحكي عن أبي مروان الطبري عند عودته الى قرطبة انه " ألقى ، واجتمع اليه في مجلس الاملاء خلق كثير " ، ( الضبي ، بهيمة الملتص ، ١٩٦٢ ، ص ٣٧٩ ) . كما نقل عن أحمد بن محمد بن عمر . ابن واجب القيسي من أهل بلنسية ( ٥٣٢ - ٦١٤ هـ ) أنه " أخذ عن أبي الحسن بن النعمة ، وتعلم العموية عنده ، وعليه قيد كتب اللغات والآداب " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ١٠٦ ) .

هذه الاساليب في السماع والقراءة ، واجهت نقدا تشل فيما ذكره عياض بن موسى بن عياض ( ٤٧٩/٦ - ٥٤٤ هـ ) ، في مقدمة كتابه " شارح الانوار ، ذاكرا سبب تأليفه الكتاب حيث :

رأى المتأخرين قد تساهلوا في الاخذ والاداء حتى أوسعوه اختلالا ، ولم يألوه خبالا ، فتجد الشيخ المسموع بشأته وشأنه يتكلف الناس شاق الرحلة اليه ، ويتناهبون الاخذ عنه ، وحضوره كعدمه ، لانه لا يحفظ حديثه ، ولا يمسك أصله ، بل يمسك أصل سواء ، وربما كان معه من يتحدث معه ، أو غدا مستقلا نومه ، أو مفكرا في شؤونه حتى لا يعقل ما سمعه ، ولعل الكتاب المقروء لم يقرأ قط ، ولا علم ما فيه الا في نيته تلك ، أو يكون بعض متساهلي الشيوخ ، قد ناوله كتابا لا يعلم مسوى القابها ، أو أخته اجازة فيه من بلد سحيق ، ويكتفي بأن يجد عليها أشرد عوى المقابلة والتصحيح ، والاخذون عن الشيخ يتساهلون كذلك ، فلا يضبظون ما يكتبون ، وقد يتشغلون اثناء السماع بمحادثة الجلوس ، وربما حضر مجلس الشيوخ صبي لم يفهم بعد عامة كلام أمه ، فيعتمدون

بصحة سماعه ، اذا كان قد أوفى اربعة أعوام ، ويحتجون بحديث  
محمود بن الربيع الذي يقول فيه : عقلت عن النبي ( صلى الله عليه  
وسلم ) مجة مجها في وجهي ، وأنا ابن اربع سنين وليس في عقل  
محمود هذه المجة حجة على عقله لكل شيء كان من أمره أو من  
حوله . ( القاضي عياض ، الالمام ، المقدمة ، ١٩٢٠ ، ص ١٠ - ١١ ) .

ومثل ذلك ما روى عن محمد بن خليفة بن عبد الجبار . . الهلوى من اهل قرطبة ،  
الذي رحل حاجا ٣٤٨ هـ وسمع بمكة ، ثم انصرف الى الاندلس ولزم التأديب بالقصرآن  
" ثم كان بعد ذلك لا يوتي بشيء من الكتب الا ذكر أنه سمعه ، ولقد بلغني أن احدا  
تغفلوه بكتاب لمحمد بن الحسين البرجلاني الزاهد شيخ ابي بكر بن أبي الدنيا ،  
فذكر أنه سمعه ، وطنه محمد بن الاجري ، وكان يوتي بالكتاب فينسخه ثم يحدثهم به ،  
وكان ضعيف الخط لا يقيم الهجاء " ، ( ابن الغرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ٩٦٦ ) ،  
ص ١٠٤ ) .

مثل هذه النصوص الناقدة ، ترسم صورة لطائفة من المعلمين الذين استغلوا  
اقبال الناس على العلم وتعطشهم له فراحوا يستغلون جهلهم بتقديم علوم غير صحيحة  
وكتب غير مضبوطة لانهم استلذوا الكسل ، فلم يتحملوا سوء ولية الرسالة السامية لتسي  
أسند المجتمع اليهم امانة حطها . كما يتضمن هذا النقد موقفا جريئا لا ولئك الذين  
أخذوا بظاهر الحديث الذي قال فيه محمود بن الربيع أنه عقل مجة رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - وعمره أربع سنين ، ومن ثم افترضوا أن ابن اربع سنين يمكن ان يحقل ما يسمع  
من الحديث ، فسمحوا للصبيان في مثل هذه العن بالسماع ، واعتمدوا ذلك لسماع ، فسي  
حين يقول عنه القاضي عياض " أنه لم يفهم عامة كلام أمه " ، وكأنه يريد ان يقول أن الراجعة  
من العمر من غير ملائمة لان يدخل الطفل معها حلقات العلماء ، وهو بذلك يقترب من  
حقائق علم النفس الحديث التي رأيت أن السادسة او الخامسة والنصف عمر مناسب لدخول  
المدارس الابتدائية اليوم . ان القاضي عياض يرفض التقيد الآلي بالنصوص ، دون تقليدها

على سائر أوجهها لفهمها وتعميمها ، وملاءمتها للواقع .

قد يتبادر إلى ذهن القارئ أن المعلمين اقتصروا على مثل هذه الأساليب ، وكأن المتعلم آلة يسمع فيحفظ ، أو يطلي عليه فيكتب ، أو يحايل نسخة كتابه بما عند الشيخ وينصرف غير أن واقع التعليم والمعلمين في الاندلس - ومن خلال النصوص القليلة - يبرز لنا أساليب في التعليم والتعامل اليومي مع الطلاب ما نعتقد معه بمقدرة المعلمين على تنويع أساليبهم ، وخلق التفاعل بينهم وبين طلابهم ، فعدا الأساليب السابقة ، استخدم المعلمون :

### المحاضرة

يبدو أن المحاضرة كانت أسلوب المعلمين الذين درسوا في مراحل الدراسة العليا ، مثال ذلك ما ورد عن الأعلام النحوي المشهور ، عندما تحدث ساعتين عن المسألة الزنبورية (١) في النحو ، وعن مسائل أخرى وضعها الطلاب بين يديه ، وفي آخر الحديث اعتذر لضيق الوقت ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، جده ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ٢١٩ - ٢٢٦ ) ، وما ذكر عن الفقيه أبي أيوب بن أمية ، إذ كان " له أدب حاضره فلا البحر إذا عصف " ، ( ابن خاقان ، مطمح الانفس ، قسم (١) ، ص ٢٨ ) .

### المناقشة والمذاكرة ( الأسئلة والأجوبة )

يقصد بها ، ما يدور من حوار تتخلله أسئلة الطلاب وأجوبة المعلم ، ونرى مثالا لذلك ، ما ذكر عن صاعد البغدادي ( المتوفى ٤٤٧ هـ = ١٠٢٦ م ) ، أنه " أدخل السبي

(١) المسألة الزنبورية : مثل سيبويه ، كيف تقول " ظننت أن المقرب أشد لسمعة من الزنبور فإذا هو هي أو أياها ، فأجاب سيبويه بعد أن أطرق شيئا ، فإذا هو أياها " في بعض الأقاويل ، وزعم آخرون أنه قال " فإذا هو هي " ( المقرئ ، نفح الطيب ، جده ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ٢١٩ ) .

الاندلس طريقة جديدة في درس الشعر الجاهلي ، تتلخص في أن يقرأ الطالب القصيدة ثم يسأله الأستاذ عن معاني الالفاظ ، فيقوم بالشرح معتمداً على قائمة من المعاني ، يكون قد استخرجها من المعاجم العربية " ، ( بالنشأ ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ٦٦ ) . وما نقل عن أبي محمد القرطبي ( عبدالله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبدالله الانصاري ( ٥٥٦ - ٦١١ هـ ) ، عندما " قرئ عليه باب الابتداء " بالكلم التسيي يلفظ بها من ايضاح الفارسي ، وكان أحسن الناس قياما عليه ، فتكلم على المسألة الواقعة في ذلك الباب ، المتعلقة بعلم العروض ، وكان في الحاضرين من أحكم صناعة العروض ، فجاذبه الكلام في المسألة ، وضايقه في المباحثة ، حتى أحسن الأستاذ نفسه بالتقصير ، إذ لم يكن له قبل كبر نظر في العروض ، فكشف عن الخوض في تلك المسألة ، وهمه ذلك ، وشغل باله ، واشتد عليه ، وانصرف الى منزله ، وعكف سائر يومه على تصحيح علم العروض حتى فهم أغراضه ، وحصل قوانينه وصنف فيه مختصراً نهيلاً " ، ( المراكشي ، الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ، ١٩٦٤ ، ص ١٩٦ ) .

وترد بعض العبارات التي يفهم منها ، أن المعلمين كانوا يسلكون اسلوباً مما ، ويرجح أنه الشرح والتفسير لما في الكتاب الذي يدرسونه ، فلقد ورد عن القاضي ابــــن عبدالله بن برطال ، واحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد ، أنهما قرأا الجزولية (١) على ابن مفرج المالقي تفقهاً ، ( لسان الدين بن الخطيب ، الاحاطة ، مجلد ١ ، ؟ ، ص ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ) . وعن ابراهيم بن محمد بن فارس بن شاكلة من ضرود غــــل الاندلس ( توفي ٦٠٩/٨ هـ ) أنه " أقرأ مقامات الحريري تفقهاً " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ١٧٧ ) . فالتفقه يعني التعمق في الفهم ، ولا يتأتى ذلك للطالب سبب الا من خلال الشرح والموال والجواب .

(١) الجزولية : هي الحواشي التي وضعها ابو موسى الجزولي النحوي المغربي ،

المتوفى ٦٠٧ هـ .

## المناظرة

عرف أسلوب آخر في التعليم سماه الاندلسيون المناظرة ، والنصوص لا توضح بالضبط المقصود بها . ومحمد غنيمية يعتقد أن " المناظرة في الغالب بين الاساتذة بعضهم بعض " ، ( محمد غنيمية ، تاريخ الجامعات الاندلسية ، ١٩٥٣ ، ص ٢٠٤ ) . لكن الذي يرد في التراجم الاندلسية لا يفهم منه ذلك فقط ، نقاسم بن سيار ( المتوفى ٢٢٨/٧/٦ هـ ) " لزم ابن عبد الحكيم للتفقه والمناظرة " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، تحقيق الرفاعي " ، ص ١٢٨ ) ، ويحيى بن زكريا بن سليمان من أهل قرطبة ( توفي ٣١٥ هـ ) " كان فقيها في المسائل ، حافظا للرأى ، وكان مشاورا مع محمد بن عمر بن لهيعة ونظرائه ، وكان يجتمع اليه للسمع منه والمناظرة عنده ، وكان معظما في العامة والخاصة " ، ( ابن الغضضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ١٩٦٦ ، ص ١٨٨ - ١٨٩ ) . وعبد الله بن باديس اليحصبي من أهل جزيرة شقر ، وسكن بلنسية ( توفي ٦٢٢ هـ ) ، " رحل الى اشبيلية ، والى قاس ، وعاد الى بلنسية ، واجتمع اليه بالمسجد الجامع فيها ، ونوظر عليه في " المستصفي " لأبي حامد الغزالي ، وغير ذلك " ، ( ابن الابار ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٨٩٣ ) .

وفي اللغة : ناظره : صار نظيره ، وناظر فلانا بفلان ، جعله نظيره ، ( الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ج ٢ ، ٢ ، ص ١٤٥ ) . هل يصح ان نستنتج أن المناظرة تعني مناقشة الاقران لبعض المسائل العلمية بوجود خبير بها ، هو المعلم ، وأنهما تعني المناقشة عن طريق السؤال والجواب .

ولعل ما ورد عن عبد الله بن أحمد بن عثمان ( توفي ٤١٢ هـ ) يوضح جانبها من مفهوم المناظرة ، فقد " كان يبدأ المناظرة بذكر الله عز وجل ، والصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يورد الحديث والحديثين والثلاثة والموعظة ، ثم يبدأ بطرح المسائل من غير الكتاب الذي كان يناظرون عليه فيه " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ٢٦٢ ) .

ان المناظرة طرح مسائل ومناقشتها ، وهذه المسائل من كتاب الدرس أو من كتاب آخره .  
يطرحها الشيخ ، لا غرض تهوية وتعليمية لعل أهمها تدرب تلاميذه على الدفاع عن  
وجهات نظرهم في المسائل المعروضة .

### من أساليب المعلمين في تهية طلابهم

#### احترام شخصية الطالب

ويتجلى في تشجيع المعلم لطلابه على ابداء آرائهم في مسائل العلوم التي  
يتدارسونها ، وفي قبول آراء الطلبة عندما تكون صحيحة ، وفي إتاحة الفرصة للطلاب  
باستخدام تفكيرهم الخاص ، بل وفي إثارة هذا التفكير للتوصل الى حل المسائل المعقدة .  
مثال ذلك ما نقل عن ابي اسحق ابراهيم بن أحمد بن فتوح الغرناطي أنه  
" كان يفتح لصاحب البحث مجالا رحبا ، ويوسع المراجع قبول ورحبا ، بل يطالب بذلك  
ويقتضيه ، ويختار طريق التعليم به ويرتضيه " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٣ ، تحقيق  
محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ٤٥٢ - ٤٥٣ ) ، ويقول الغرناطي في هذا المجال :  
" . . ومخالفة التلميذ الشيخ في بعض المسائل اذا كان لها وجه ، وعليها دليل قائم ،  
يقبله غير الشيخ من العلماء ليس من سوء أدب التلميذ مع الشيخ ، ولكن مع ملازمة التوقيف  
الدائم " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٣ ، تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ٤٥٣ ) .  
لقد كان الغرناطي يطالب المتعلم بأن يبدى آراءه ، ويشجعه على ذلك ، بل  
ويتبنى هذا الأسلوب في التعامل مع المسائل العلمية ، وهو لا يرى غضاة في مخالفة  
التلميذ لشيخه اذا كان ما يقوله وما يطلبه حقا ، وكأنه في مقاله يرد على فئة من المعلمين ،  
تري في مثل هذه المخالفة اساءة للأدب ، ولكنه في نفس الوقت يرغب الى الطالب أن يعرف  
حدوده ، فيحترم معلمه في كل موقف واستمرار .

لقد عاش المعلمون الاندلسيون هذه المواقف فعلا ، ولم تكن مواعظ كلامية يتفوهون بها . فعندما كان القاضي عياض ( ٤٢٩/٦ - ٥٤٤ هـ ) في مجلسه بفرناطة يسمع جماعة من الطلبة والاعيان كتابه " الشفاء " وصل القارى عبارة " ومن قسم به قسط " فصح القاضي ابن القصير العبارة - وكان في المجلس - بقوله " هذا لا يجوز في هذا الموضع . فقال : ما تقول ؟ فرد ابن القصير : انما هو " أقسط " لان المراد بهذا الموضع " عدل " . فالفعل يعاى كما قال الله تعالى : " وأقسطوا ان الله يحب المقسطين " ، وأما " قسط " فانا هو " جار " كما قال تعالى : " وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا " . فتعجب ، وقال لمن حضر : ان هذا الكتاب قد قرأه علي ما لا يحصى كثرة من الناس ، لا أقف على منتهى اعدادهم ، وما تنبه احد لهذه اللفظة " ، ( القاضي عياض ، الالاع ، ١٩٢٠ ، ص ٨ ) ، ثم شكر الشيخ طالبه ، وأشاد بفضله ، وصار له عنده قدر وكرامة .

أما المعلم ابو جعفر اللبلي ( المتوفى ٦٩١ هـ ) ، فقد نقل عنه أنه عندما كان يقرأ على طلابه قول امرئ القيس :

حي الحمول بجانب العزل (١) ان لا يلائم شكلها شكلسي

سألهم عن العامل في الظرف " ان " ، وطلب منهم سؤال الاستاذ ابن عصفور عن ذلك ، ولكنهم لم يجروا على سؤاله ، فعادوا الى استاذهم ، ولكنه رفض أن يحل لهم المسألة ، وترك لهم أمر معالجتها بأنفسهم ، وقد استطاعوا معرفة جواب سؤال استاذهم ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٧ ، " تحقيق الرفاعي " ، ص ٢١٧ - ٢٢٠ ) .

تلك أمثلة من المعلمين الاندلسيين ، يصح أن تبقى مواقفهم لبنات في بناء الفكر التيهوي الانساني ، وعلامات بارزة في التقاليد التربوية . فالغرناطي - العابق الذكر - يرسم حدودا واضحة للعلاقة بين المعلم والمتعلم ، ويرى ألا يفارق الطالب توقيع معلمه ،

(١) الحمول : الهواج ، العزل : ما بين البصرة واليمامة .



شريطة أن يفتح المعلم صدره لكل ما يثيره الطلاب حول المسائل العلمية .

أما القاضي عياض ، فقد تمنى بشكل ضمني لو أن مثل هذا الطالب الذي فرق له بين " قسط " و " أقسط " التقى به من قبل ، حتى لا يجوز مثل هذا الخطأ على خلق كثير علمهم القاضي عياض ، ولم ينتبهوا إليه . وتقديرا لذلك الطالب صار يقرئه الله ويحترم آراءه ، وكأنه يقول لطائفة المعلمين الذين تشكلت لديهم قناعات راسخة ببعض الأساليب وبعض المعلومات : لا تغضبوا إذا جاء جيل من الطلاب وحاول أن يهز قناعاتكم ، بل افتحوا له صدوركم ، فإن ما يقول لا يخلو من نفع .

إن مثل هذه المواقف ، هي التي يمكن أن تنتزع من سياقها التاريخي لتدمج في سياق عصري .

#### توجيه الطلاب وإرشادهم

تناول توجيه المعلمين للطلاب الجانب الدراسي في حياة طلابهم ، كما تناول الجانب الأخلاقي في شخصياتهم ، فأبو الوليد بن رشد يوجه محمد بن يحيى بن فرج ابن الجد الفهرى ( ٤٩٦ - ٥٨٦ هـ ) إلى " دراسة الفقه ، ومطالعة الحديث والاشراف على الاتفاق والاختلاف ، بعد أن غني بالعربية أول أمره ، ومال إلى الاقتصار عليها ، وذلك لما رأى من سداد فطرته ، واتقاد فطنته ، فبلغ الغاية ونفع الله به ، وانتهت إليه الرئاسة في الحفظ والفتيا " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٥٤٢ ) . لقد أشعر توجيهه معلمه ، وعرف ما يلائم طبيعته من الدراسات .

وكان الكتاني استاذ ابن حزم يقول لتلامذته : " إن من العجب أن يبقى العالم دون تعاون على مصلحة ، أما يرى الحراث يحرق له ، والبنا يبنى له ، والخراز يخزله ، وسائر الناس ، كل يتولى فيه شغلا له فيه مصلحة ، وهه إليه ضرورة ، أما يستحي أن يبقى عمالا على كل من العالم ، ألا يعين هو أيضا بشي من المصلحة " ، ( الحميدى ، جذوة المقتبس ، ١٩٦٦ ، ص ٤٩ ) .

أما الجانب السلوكي فلم يهتمه المعلمون ، ولم يتركوا فرصة او مناسبة تمر ،  
الا وحاولوا من خلالها لفت نظر طلابهم الى العمارات السلوكية ، غير المحمودة ، التي لا  
تليق بطلاب العلم . لقد تأخر محمد بن عبد الملك اللخمي الاشبيلي ( توفي ٥٣٠ هـ )  
ليلة في عشائه ، وسأله معلمه أبو علي الصدفي عن ابطائه ، وكان قد فرغ له ما بين العشائين  
زيد قالي أوقات من النهار ، فقال : تأخرت في الافطار لانني كنت صائما ، فتغير وجهه  
معلمه ، واستمر في درسه ، وبعد أيام قال له :

في نفسي شيء ان قلته كنت جافيا ، وان سكت كنت غاشا ، وأهـون  
الاشياء عندى أن أكون جافيا لا غاشا .  
أخبرتني منذ ليال أنك تأخرت لعشائك من أجل صومك ،  
وأنا منذ أيام قد ترتب علي صوم ، وأنا وري الشيخ بذلك ، لانه كان  
يصوم أكثر الدهر ، فمئذ صرت تقرأ بين العشائين لا أفطرا لا بعد  
انصرافي من العتمة من أجل قراءتك ، وأنت لم تترك افطارك ليلة  
واحدة .

( ابن البار ، المعجم ، ١٩٦٢ ، ص ١٣٩ ) .

لقد كان ابو علي الصدفي المعلم غاية في الرقة في عتبه ، وأراد لطلابه أن يتعلم منه  
كقدوة له في سلوكه ، دون أن يهينه او يقرعه .

وعبدوس بن محمد ، لم يرد لا أحد طلابه ( اسماعيل بن حبوش ، طليطلسي ) ،  
( توفي بعد ٥٠ هـ ) أن يتميز على زملائه من الطلبة بلبسه الخرز . فقال له : " ان  
كنت تحب أن تختلف الي بشباب من الكتان ، والا فلا تأتيني ، فامثل قوله " ، ( ابن  
بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ٣٢٢ ) . وكان لابي جعفر الحميري المؤدب ( توفي  
٦١٠ هـ ) ابن يحاول قرض الشعر ، ولكن تلميذه المراكشي كان أشعر من ابنه ، فأعجب  
يوما بشعره وسخف شعر ابنه ، وعندما سمع ابن الشيخ كلام أبيه ، أعمل فكره لينظم بيتين



" مهلاً يا أبا نصر ، لا تأسف على ما عرض لك ، فهذا شيء يضمن لك بسرعة ، بشياب غيرها تبدلها " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ص ٦٥٦ - ٦٥٧ ) .

### تشويق الطلاب من خلال النوادر والطرف

نعرف أن الفكاكة والنكتة تشرح صدر الانسان ، وخاصة الطلاب الذين يرهقهم جد الدرس ، وما يتحملونه من أعباء في السماع والحفظ والنسخ ، والمعلم الاندلسي أدرك بحذسه جدوى مثل هذه الأساليب ، فنقل عنهم ما يسروا به ضحك .

كان مؤمن بن سعيد ( المتوفى ٢٦٧ هـ ) " لا يدع موقع نادرة أبداً حتى مع الطلاب الذين يقرأون عليه ، سأله مرة أحدهم بعد أن قرأ بيت أبي تمام :

أرض خلعت اللهب خلعي خاتمي      فيها وطلقت السرور ثلاثاً

من سرور هذه ؟ أصلحك الله ؟ فقال مؤمن : هي امرأة حبيب وقد رأيتها ببغداد " ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ١٩٥٣ ، ص ١٣٢ ) . وعن أبي عامر التماري ، أنه أنشد يوماً في حلقة أبيات ابن الرومي في خباز :

|                              |                                |
|------------------------------|--------------------------------|
| ما أنس لا أنس خبازاً مررت به | يد حو الرقاقة وشك الملح بالبصر |
| ما بين رؤيتها في كفه كسرة    | صمن رؤيتها قورا كالقمر         |
| الا بمقدار ما تنداح دائرة    | في صفحة الماء يروي فيه بالحجر  |

فقال بعض تلامذته ، ألا يقدر أن يزيد في هذا ؟ فقال :

فكان يضطر أعجاباً برؤيتها

ومن رأى مثل ما أبصرت منه خرى

فضحك من حضروا قال : البيت لا ثقل بالقطعة ، لولا ما فيه من ذكر الرجيع ، فقال :

ان كان بيتي هذا ليس يعجبكم

فعلجوا محوه أو قال معقوه طرى

( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، تحقيق الرفاعي ، ص ص ٢٩٥ - ٢٩٦ ) .

صحيح ان ما فيها لا يليق بالمعلم أمام طلابه ، لكنها فكاهتهم على أى حال .  
 وجاء يوما صبي متخلف عند الاستاذ النحوى الاشبيلي هذيل (١) " وكان أول  
 ما قرأ عليه بيت كثير " حيثك عزة بعد الهجر وانصرفت " فقال مصحفا له : ( جئتك عرة )  
 فقال الشيخ : واكثر ! بالله يا ولدى تروح ، ولو قرئت سنة ، فأضحك الحاضرين . وكان  
 يقرأ عليه بهزى جعد الشعر قبيح الوجه فوقف يوما على : قل ان كان للرحمن ولد فأنا . .  
 فقال : لأى شي " بالله ؟ لحسن وجهك ، وطيب شعرك " ، ( ابن سعيد ، المغرب ،  
 ج ١ ، ١٩٥٣ ، ص ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ) . حتى القاضي المحدث ابو علي الصدفسي ،  
 عند ما غاب أحد تلامذته واسمه يوسف ، لمرض قطعه - وكان من عادة التلميذ أن يتعطر  
 وينظف ملبسه - ثم رجع الى مجلسه وقبل وصوله " دل عليه طيبه ، فقال الشيخ - على سلامته  
 من المجون - وخلاصة من الفتون ، اني لأجد ريح يوسف لو تغدون ، وهي من طرف نوادره  
 رحمه الله " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، " تحقيق الرفاعي " ، ص ٢٣٨ ) .  
 الى جانب الفئة المرححة من المعلمين ، كان فريق منهم لا يعرف الا الجد ، حتى  
 ان الطلاب لا يجسرون ان يسألوهم . فلقد كان مصعب بن محمد بن سمود الخشنسي  
 من أهل مدينة جيان ( ٥٣٥ / ٣ - ٦٠٤ هـ ) " وقور المجلس ، حسن السم ، بأبسى  
 الجواب ، فما يراجع لهيبته ، قد منع تلاميذه من التبسط في السؤالات وقصرهم على ما يلقى  
 المهم دون استزادة " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٢٠٢ ) . وعن علي  
 بن محمد بن خروف الحضرمي من اشهيلية وتوفي ٦٠٩ هـ " كان شديد الضجر عند تتبع  
 البحث معه ، والمضائلة له . فعهدى به مرات ، اذا ضويق في المجلس يأخذ قرفيه (٢) ،  
 ويقوم من مجلسه دون سلام ، ولا كلام ويتخطى ما يقابله من الحلقة ، ثم يرد وجهه الى  
 الطلبة ويقول لهم : ما أراكم عزتم على اكمال قراءة الكتاب ، اذا أخذتم انفسكم بهسده  
 المأخذ " ، ( الأوسى المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم الاول ، ١٩٦٥ ، ص  
 ٣٢٢ ) .

(١) يظن المؤلف أنه هذيل بن محمد بن هذيل الانصارى .

(٢) قرفيه : حذاءه ، ( شي " يشبه الصندل ) .

## المعلمون والرحلات الطلابية

كان للمعلمين والطلاب نشاطاتهم خارج حلقات الدرس ، من ذلك رحلاتهم ، فابن الخطيب يتحدث عن أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد ( ٦٣٠ - ٧٠٢ هـ ) " أنه سار الى بعض مساتين المرة مع جماعة من الطلبة ، واستصحبوا أرباباً ولينا ، فطلبوا قدراً لطبخه فلم يجدوا . . . الخ الرواية " ، ( ابن الخطيب ، الا حاطة ، مجلد ١ ، ص ٢٠٧ ) .

## تبادل الزيارات

في هذا المجال يروى عن علاقة يحيى بن هذيل ( ٣٠٥ - ٣٨٩/٦/٥ هـ ) الطبية باستاذ ابن القوطية " وقد ذهب مرة لزيارته في ضيعة له ، فألفاء خارجاً منها فاستهشروا بلقائه " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٣ ، " تحقيق احسان عباس " ، ١٩٦٨ ، ص ٧٣ - ٧٤ ) . ومن محمد بن عبد الرحمن بن حمد بن خلصة النحوي من أهل بلنسية ( توفي ٥٢١ هـ ) " كان استاذاً في علم اللسان ، مقدماً في صناعة العويصة والأدب . . . وكان ابن العربي أحد اساتذته يشني عليه بعلمه وتقدمه في صناعته ، وروى زاره في منزله " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٢٤٦ ) .

## طريقة معلمي الكتاتيب في التعامل مع تلاميذهم

يؤخذ من النصوص المتوافرة ان الشدة كانت غالبية عليهم ، واستخدام الضرب من لوازمهم ، حتى اعتقد بعضهم أن الصبيان لا يتعلمون الا بالشدة . فعندما طلب الناصر ( ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ ) من محمد بن هشام الرواني أن يلتزم بنيه ليؤدبهم قال : " ان الفتيان لا يتعلمون الا بشدة الضبط والعقيد ، والا غلاظ ، وأنا أكره ان اعامل بذلك أولاد الخليفة فيكرهوني وقد يحقد لي بعضهم ذلك الى أن يقد رعلى النفع والضرر " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، مجلد ٣ ، " تحقيق احسان عباس " ، ١٩٦٨ ، ص ٥٧٣ ) . لقد

كان هذا المؤدب متأكدا أنه غير قادر على ضبط نفسه عن استخدام الشدة حتى —  
أولاد الخليفة . وكان أبو جعفر بكر بن عيسى بن أحمد شديدا " يأخذ طلابه بالأدب  
والزجر ، ويصا أمر من يمسك له من يتهمة من طلابه بأمر لو يتخيل فيه تعطيل قراءة واشتغالا  
بفضول ، فيوجهه أربا ، ويحتمل له ذلك " ، ( القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ٤ ، ٤ ،  
ص ( ٨٢ ) . ومن أخبار ابن قزمان ( توفي ٥٥٥ هـ ) حين كان صغيرا في المكتسب :  
" دخل عليه صبي صغير مثله فناداه وأجلسه بجانبه وصار يحببه ، فرآه الفقيه على ذلك  
فضمه " ، ( سامي الموصلي ، دراسات أندلسية ، ١٩٢٠ ، ص ٦٣ ) .

ووقفت يوما لهاديس بن حبوس عجوز " فشكت عقوق ابنها ، وأنه مد يده إلى ضيقها ،  
فأحضره وأمر بضرب عنقه ، فقالت له يا مولاي : ما أردت إلا ضربه بالسوط ، وأدبه ، فقال :  
لست بمعلم صبيان ، وضرب عنقه " ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ٢ ، ١٩٥٣ ، ص ١٠٢ ) .  
ويصف ابن الخطيب أحوال الأندلس بعد موت محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور بالتالي :  
" وضرب طائفة الروم بمن أطاع وجهه من عصا ، وصار كمعلم الصبيان في المكاتب ، إن قصدوا  
فوق المراتب . . . يكلف الصعب ، وينشي " الرعب ، وينفذ الهول ، ويصمت القول ، ويصمغ  
الوعيد المسعوم " ، ( لسان الدين بن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٩٥٦ ، ص ٥٨ ) .

### مجالس المعلمين وأوقات عملهم

لم يكن الدوام محددًا بساعات من النهار في المجتمع الأندلسي المسلم ، ولم يكن  
يكن لديهم يوم مددوي ، له بداية محددة ، ونهاية محددة ، وخاصة في مراحل الدراسة  
بعد مرحلة المكاتب ، بل كان المعلم يعتذر كل وقته للعطاء ، كلما وجد مناسبة لذلك ،  
ولا يقطع ما رساتهم التعليمية إلا أوقات العبادة ، وأوقات العمل الضروري ، لقضاء  
حاجاتهم الأساسية ، حتى أيام الجمع التي نعتبرها عطلة رسمية ، كان بعض المعلمين

يؤمنون فيها رسالتهم التهووية والتعليمية .

يقول ابو علي القالي في مقدمة كتابه الامالي " فأملت هذا الكتاب من حفطي في  
الاخمسة بقربة ، وفي المسجد الجامع بالزهره المباركة " ، ( القالي ، الامالي ، ٢ ،  
ص ٣ ) . هل كان مجلس ابي علي ينعقد يوم الخميس ؟ أم أنه خصص يوم الخميس  
لهذه الامالي ، ودرس في الايام الاخرى غيرها ؟ ان الحياة التي عاشها ابو علي ترجح  
الحالة الاولى ، فلقد استدعي من بغداد ، وكان يؤدب أولاد الملوك ، وبجالسهم ،  
ويؤلف الكتب التي كان ينسخها نسخ خاصون به ، على أن ذلك لا يمتسي انقطاعه  
طوال ايام الاسبوع من تلاميذه ومريديه .

كان يحيى بن عبدالله بن يحيى اللبثي ( من اهل قرطبة وتوفي ٣٦٧ هـ )  
يقعد أيام الجمع بالغدوات لاسماع الموطأ ، ( ابن الفريسي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ،  
١٩٦٦ ، ص ١٩٢ ) . وعاصري يحيى . . . اللبثي المذكور ، يحيى بن مالك بن عائد بن  
كيسان من طرطوشة ، وكان يطي في المسجد الجامع كل يوم جمعة ، ( ابن الفريسي ، تاريخ  
علماء الاندلس ، ج ٢ ، ١٩٦٦ ، ص ١٩٤ ) ، وشلبها محمد بن عبدالرحمن بن موسى  
بن عياض المخزومي ( من أهل مدينة شاطبة وتوفي ٥٠٦ هـ ) " كان عالما بتفسير القرآن ،  
يقعد لذلك في كل يوم جمعة " ، ( ابن البار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٤٢٠ ) .

أما عبدالرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن ( من أهل قرطبة وتوفي ٥٣١ هـ )  
فكان " صابرا على القعود للناس ، مواظبا على الاستماع ، يجلس لهم يومه كله ، صبيح  
العشائين ، وطال عمره وسمع منه الاباء والابناء ، والكبار والصغار " ، ( ابن بشكوال ،  
الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٣٤٩ ) ، وعامر بن ابراهيم بن عامر بن عمرو الحجري ( من  
اهل قرطبة ، وسكن طليطلة ومات بعد ٤٣٣ هـ ) " كان يجلس في مسجده للرواية غدوة ،  
ويتصرف في معاشه داخل نهاره ، ثم ينصرف الى مسجده عشاء ، فربما قرى عليه والا كتب " ،  
( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٤٤٢ ) ، وكان بمدينة مالقة علي بن محمد بن  
علي بن محمد . . . الفافقي ( توفي ٦٤٩ هـ ) ، يجلس نهاره كله الا القليل ، ويتلى



عليه الكتاب العزيز ليلا لا ستغراق نهاره في التدريس " ، ( ابن الزبير، صلة الصلة ، ١٩٣٧ ، ص ١٥٢ ) .

اننا لا نجد فيما سلف من النصوص طريقة موحدة لدى المعلمين ، فكل ينظم وقته حسب ظروفه . فعبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الازدي الاشبيلي " كان متواضعا متقللا من الدنيا ، قسم نهاره على اقسام : كان اذا صلى الصبح في الجامع ، أقرأ الى وقت الضحى ، ثم قام فركع ثمان ( ١ ) ركعات ، ونهض الى منزله ، واشتغل بالتأليف الى صلاة الظهر ، فاذا صلى الظهر أدى الشهادات ، وقرأ عليه في اثنا ذلك الى العصر ، فاذا صلى العصر مشى في حوايج الناس " ، ( الضبي ، بغية الملتصق ، ١٩٦٧ ، ص ٣٩١ ) . وهناك من لازم الجامع ليلا ونهارا : منهم ابراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي ، حيث كان يبيت في المقصورة ، ( ابن الابار ، المعجم ، ١٩٦٧ ، ص ٥٣ ) ، وسليمان بن هشام بن وليد بن كليب المقرئ ، ( ابن بشكول ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ١٩٤ ) .

يمثل هذا الصبر من المعلمين ، ويمثل هذه المواظبة والاخلاص ، استطاع المجتمع الاندلسي ان يحقق رقيا فكريا وحضاريا ، أشاد الكثيرون به .

### مهمات أخرى للمعلمين

#### الوعظ والاشراف

ما كانت مهمة المعلمين مقصورة على الطلاب الذين يقصدونهم ، لنقل حديث أو أحاديث ، أو لقراءة كتاب او طرح مسائل . الخ ، بل كانوا يتوجهون بها عند هم الى عامة الناس على اختلاف مهنهم وأعمالهم . وفي النصوص الاندلسية نجد مثل هذا

( ١ ) الأصح : ثمان ركعات .

العبارات : " وكان أبوه معلماً عامّة " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٣٣٢ ) .  
يعني محمد بن حزم القرطبي ( هـ ٢٨٢ ) ، وعني أحمد بن محمد بن عفيف  
( ٣٤٠ - ٤٢٠ هـ ) بالفقه وعقد الوثائق والشروط ، ثم شارك في كثير من العلوم ، فكان  
يعظ الناس بمسجده بحوانيت الريحاني بقرطبة ، ويعلم القرآن ، وكان يقصد أهـل  
الصلاح والتهمة والائابة ، فيلوثون به ، يعظمهم ويذكروهم ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ،  
١٩٥٥ ، ص ٦١ ) . وكان عياض بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزدي ( سكن قرطبة  
وتوفي نحو ٥٤٠ هـ ) " يؤم بمسجد أم هشام ويدرس به النحو واللغة ، ويجلس يوماً فسي  
كل جمعة يعظ الناس " ، ( المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، قسم ٢ ، ١٩٦٥ ،  
ص ٤٨٦ ) ، وفي اشبيلية نزل أبو بكر بن طلحة الهاجري ( عاش أواخر القرن الخامس  
وأوائل السادس الهجري ) " وكان الغالب عليه جمع القصص ، فيسرد منه جملاً على العامة ،  
وكان متكلماً رد على أبي محمد بن حزم ، وكان أحد الأئمة بجامع العديس " ، ( المقرئ ،  
نفع الطبيب ، ج ٣ ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ٤٠٣ ) ، وجامع مالقة كان  
لعبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري ( ٥٥٦ - ٦١١ هـ ) " مجلس  
عام سوى مجلس تدريسه " ، ( الأوسي المراكشي ، الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ،  
١٩٦٤ ، ص ١٩٥ ) .

### الجهاد والغزو

قدم محمد بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم إلى قرطبة سنة ٣٧٥ هـ  
" قرأ عليه الناس ، قال ابن الغرضي : قرأت عليه علماً كثيراً ، وكان يعد من الفرسان وتوفي  
٣٨٣ هـ بالشعر من شرق الأندلس " ، ( شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج ١ ،  
١٩٣٦ ، ص ٩٥ ) . وكان القاضي أبو علي الصدفي ( ١ ) ، مشاركاً فعالاً في الجهاد والغزو  
ضد أعداء الإسلام ، واستشهد في معركة قتادة سنة ٥١٤ هـ ، وإلى ما قبل استشهاد

( ١ ) لقد كتب ابن الأبار كتاباً باسمه " المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي " وفيه  
ترجم لتلامذته ، وهو أحد مصادر الدراسة .

في جبهة القتال ، كان يأخذ الناس عنه الحديث ، ( ابن البار ، المعجم ، ١٩٦٧ ، ص ١٦٤ ) .

### ممارسة القضا

كان القضا في الاردن وظيفه رسمية ، ومع ذلك ما رس القضاة التدريس احتسابا لله ، والتزاما بدعوة الاسلام لنشر العلم ، في أغلب الأحيان .

كانت أوقات عياض بن موسى بن عياض المحصبي ( ٤٧٩/٦ - ٥٤٤ هـ ) "موزعة على ثلاثة أعمال رئيسية ، القضا ، والتأليف ، والاقراء لما يؤلفه " ، ( عياض المحصبي ، الالامع ، ١٩٧٠ ، ص ١٠ ) . وولي أحمد بن عمر بن يوسف التميمي قضا غرناطة ، فعدل وأحسن السيرة ، وبه تفقه طلبتها آنذاك ، وتوفي ٥٤٠ هـ ، ( لسان الدين بن الخطيب ، الاحاطة ، مجلد ١ ، ٢ ، ص ١٧٦ ) .

### الاشتغال بحرفة الى جانب التعليم

بما وجد بعض المعلمين أن ما يدخلهم من التعليم غير كاف لسد نفقاتهم المعيشية ، أو أنهم درسوا احتسابا لله غير طامعين في أجر ، فكان لا بد لهم من ممارسة عمل آخر ، يمدون به حاجاتهم .

روى القاضي عياض عن ابي الوليد الهاجي ( ٤٠٣ - ٤٧٤ هـ ) نقلا عن ثقة من أصحابه ، أنه كان يخرج الميهم - اذا جاءه للقرأة - وفي يده اشر المطرقة وصدأ العمل ، الى أن فشا علمه ، وشهرت تواليفه ، فعرف حقه وجاءته الدنيا " ، ( القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٤ ، ٨ ) . لقد كان ابي الوليد الهاجي يزاوِل الحداة ، ويفهم من النص أنه كف عنها عندما اشتهر وأقبلت عليها الدنيا .

وحكي عن ابي الحسن الاشبيلي التاجر ( توفي ٤٤٧ هـ ) من أهل قرطبة أنه "عني بالعلم في صباه ، ودارس وناظر ، وصحب العلماء ، فرزق فهما وحظا وجاها ، ولم يدع مع ذلك تجارته بسوقه مرشدا لمن استفتاه " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٢٦٧ ) . وكان علي بن محمد بن علي بن محمد خروف الحضرمي متجولا عمره على البلدان يدبر له تجارة في بضاعة من أواني الخشب المخروطة ، وأكثر تردده بين رندة واشبيلية وسبتة وفاس ومراكش . وكان في كل بلد يبيع ، ويدرس ما كان لديه من المعارف ، يشاء يتم غرضه في الإقامة والبيع ، ويأخذ الاجرة على الاقراء من الطلبة ، ولا يسامح أحدا في القراءة عليه الا بجعل يرتبه عليه ، ثم يرحل ، وهكذا كان دأبه " ، ( المراكشي ، الذيل والتكملة ، الصغر الخامس ، القسم الاول ، ١٩٦٥ ، ص ٣٢١ ) .

لقد رأى علي المذكوران العلم تجارة ، يمكن أن يجني منه ربحا يضيفه إلى رباحه من بيع أواني الفخار ، لذا لم يتسامح - كما تقول الرواية - في أن يقرأ عليه الطلبة دون أجر يدفعونه .

وحكي عن ابراهيم بن ابراهيم الانصاري ( من أهل الاشونة وتوفي ٥٨٣/٢ هـ ) أنه كان يعلم القرآن ، ويبيع العشب ، ويقرأ النحو " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ١٥٨ ) . وتستمر هذه الظاهرة حتى القرن الثامن الهجري ، مما يؤكد أن الاندلس حتى ذلك الوقت لم تعرف تنظيما رسميا للتعليم ، فلقد كان ابو عبد الله محمد بن يحيى بن ابي بكر الأشعري المتوفى ٧٤١ هـ متقدما ببلده مالقة ، فولي فيها القضاة ، ثم ولي القضاة بقرطبة سنة ٧٣٧ هـ " فقام بالوظائف وصدع بالحق . . . وتصد رليه العلم بالحضرة ، يقرأ فنونا جمّة ، فنفع وخرج وأقرأ القرآن ، ودرس الفقه وأصول العربية والفرائض والحساب ، وعقد مجالس الحديث شرعا وسماعا " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٧ ، تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ٣٠٤ ) .

## ظواهر أخرى في قطاع المعلمين

### المعيدون

تأتي الاعادة عند القلقشندی بعد التدريس ، أى أن مقام المعيد يأتي مباشرة بعد مقام المدرس " وأصل موضوعة أنه إذا ألقى المدرس الدرس وانصرف أعاد المعيد للطلبة ما ألقاه المدرس اليهم ليفهموه ويحسنوه " ، ( خليل طوطح ، التهيئة عند العرب ، - ١٩ ، ص ٤٩ ) . وينقل المقرئ عن الاحاطة أن ابا محمد بن جـمـزى الكلبي " قعد للاقراء ببلده غرناطة معيدا ومستقلا " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٨ ، تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ٥٤ ) .

### المعلمون المساعدون

كان يشترك في مجلس الدرس أو في الحلقة أكثر من معلم ، فلقد ذكر عن عبد الله ابن أحمد بن سعيد بن عبد الرحمن المعبدري من أهل بلنسية ( وتوفي ٥٦٦ هـ ) أنه " رحل الى اشبيلية فأوطنها وسمع بها من القاضي ابي مروان الباجي ، واهي الحسن شريح بن محمد واهي بكر بن العربي ، وتحقق به ودرس في مجلسه ، وكان ابن العربي يثنى عليه " ، ( ابن البار ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ١٤٥ ) . ويذكر عن أبي عامر بن عبد الله ابن يحيى . . ابن الجد الفهري من أهل اشبيلية ، أنه كان مشهورا باقراء كتاب سيبويه ، حتى لقد قال أبو اسحاق بن ملكون : " من قرأ كتاب سيبويه على أبي عامر بن الجد فصا عليه ان لم يقرأه على سيبويه " ، ( ابن الزبير ، صلة الصلة ، ١٩٣٧ ، ص ١٥٤ ) ، وأنه في فترة ما اعتزل الناس ولزم بيته ، ولكن ابن القابلة وهو استاذ نحوي أديب ، ألح عليه في اقراء كتاب سيبويه " فأجاب واقراء بمجلس ابن القابلة ، وتجرد ابن القابلة لا قراء الأدب حتى ختم عليها كتاب سيبويه والكامل لاهي العباس العبد ، ولم يعد بعد ابو عامر لا قراء

الكتاب ، ( ابن الزبير ، صلة الصلة ، ١٩٣٢ ، ص ١٥٥ ) ، وتوفي في عشر الخميس وخمسمائة .

### المعلمون النواب

كان المساعد يقوم أحيانا بالتدريس في حلقة المعلم الاصيل او في مجلسه ، وقد يقوم مقامه اذا غاب ، فعبد الله بن ابراهيم بن حجاج الكتابي ( توفي في حدود ٤٧٠ هـ ) كان القاضي ابو الوليد الباجي يستخلفه اذا سافر على تدريس أصحابه ، ( ابن بشكوال ، الصلوة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ٢٩٨ ) ، و ابراهيم بن محمد بن ابراهيم المغربي ، من أهل بلنسية ( استشهد سنة ٥٦٨ هـ ) " أخذ عن الحسن بن هذيل ، واختصر به ، وسمع عنه كثيرا ، وكان يخلفه على التعليم في مغيبه ، ويعلم أيضا بحضرة " ( ابن الابار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ١٥١ ) ، وكان عبد المنعم بن محمد بن ابراهيم . . . ابن هشام الخزرجي الغرناطي الملقب بابن الفرس ( ٤ / ٥٢٥ - ٥٩٥ هـ ) " يحضر التدريس واللقاء عن أبيه " ( المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم الاول ، ١٩٦٥ ، ص ٦٣ ) .

وفي حالة وفاة المعلم الاصيل ، يمكن للمساعد او النائب او أحد الطلبة أن يخلفه في حلقة ، فأبو القاسم الباجي بن أبي الوليد ( المتوفى ٤٩٣ هـ ) " سكن سرقسطة وغيرها ، وروى عن أبيه معظم علمه ، وخلفه بعد وفاته في حلقة " ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٣ ، " تحقيق محي الدين " ١٩٤٩ ، ص ٤١ ) ، ومحمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمي ( المتوفى ٥٣٣ هـ ) ومن أهل اشبيلية " أخذ القراءات عن شريح ، وخلفه في حلقة " ( ابن الابار ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٤١٨ ) ، وعن عبد الله المعروف بابن القربلياني من أهل مرسية وتوفي ( ٥٥٥ هـ ) انه " صاحب الاستاذ أبا بكر الجزار ، وتقدم فسي تلاميذه ، وخلفه في حلقة ، وعلم بعد بالعريضة والآداب " ( ابن الابار ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٨٣٧ ) ، و ابراهيم بن محمد بن غالب الانصاري ( من أهل مرسية وسكن العرية وتوفي ٦٣٥ هـ ) خلف أبا عبد الله بن

هشام \* في حلقة بعد وفاته ، وأقرأ القرآن والعربية ، وأسمع الحديث ، وأخذ عنه \* ،  
( ابن الأبار ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ١٦٩ ) .

#### المعلمون المتجولون

لا يقصد بهذا العنوان الرحلة في طلب العلم ، وإنما يقصد المعلمون الذين كانوا يسافرون من بلد إلى بلد من أجل التعليم ، وعقد الحلقات الدراسية ، وقد سماهم ابن الأبار بهذا التسمية ما يشير إلى انتشار هذه الظاهرة ، فهو يذكر عن محمد بن أغلب بن أبي الدوس من أهل مرسية أنه \* كان من المعلمين المتجولين ، أدب ولساني المعتمد محمد بن عباد الرازي يزيدي ، والمأمون الفتح . . . توفي بمراكش سنة ٥١١ هـ ) ،  
( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ص ٤١٢ - ٤١٣ ) .

#### المعلمون الأميون

نقرأ في بعض المراجع أن فئة من المعلمين تصدت للاقراء ، مع أنها وصفت بالأمية ، ينقل ابن بشكوال عن خلف بن غصن بن علي الطائي المتوفى بميورقه سنة ٤١٢ هـ ، ومن أهل قرطبة ، أنه \* أخذ القراءة عن أبي الطيب بن غليون ، وهو الذي لقنه القرآن ، وعن أبي حفص بن عراك ، أقرأ الناس بقرطبة وغيرها ، وكان أميا ، ولم يكن بالضابط للأدب ، ولا بالحافظ للحروف ، وكان خيرا فاضلا \* ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ١٦٦ ) .

### الاجازات التي منحها المعلمون لتلاميذهم

كان الطلاب بعد الانتهاء من دراسة كتاب علمي على أحد مدرسيهم ، يحصلون منهم على اذن بتدريسه وروايته ، وذاذته بين الناس ، واصطلح على تسمية هذا الاذن بالاجازة ، وهي شهادة يمنحها المعلم للطالب ، تقربا لثقه على يديه من علوم ، وهي في جواهرها تشبه الشهادات التي تمنحها المدارس في الوقت الحاضر للطـلاب ، اشعارا بانها منهم مقررات صـف معين ، غير أن شهادات المدارس تختلف في الشكليات والتفاصيل .

عرفت الاجازة بأنها " شهادة الشيخ لتلميذه بالرواية على لسانه في أمر محدد أو غير محدد " ، ( بكرى شيخ أمين ، أدب الحديث النبوى ، ١٩٧٣ ، ص ٧٧ ) ، وهي " الكلام الصادر عن المجيز على انشائه الاذن في رواية الحديث عنه بعد اخباره اجمالا بمروياته ، ويطلق شاعرا على كتابة هذا الاذن المشتعلة على ذكر الكتب والمصنفات التي صدر الاذن في روايتها عن المجيز اجمالا او تفصيلا ، وعلى ذكر الشايخ كل واحد من هؤلاء طبقة الى أن تنتهي الأسانيد " ، ( محمد غنيمه ، تاريخ الجامعات الاسلامية ، ١٩٥٣ ، ص ٢١٩ ) .

تمنح الاجازة بطريقتين : " احداها الاجازة بالشافهة ، وثانيهما الاجازة التحريرية " ، ( عبدالله فياض ، الاجازات العلمية عند المسلمين ، ١٩٦٧ ، ص ٢١ ) و ( محمد غنيمه ، تاريخ الجامعات ، ١٩٧٣ ، ص ٢٢٣ ) . ويرى عبدالله فياض أن الاجازة الشفوية أقدم من التحريرية ، ( عبدالله فياض ، الاجازات العلمية عند المسلمين ، ١٩٦٧ ، ص ٢١ ) ، كما يرى محمد غنيمه أننا نفتقر الى الادلة على استخدامها قبل نهاية القرن الاول للهجرة ، ( محمد غنيمه ، تاريخ الجامعات الاسلامية ، ١٩٥٣ ، ص ٢٢٠ ) ، والمحدثون هم أول من استخدم هذه الكلمة في الاغراض العلمية ، لانهم أول من اهتموا بتدوين العلم في الاسلام ، ( محمد غنيمه ، تاريخ الجامعات الاسلامية ، ١٩٥٣ ، ص ٢٢٠ ) . ثم استخدمت الاجازة في بقية



أنواع العلوم . ويرى ابن عبد البر " أن الاجازة لا تجوز الا لماهر بالصناعة ، حسانق بها ، يعرف كيف يتناولها ، وتكون في شيء معين معروف " ، ( ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ، ٢ ، ص ٤٨٠ ) .

### أركان الاجازة

أركان الاجازة أربعة : المجيز ، والمجاز له ، ولفظ الاجازة ، والمجاز به ، ( محمد غنيمه ، تاريخ الجامعات الاسلامية ، ١٩٥٣ ، ص ٢٢٣ ) ، كأن يقول الشيخ أو الاستاذ : أجزت لفلان أن يروى عني كتاب كذا .

### أنواع الاجازات ( ١ )

١- اجازة معين لمعين في معين . وفي هذا النوع يحدد المجيز ما يريد اجازته والشخص المجاز له ، ولفظ الاجازة ، ومثالها ما كتبه أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد العنسي متم كتاب المغرب في حلى المغرب في آخر جزء من الكتاب ، ونصه " أجزت الشيخ القاضي الأجل أبا الفضل أحمد بن الشيخ القاضي ابي يعقوب التيفاشي أن يروى عني مصنفي هذا ، وهو المغرب في محاسن المغرب ، ويرويه من يشاء " ، ثقة بفهمه ، واستنامة الى علمه " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٨ ، " تحقيق الرفاعي " ، ص ص ١٦٦ - ١٦٧ ) .

( ١ ) تجد تفصيلات لأنواع الاجازة عند : محمد غنيمه ، تاريخ الجامعات الاسلامية ،

ص ص ٢٢٤ - ٢٢٧ ) ، وعند عبد الله فياض ، الاجازات العلمية عند المسلمين ،

ص ٧٧ .

٢ - اجازة معين لمعين في غير معين؛ اي اجازة شيخ معروف لطالب معروف نفسي موضوعات لم يحدد ها الشيخ . مثال ذلك ما ورد على لسان ابن الابار يصف به احمد بن هارون بن احمد بن جعفر النفري من اهل مدينة شاطبة ( ٥٤٢ هـ - ٦٠٩ هـ ) " وكتب ابي مجيزا لما رواه وألفه في ذى القعدة سنة ٦٠٨ هـ " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ١٠٢ ) . وما ذكره ابن الغرضي عن احمد بن عبد البصير الجذامي من اهل قرطبة ( ٣١٠ - ٣٨٨ هـ ) حيث قال : " اجاز لي ولائي مصعب جميع ما رواه " ، ( ابن الغرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ١٩٦٦ ، ص ٥٢ ) .

هاتان اجازتان ، صدرت كل منهما عن شيخ معروف لطلاب معروفين في اشياء غير محددة .

٣ - اجازة معين لغير معين : وتسمى الاجازة العامة ، كأن يقول المجيز اجازت للمسلمين او لمن دخل قرطبة ان يروى كتاب كذا ، وقد لا يحدد المجاز به . مثال ذلك ما ورد عن احمد بن يوسف بن عبد العزيز انه " حدث عن السلفي بأجازته لمن بقرطبة من الطلبة في حياته بمؤال ابي مروان عبد الملك المرجوني " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٨٤ - ٨٥ ) . وما نقله ابن الأبار عن ابي الحسن بن الطلاء الشلي ، انه وجد في آخر فهرسة ابي الفضل بن خيرون البغدادي بخط ابي الفضل ما يلي : " وسمع مني هذا الكتاب الشيخ ابو العباس احمد بن عبد الله الأنصاري بقراءة الشيخ ابي علي حصين بن محمد الصدي . وقد اجزت لهم جميع ذلك مع سائر ما سمعته من جميع الشيخ ، وما أجز لي من جميع العلوم على اختلافها ، وقد اجزت لجميع بني هود ولعن احب الرواية عني من غيرهم من جميع المسلمين من اهل السنة " ، ( ابن الأبار ، المعجم ، ١٩٦٢ ، ص ١٦١ ) .

هذه الاجازة رفضها بعض العلماء ، وقال عنها ابن الزبير " هذا الضرب من الاجازة ضعيف جدا ، والفكررون له كثيرون " ، ( ابن الزبير ، صلة الصلوة ، ١٩٣٢ ، ص ٦٨ ) .

- ٤ — الاجازة للمعذور : كقولهم ، اجزت لفلان وولده ، وكل ولد يولد له ، اول عقبه وعقب عقبه ، ( القاضي عياض ، اللماع ، ١٩٢٠ ، ص ١٠٤ ) .
- ٥ — الاجازة بالناولة : قالها ما يروى عن عقيل بن عطية بن ابي احمد جعفر ابن عطية القاضي ( من اهل مدينة طرطوشة وتوفي ٦٠٨ هـ ) انه " روى عن ابي القاسم بن بشكوال ، قرأ عليه وسمع ، وتناول من يده ، واجاز له " ، ابن الزبير ، صلة الصلة ، ١٩٣٢ ، ص ١١٠ . وما روى عن محمد بن عبد الرحمن . . . القيسي من اهل مدينة شاطبة ( ٤٩٤ — ٥٦١ هـ ) انه " لقي ابا بكر العربي ، فتناوله واجاز له " ، ( ابن الابار ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٤٩٧ ) . وعن احمد بن حسان بن حسان الكلبي ( ٥٦٥ — ٦٢٦ هـ ) من اهل اشبيلية انه اقتنى كثيرا من الدفاتر والاصول العتيقة ، وتناول ابن الابار واذن له ، ( ابن الابار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ١١٦ — ١١٧ ) .
- ٦ — الاجازة من غير لقاء ( بالمراسلة ) : قال ابن الزبير عن عبد النعم بن محمد ابن عبد الرحيم الخزرجي من اهل غرناطة ( ٥٣٤ — ٥٩٨ هـ ) ، بعد ان عدد شيوخه " هؤلاء جملة من لقيه وشافهم ، وسمع منه ، واجاز له من غير لقاء " ، وبعضهم باللقاء من غير قراءة " ، ( ابن الزبير ، صلة الصلة ، ١٩٣٢ ، ص ١٢ ) .
- ٧ — الاجازة بالتبادل : تعني ان يلتقي اثنان ، فيأخذ كل منهما عن الآخر ويجيزه . نقل من هشام بن سليمان المقرئ الاقلبي " ان عبد الله بن بنات حدث عنه وقال : " اجزت له جميع روايتي ، واجاز لي جميع روايته " ، ابن بشكوال ، صلة الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٦١٦ ) .

## صور من الاجازات

كانت الاجازة تمنح بناءً على ما يتوسم الشيخ في تلميذه من نهاة وذكا وشقة، فيسمح له برواية كتاب أو أكثر عنه، كما كانت الاجازة تمنح بالمراسلة بناءً على طلب من المستجيز، وذكر المقرئ (١) في نفح الطيب صوراً كثيرة من هذه الاجازات، شعراً ونثراً. وسأورد لذلك مثالين: أحدهما نثري، والآخر شعري.

يقول ابن الخطيب في ترجمته لأحمد بن ابراهيم بن أحمد بن صفوان :

وجمعت ديوان شعره أيام مقامي بمالقة . . . . . وقدمت صدره خطبة وسميت الجزء الأول بالدرر الفاخرة واللجج الزاخرة، وطلبت منه أن يجيزني وولدي عبدالله رواية ذلك. فكتب بخطه الراق بظهر المجموع ما نصه: "الحمد لله ستحق الحمد، أجهت سؤال الفقيه الأجل (٢) . . . وأجزت له ولابنه عبدالله المذكور ابقاها الله تعالى رواية جميع ما تقيد في الأوراق المكتتب على ظهر أول ورقة منها من نظمي ونثري، وما توليت انشاءه واعتمدت بالا رجحان والرواية اختباره وانتقاه أيام عمري وجميع ما لي من تصنيف وتقييد، ومقطوعة وقصيدة، وجميع ما أحمله عن أشياخي رضي الله عنهم من المعلوم وفنون المنشور والمنظوم بأي وجه تأتي ذلك، وصح حملي له، وثبت اسناده لي اجازة تامة في ذلك كله عامة على سنن الاجازات الشرعية، وشرطه المأثور عند اهل الحديث العربي . . قال ذلك

(١) انظر الجزء التاسع كله من نفح الطيب، تحقيق أحمد الرفاعي.

(٢) حذف من النص الفاظ المديح، وما لا يؤثر على نص الاجازة.

وكتبه بخط يده الفانية العبد الفقير الى الفنى به أحمد بن ابراهيم  
ابن أحمد بن صفوان . . . في سادس ربيع الأخرى عام أربع مائة  
وأربعين وسبع مائة ، ( لسان الدين بن الخطيب ، الا حاطة ،  
مجلد ١٩٢٧ ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ) .

ومثال الاجازة الشعرية ما كتبه أبو الحسن الحصرى لعيسى بن عبدالرحمن بن  
عقاب الفافقي القرطبي المكنى بأبي الأصبح :

|                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| أجزت لعيسى السبع في ختمه قرا  | علي بها فلعرو ذلك وليقر       |
| بما شاء منها أو بها فهو أهله  | باتقانه مع ضبطه أحرف الذكر    |
| وقوة حفظ ثم صحة نقله          | فما مثله من طالب لا مقرى      |
| واذكر صحتي كلهم في اجازتي     | له بالذى أروى ففهم أبو بشر    |
| سليل المعالي جاء من قيروانه   | وعبدالاله ابن الحميد أخواله   |
| ومنهم أبو العباس يحيى بن خالد | وصاحبه الجبال النبيل أبو عمرو |
| سليل ابن يحيى ثم اذكر بعده    | أبا القاسم البرقي ثم أبا بكر  |
| محمد ابن الخازن بن محمد       | وزير عماد الدولة السامي الذكر |
| ومنهم أبو الخطاب نجل ابن يوسف | سليل ابن يمن جل ذلك من وزر    |
| وصاحبنا السبتي علي بن يخلوف   | وسائر صحتي نافر العلم كالدور  |
| نظمت لهم شعرا تضمن ما قرا     | لخمس ليال قد خلون من الشهر    |
| لشعبان في ست وسبعين حقبة      | وزد مائتين في اثنين من الدهر  |
| بذلكم يزهو أبو الأصبح الذى    | أجزت ويدعو الله بالحمد والشكر |

( الأوسى المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ،  
القسم الثاني ، ١٩٦٥ ، ص ١٩٨ - ١٩٩ ) .

من صورتى الاجازتين المتقدمتين يتضح أن الاجازة تحوى اسم المجيز ، والرجال  
الذين أخذ عنهم ، واسم المجاز ، وموضوع الاجازة وتاريخها ، وقد يتخللها جمل انشائية

تشديد بالمستجيز ، بخاصة اذا كان من ذوى المناصب ، كما رأينا مجيز لسان الدين بن الخطيب الوزير وابنه .

وقد يعطي الشيخ عدة اجازات ، وقد يجاز الطالب من عدة شيوخ ، فأحمد بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن غليون الجولاني ( ٤١٨ - ٥٠٨ هـ ) يقول فيه ابن بشكوال بعد أن عد بعض كبار شيوخه : " عدة من أجاز له أربعون شيخا " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ٧٣ ) .

ان بعض الاجازات ، وطريقة منحها ، والتنافس في الحصول عليها ، قلل من قيمتها ، ان كيف يجيز الشيخ أو الاستاذ - لمن لم يولد - كما في الاجازة للمعدوم - التي ذكرها القاضي عياض ؟ وكيف يجيز الشيخ لطلاب لم يهرم ، ولم يعرفهم ، كما يحدث نسي الاجازة العامة ؟

لقد شعر الاندلسيون بالتهالك على منح الاجازة والحصول عليها . ويبدو أن فئة بعينها أباحت لنفسها أن تتلاعب بالاجازة ، وفئة وقفت لها بالمرصاد تحاول أن تضعها في موقعها الطبيعي . وما حدث بين ابي محمد القرطبي ( ٥٥٦ - ٦٩١ هـ ) ، عبدالله بن الحسن بن أحمد بن عبدالله الانصاري وبين الاستاذ ابي علي الرندي ، يفسر هذه الظاهرة . ان كان بينهما " من التنافس ما يكون بين المتواردين على صنعة واحدة ، فكتب أبو علي اجازة لبعض الآخذين عنه ، فلما وقف عليها أبو محمد اطلع على أوهاام في أسانيد ها ، فنتهها أبو محمد بالنقد لها ، واصلاحها ، وتبيين الصواب فيها وأودع ذلك كتابا وسمه " بالمبدى لخطأ الرندي " ، ( المراكشي ، الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ، ١٩٦٤ ، ص ٢٠٨ ) .

النقد الذي وجهه ( جولد تسيهر ) الى الاجازات ، لا يعد والحقيقة ، فهو يقول : " انها اصبحت بالنسبة لبعض طالبيها بمثابة هواية يعملون على الحصول عليها بوسائل مختلفة ، وبلغ الأمر ببعضهم أنهم أخذوا يطوفون على بيوت الشيوخ ، ويقتفون

خطاهم أينما حلوا ، وليحصلوا على إجازاتهم لأولادهم الذين لم يولدوا بعد ، كما  
أن بعض مشاهير الشيوخ أخذوا يمنحون الإجازات طلباً للشهرة " ، ( عبد الله فياض ،  
الإجازات العلمية عند المسلمين ، ١٩٦٢ ، ص ٤٢ ) . ولعل ذلك دفع إماماً كـ كاشي  
الدين ، أن يؤلف كتاباً سماه " الالاع في إفساد إجازة ابن الطباع " ، وابن الطباع هو  
أستاذ أمير الدين ، الذي تخاصم معه ونفي بصفه .

غير أن النقد الموجه للإجازات لا يمنع أنها لعبت . . أول أمرها عند المحدثين -  
" دوراً هاماً في حفظ سلسلة السند ووطئها بالمصدر الأول الذي أخذ عنه الحديث ،  
ويتم الوطئ المذكور حينما يذكر مانح الإجازة في إجازته طرق روايته التي تلقى عنـه  
الحديث حتى يوصلها إلى النبي - صلى الله عليه وسلم " ، ( عبد الله فياض ، الإجازات  
العلمية عند المسلمين ، ١٩٦٢ ، ص ٤٢ ) ، كما أن ذلك النقد لم يمنع أن يعـض  
الشيوخ كان يتحفظ كثيراً في منح إجازته ، ويرى أن بعض الطلاب غير أهل للإجازة .  
فقد نقل عن ابن حبيب ( ولد ٤١٠ هـ ) قوله : " والله ما أنا للإجازة بأهل ، ولا مرأى  
لدى يسهل ، إذ من شرط المجيز أن يعد فيمن كمل ، ويعد العلم والعمل . اللهم  
غفر ، كيف ينيل من عدم وفرا ، أو يجيز من أصبح صدره من المعارف قفراً ، وصحيفته من  
الصالحات صفراً ، وكيف يرتسم في ديوان الجلة من يتسم بالأفعال المخلة . . . ومن أعظم  
التصحيح تشييح من لا يصلح للتشييح " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، " تحقيق محي الدين " ،  
١٩٤٩ ، ص ٤٧ ) .

ولشدة تواضع هذا العالم ، كتب مرة يجيب من استجازه " المسؤول مبذول ، إن  
شاء الله تعالى على التجيز ، ولكن شروط الإجازة موجودة في المجاز معدومة في المجيز " ،  
( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، " تحقيق محي الدين ، ١٩٤٩ ، ص ٤٨ ) .

وبعض الشيوخ تشدد في منح الإجازة ، فعثمان بن سعيد عثمان أبو عمرو ،  
ذكر أن دأرسه اسمها ربحانة كانت تقرأ عليه القرآن . . . كانت تقعد خلف ستر ، فتقرأ ،  
ويشير لها بقضيب بيده إلى المواقف ، فأكلت السبع عليه ، وطالبت بالإجازة ، فامتنع ،

وقرأت عليه خارج السبع روايات . فقرأت عليه ذات يوم " وقالوا لا تنفروا في الحر " ، فقال لها : اكسري الحاء ، فقالت : وقالوا لا تنفروا في الحوار " ، فقال : أنا لا أجزى مثل هذه ، والله لا برحت أو أكتب لها ، فكتب أجازتها في ذلك الموضع " ، ( الضبي ، بغية الملتص ، ١٩٦٢ ، ص ٤١٢ ) .

مرة أخرى تدخل الأعراف والتقاليد غير المكتوبة في نظام الأندلس التعليمي ، لتعطي لشل هذه الأجازات قيمتها ، ذلك أن المجتمع من خلال معلميه ومتعلميه ومواقفهم التي انبنت عليها شهرتهم ومكانتهم العلمية استطاع أن يعرف قيمة هذه الأجازات بتعرفه على المصدر الذي منحها ، تماماً كما هي الأعراف التي تمنح لدراسة ما ، أو لجامعة ما تقديراً يفوق غيرها ، أو يضعها في أدنى المستويات .

### الخلاصة

لقد اعتمد المعلم الأندلسي في نقل ما عنده من معرفة ومعلومات إلى طلابه على أساليب الاسماع والاملاء والقراءة والمحاضرة والمناظرة . وهي أساليب أطلتها طبيعة المرحلة الحضارية التي عاشها المجتمع الأندلسي المسلم ، حيث كان المعلم مصدر المادة الدراسية سواء أكانت ما يحفظه في الذاكرة ، أو فيما يكتنيه من الكتب ، وحتى يستطيع الطلاب الحصول على المعرفة ، لا بد أن يستمعوا إلى أحاديث معلمهم وإلى رواياتهم ، أو أن ينقلوا ما يملئهم المعلمون ، أو أن يقوموا بقراءة كتاب حصلوا عليه على معلم يحفظ أصله أو يقتني نسخة منه .

لم تكن عناية المعلمين مقتصرة على الاهتمام بالمادة الدراسية ، بل وجهوا عنايةهم أيضاً إلى شخصية المتعلم ، وذلك ما حاول الدارس أيضاً من خلال أساليب المعلمين التربوية والتي تمثلت في احترامهم للطلاب ، بقبول آرائه وتشجيعه على إبدائها ، كما تمثلت في توجيه الطلاب وإرشادهم إلى نوع الدراسة التي تلائم طبيعتهم ، وهم لم ينسوا أن يزوروا طلابهم في بيوتهم أو يفسحوا المجال لطلابهم أن يزورهم ، وربما قاموا



أيضا باصطحاب طلابهم في رحلات ونزهات .

وفي جوالجد الد راسي الذي كان يرهق الطلاب ، وجد المعلمون وسائلهم للتخفيف من العناء ولطرد الملل ، بانتهاجهم رواية النوادر والطُرف لتلاميذهم ، أو بتعليقاتهم المرحّة على الوقائع التي يعيشونها مع طلابهم .

بالإضافة إلى المهامّ التدريسية ، كان يقوم المعلمون بمهام اجتماعية ، ذكر منها الوعظ والإرشاد ، الجهاد والانخراط في المهن والحرف الاجتماعية .

كان يعاون المعلم في حلّته أو في مجلس تدريسه معلم أو أكثر ، وأولئك هم الذين سموا بالمعيدين أو بالمعلمين الساعدين أو المعلمين النواب ، كما كان المعلمون يتجولون في المدن الأندلسية ، ويلتقون بالطلاب يعطونهم ما عندهم من علوم .

وأخيرا تعرض الفصل للإجازات التي كان يمنحها المعلمون لطلابهم ، وبين أنواعها ، ثم النقد الذي وجه إليها .

## الفصل السابع

### الطلاب والمراحل التعليمية ومناهج الدراسة

#### مقدمة

إذا تجاوزنا مرحلة الكتاب ، لا نجد في الواقع حدوداً فاصلة بين الطلاب والمعلمين . فالطالب يتلقى العلم ويعلم ، وكذلك المعلم يعلم ويتلقى العلم ، ولم يعرف الطالب والمعلم حدوداً ينتهي عندها طلب العلم . ولا تذكر المصادر بالضبط السن التي يجلس فيها المعلم للتعليم ، وكيف عن أن يسمى طالباً . فهو باستمرار يعلم ويتعلم . وليس ذلك غريباً على الذين عاشوا في المجتمعات الإسلامية ، ألم يقل الله تعالى في كتابه العزيز "وقل رب زدني علماً" ، ( طه ، الآية : ١١٤ ) ، "هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون" ، ( الزمر ، الآية : ١٠٩ ) . ثم ألم يقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم : " من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع " ، ( النووي ، المجموع ، ج ١ ، ٢ ، ص ٣٢ ) . والاندلسيون أنفسهم أدركوا قيمة العلم والتزود به ، فقد قال الشيخ محمد بن محمد الحاج البلفيقي ( توفي ٧٧١ هـ ) " مثل العالم مشغل رجل يصيب ماءً في قفة ، ان واظب على صب الماء بقيت القفة ملاءً ، وان ترك صب الماء ، بقيت القفة لا شيء فيها من الماء ، فكذلك العالم ، ان واظب على طلب العلم ، بقي العلم لم ينتقص منه شيء ، وان ترك الطلب ذهب علمه " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٧ ، تحقيق محي الدين - - - - - ، ١٩٤٩ ، ص ٤٨ ) .

ومن اعتبار الاستمرارية في طلب العلم ، فالطالب الذي نتحدث عنه في هذا الفصل ، هو كل من انصرف للتعليم ، بغض النظر عن المستوى الذي يطلب فيه العلم . ومن أجل توضيح صورة الحياة التي عاشها طلاب العلم ، سيتناول الفصل ، من الذهاب إلى التعليم ، وأوقاته ومدته ، ومراحل التعليم ، وتعليم الاناث ، والطلبة الاحانب الذين وفدوا الى الاندلس من اوربا ، ثم امكنة التعلم .

## مراحل التعليم

### المرحلة الابتدائية

---

وأعني بها مرحلة بدء الأطفال في التعلم ، سواء أكان ذلك في الأسرة ، أو خارج الأسرة عند أحد المعلمين . ويمكن أن يطلق على هذه المرحلة " مرحلة الكتاب " (١) ، حيث اعتمد العرب في بدء أمرهم على المكتب أو الكتاب في تعليم الأطفال والصبيان ، ( ناجي معروف ، المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، ١٩٦٠ ، ص ١٢٠ ) . ويروى أن عمر بن الخطاب " جعل في المدينة رجالا يفحصون الطارة ، فمن وجدوه غير متعلم ، أخذوه إلى الكتاب " ، ( ناجي معروف ، المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، ١٩٦٠ ، ص ١٢٠ ) . ويرى أحمد أمين " أن التعليم كان مرحلة واحدة تبتدىء بالكتاب أو بالمعلمين الخاصين " ، ( أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج ٢ ، ١٩٣٥ ، ص ٦٦ ) .

### انتشار الكتاب في الأندلس

---

ما دامت الكتاب قد عرفت منذ زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فللدارس أن نتوقع وجودها وانتشارها في المجتمعات الإسلامية فيما بعد . والمجتمع العربي الإسلامي الأندلسي ليس استثناء من هذه المجتمعات ، إذ إننا في التراجم الأندلسية الكثيرة ، نقع على مثل العبارات التالية " كان فلان معلم كتاب " أو " معلم صبيان " أو " صبيان الكتائب " .

---

(١) الكتاب : وجمعها كتاب .

لقد ذكر في أكثر من مناسبة سابقة من الد راسة أن الحكم المستنصر (حكم مـسـن  
 ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) ، افتتح سبعة وعشرين مكتبا : منها حوالي المسجد الجامع ثلاثسة ،  
 ماقيها في كل موضع من أراض قرطبة ، "ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢ ، ص ٣  
 ٢٤٠ - ٢٤١ ) و ( سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، ١٩٦٢ ، ص ٣٩٤ ) .  
 وفي وقعة قنتيش (١) " أصيب من المؤد بين خاصة نيف على ستمين وأعريت سقاائفهم فسي  
 غداة واحدة منهم وتعطل صبيانهم لعد منهم " ، ( ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الاول ،  
 المجلد الاول ، ١٩٧٨ ، ص ٤٤ ) . ويعبر عن كثرة هذه المكاتب في الاندلس ما جاء في  
 رسالة كتبها يحيى بن عبد الكريم الشنتوفي عن أمير المسلمين الموحدى ابي يوسف يعقوب  
 (حكم من ٥٨٠ - ٥٩٥ هـ = ١١٨٤ - ١١٩٩ م) ، وكان غازيا وساجدا ، بظاهر شريش ،  
 جاء في الرسالة " من منزلنا بمحقق شريش حيث الكتائب الهائلة ، هالة يد رها الهادية  
 الخسوف " ، ( لسان الدين ابن الخطيب ، الاحاطة ، مجلد ٤ ، ١٩٧٧ ، ص ٤٠٢ -  
 ٤٠٣ ) . وفيما ورد برسالة كتبها السلطان عبدالله محمد بن الحجاج بن يوسف بن نصر  
 الأحمر صاحب غرناطة في الاندلس الى السلطان الملك الاشرف " شعبان بن حسين " ابن  
 الملك الناصر محمد بن قلاوون ، من انشاء وزيره لسان الدين بن الخطيب ، بمناسبة احاطة  
 العدو بمملكة غرناطة ، جاء فيها " والحال ما علمت ، بحر زاهر الامواج ، وعدد وافر الافواج  
 ... فالنفوس الى الله تجهز وتسلم ، والصبيان في المكاتب تدرب على مواقف الشهادة  
 وتعلم " ، ( القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٨ ، ١٩١٧ ، ص ١١١ ) ، والى هذه المكاتب ،  
 ترد اشارات كثيرة في الشعروفي تراجم العلماء ، ما يدل على وجودها البارز والحي فسي  
 بنية التعليم الاندلسي . وسأعرض هنا لأمثلة قليلة تغني عن ذكر الكثير . فلقد كان حبيب  
 بن أحمد بن ابراهيم المعلم ( من أهل قرطبة وتوفي ٣٧٧ هـ ) معلم كتاب ، ( ابن الفرضي ،  
 تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ١٩٦٦ ، ص ١٢٠ ) ، وابراهيم بن أحمد بن خلف . الطرطوشي  
 بن بنسية " كان معلم كتاب موصوفا بالصلاح " ، ( ابن البار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ١٥٩ ) .

١) قنتيش : وقعة هجم فيها البربر على قرطبة في حرب المستعنين والمهدي سنة

٤٠٠ هـ .

وعندما رثى الشاعر ابو العباس احمد الدقون (عبد الله احمد بن محمد الاندلسي) المتوفي سنة ٩٢١ هـ غرناطة بعد سقوطها بيد الافرنج سنة ٨٩٧ هـ ، كانت صورة المكاتب احدى الصور التي استحضرها في ذهنه ، عن التقاليد العريقة في المجتمع الاندلسي الاسلامي ، والتي يخشى زوالها ، وزوال رسالتها الخيرة :

فلا المساجد بالتوحيد عامرة      اذ عمروها بنا قوس وتمثال  
ولا المناير للوطا ظهرا رزة      للأمر والنهي او تذكير آجال  
ولا المكاتب بالصبيان آنسة      تتلو القرآن بأسماء وآصال  
(المقرئ ، أزهار الرياض ، ج ١ ، ١٩٧٨ ، ص ١٠٧ ) .

ان انتشار الكتاب في الاندلس ، يشير المواقف عن أماكن وجودها ، هل كانت لها أبنية خاصة بالتعليم ؟ ومن كان يقوم ببناها ، الحكومة أم الأهلى ؟

عدا ما ذكر عن المكاتب التي افتتحها الحكم فى قرطبة ، لا نعرفها نقل عن حضارة الاندلس على نصوص تتحدث عن مثل هذه المكاتب ، الا أن الأهلى كانوا يرسلون أبناءهم اليها . يذكر عن ابي بكر بن طلحة الاشبيلي النحوى ، أن أحد أصحابه أتاه يوما " بولسد له فتان الصورة ، فعندما دخل مجلسه قصر عليه طرفه ، ولم يلتفت الى والده ، وجعل يوصيه عليه " . الخ القصة " ، (المقرئ نفع الطبيب ، ج ٣ ، " تحقيق احسان عباس " ، ١٩٦٨ ، ص ص ٤٧٦ - ٤٧٧ ) .

تدل الرواية على أن الطفل كان صغيرا يذهب لأول مرة للتعليم ، لأن والده اضطر لاصطحابه معه ، وقصد من أجل ذلك المعلم أبا بكر المذكور ، لكن أين كان يعلم ابوبكر ؟ تبقى المسألة مجرد احتمالات . قد يكون مكان التعليم بيت المعلم ( أى الكتاب ) ، وقد يكون بيتا منفصلا عن بيته اتخذ للتعليم ، وليس هناك ما يرجح أحد الاحتمالين . ويمكن أن نستدل من نص آخر ان المكتب ليس دائما فى بيت المعلم ، مثل ذلك ، ما روى عن محمد بن أحمد بن أبي القاسم الانصارى ، عندما :

سئل منه التصدر للآقرأ والقعود له موضع أخيه (المتوفى) ، فاستمع من ذلك ثم اسعف فيه ، فرأى ليلة عزم على التصدر وفي صبيحتها لذلك ، كأنه خرج من منزله قاصدا موضع أخيه ، فاكتنفه شخصان عن اليمين وعن الشمال ، وقال له : اقرأ " إذا الشمس كورت " ، قال : فجعلت أقرأها وهما يسيران بي الى أن انتهينا الى موضع تعليمي الصبيان ، وأنا حينئذ بلغت قول الله تعالى " فأين تذهبون " فقالا لي : الى أين تذهب لا سبيل لك ، الى مفارقة هذا الشأن ، فنقض عزمه ذلك ، واقتصر على تعليم الصبيان .

(الأوصي المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم

الثاني ، ١٩٦٥ ، ص ٥٨٩ ) .

فأحمد بن قاسم هنا غادر بيته عندما أراد الذهاب لتعليم الصبيان ، مما يدل على وجود هذا المكتب في مكان آخر . وذكر الامير عبد الله بن بلقين في مقدمة مذكراته عن جده المظفر : " كنت ممن وفقه الله لبره ، والانصباغ لوصيته ، فأمر باخراجي من المكتب الى التصرف بين يديه ، وقال لي : نضر الله وجهه : " معك من الكتابة وتلاوة القرآن ما يكفيك ، وهذا أولى ما تتعلم ، فعليك باحضار ذهنك لجميع ما يكون مني " ، (عبد الله " الأمير " ، مذكرات ، تحقيق بروفسال " ، ١٩٥٥ ، ص ١٢ ) .

مرة أخرى نتساءل : أين كان المكتب الذي أمر المظفر باخراج حفيده منه ؟ هل كان في القصر ؟ وعبد الله أحد امراء دولة آل زهري ؟ أم أنه كان " مكتبا " عاما يذهب اليه أولاد العامة والخاصة ؟ الجواب على هذه الاسئلة يظل في نطاق الاحتمال . ولنا أن نحتمل وجود أمكنة مختلفة ، تلقى فيها الاطفال الاندلسيون تعليمهم الا ولسي الابتدائي : لقد ذهب المتعلمون الى بيوت المعلمين ، او الى بيوت استأجرهم المعلمون خصيصا لهذا الغرض . وكان المعلمون يستدعون الى حضور الامراء والخلفاء والسراة لتعليم ابنائهم ، كما أن مثل هذا التعليم كان يحدث في الدكاكين ، أو تقوم الاسرة نفسها بالتعليم الابتدائي .

من تلقوا التعليم الابتدائي في اسرهم ، محمد بن أحمد الباجي البلخسي ( ٣٥٦ - ٤٣٣ هـ ) اذ كان " بيتهم بيت علم ، ونشأ فيه هو وأبوه وجده ، وكان جميعهم في الفضل والتقدم على درجاتهم في السن وعلى منازلهم في السبق " ، ( المقرئ ، نفع الطيب ، ج ٧ ، " تحقيق الرفاعي " ، ١ ، ص ١٣٢ ) ، وابن حزم الفقيه ( توفي ٤٥٦ هـ ) ، حيث ورد على لسانه " شاهدت النساء وعلمت من اسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري ، لأنني ربيت في حجورهن ، ونشأت بين أيديهن . . . وهن علمنني القرآن ، وروينني كثيرا من الاشعار ، وروينني في الخط " ، ( ابن حزم ، طوق الحمامة ، ٢ ، ص ٧٤ ) ، ويرجع علي عبد العظيم أن ابن زيدون تتلمذ على أبيه " فالقرائن توحى بأنه كان وحيد أبويه ، والذين تحدثوا عن الوالد ، يذكرون أنه عالم جليل من علماء الدين ، وأنه من أهل المعرفة في اللغة والأدب ، ومع أنه لم يحترف التعليم ، إلا أنه أفاد بعلمه الكثيرين " ، ( علي عبد العظيم ، ابن زيدون ، ١٩٦٢ ، ص ٧٤ ) . أما ابراهيم بن مشربن شريف البكري فكان " يقرئ " في مكانه قرب المسجد الجامع بقرطبة ، وينقط المصاحف ، ويعلم المبتدئين ، وتوفي سنة ٣٩٥ هـ " ، ( ابن بشكوال ، الصلاة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ٨٨ ) .

ورد أن أبا الأصمغ عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر ، كان له ولد أدخله الكتاب ، فظهرت منه نجابة ، فأول لوح كتبه بعث به إلى أخيه المستنصر بالله ، الحكم بن عبد الرحمن الناصر (حكم من ٣٠٠ - ٣٦٦ هـ) ، وكتب إليه بهذه الأبيات :

لقد كان ابن أبي الأصبح صغيراً ، يدخل الكتاب لأول مرة ، لذا فرح به أبوه  
عندما كتب لأول مرة ، وكان في السابعة من عمره ، وعلى ذلك يمكن أن يقدر رصن الأطفال  
الذين كانوا يذهبون إلى الكتاب بالسادسة أو السابعة . وقد يزيد أو يقل وربما لم  
يذهب بعضهم إلى الكتاب إلا بعد العاشرة حسب ظروف الأهل ، ويبدو أن الأمكان  
" متروكا لتقدير آباء الصبيان " ، ( أحمد الأهواشي ، التربية في الاسلام ، ١٩٦٨ ، ص  
٦٠ ) ، من خلال معرفتهم بأطفالهم .

### مناهج التعليم في الكتاب

#### تعليم الهجاء

يفهم من نص أورد ، أحمد عبد الملك بن شهيد ( ٣٨٢ - ٤٢٦ هـ = ٩٩٢ -  
١٠٣٤ م ) أن تعليم الهجاء كان في الكتاتيب ، وربما كانت " كتاتيب " يختص  
معلموها بتعليم الهجاء ، وتعليم الهجاء - لا شك - هو بداية التعلم .

قال ابن شهيد " كنت أيام كتاب الهجاء ، أحن إلى الأدباء ، وأصبو إلى تأليف  
الكلام ، فاتمعت الدواوين ، وجلست إلى الأساتيد " ، ( ابن بسام ، الذخيرة ، القسم  
الاول ، المجلد الاول ، ١٩٧٨ ، ص ٢٤٦ ) . فهل يعني تعليم الهجاء - كما ورد  
عند ابن شهيد - تعلم الحرف الهجائية ، ومعرفتها قراءة وكتابة ؟ ذلك ما لا تفصيل  
فيه .

#### تعليم القرآن والعزيمة

ينقل لسان الدين بن الخطيب أنه " قرأ كتاب الله عز وجل على المكتب بسميـج  
وحده . . . الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن عبد الوالي العواد ، كتبها ثم حفظا ، ثم  
تجويدا " ، ( لسان الدين بن الخطيب ، الحاطة ، مجلد ٤ ، ١٩٧٧ ، ص ٤٥٧ ) . وكان علي



١ بن أحمد بن يوسف الانصارى من أهل العربية ، ويعرف بالفزال ( توفي بعد ٦٧٠ هـ )  
 " معلم كتاب . . . يقرئ القرآن وشيئا من العربية " ، ( ابن الزبير ، صلة الصلة ، ١٩٣٧ ،  
 ص ١٤٣ - ١٤٤ ) ، كما كان علي بن يوسف بن علي بن باق من أهل مرسية ( قتل  
 ٦٧٤ هـ ) " معلم كتاب ويؤخذ عنه القرآن " ، ( ابن الزبير ، صلة الصلة ، ١٩٣٧ ، ص ١٤٤ ) .

ويخلص ابن خلدون طريقة تعليم الاندلسيين للصبيان بقوله :

وأما أهل الاندلس ، فمذهبهم في تعليم القرآن والكتاب من حيث هو ،  
 وهذا هو الذي يراعونه في التعليم ، الا أنه لما كان القرآن أصل ذلك  
 وأسه ، ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلا في التعليم ، فلا يقتصرون عليه ،  
 بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب ، والترسل  
 وأخذهم بقوانين العربية ، وحفظها ، وتجويد الخط والكتاب ، ولا تختص  
 عنايتهم فيه بالخط ، أكثر من جميعها الى أن يخرج الولد من عمر  
 البلوغ الى عمر الشبيبة .

( ابن خلدون ، المقدمة ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٣٩ ) .

تفيد مثل النصوص السابقة - أن الصبيان يبدأون بتعلم الهجاء ، ويتدرجون مع  
 الزمن اثنا وجودهم في الكتاب ، فيتعلمون القراءة والكتابة ، من خلال القرآن الكريم ، ثم  
 يأخذهم المعلمون بحفظ القرآن ، ومدارسة شيء من اللغة العربية وقواعدها ، وشيء من  
 الشعر والادب ، وقد يدرس التلميذ شيئا من الفقه .

وانا استأنسنا برأى القابسي المولود ٣٢٤ هـ = ٩٣٥ م ، والمتوفى ٤٠٣ هـ  
 = ١٠١٢ م ، ( أحمد الأهواي ، التربية في الاسلام ، ص ٢٥ ، ٣٢ ، ٣٣ ) ، والسبذي  
 لم يكن بعيدا عن الاندلس ، فانه جعل المنهج قسمين : اجباريا واختياريا : الاجباري  
 هو تعليم القرآن والصلاة والدعاء ، وبعض النحو والعربية والقراءة والكتابة ، والاختياري :

الحساب ، وجميع النحو والعربية والشعر ، وأيام العرب وأخبارها ، ( احمد الأهواني ، التبرية في الاسلام ، ص ١٦٦ ) . ويرى فيليب حتي أن منهاج الكتاب " قام على قراءة القرآن ثم على تعلم الكتاب . . . وكان الطالب يتعلم مع القراءة والخط ، الصرف والنحو ، وقصص الانبياء ، لاسيما المختصة بالسيرة النبوية وقواعد الرياضيات الاساسية والاشعرسار الا ما كان غراميا " ، ( فيليب حتي ، تاريخ العرب ، مطول ، ج ٢ ، ١٩٦٥ ، ص ٤٩٥ ) . ويلتقي مع ( حتي ) احمد أمين في قوله : " بعض المكاتب كان لتعليم مبادئ القراءة والكتابة والقرآن ، بعضها كان يعلم فيه أيضا اللغة وآدابها " ، ( احمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ، ١٩٣٥ ، ص ٥٠ ) .

النصوص الاندلسية المتقدمة تثبت هذا التشابه ان لم نقل التوحد في مناهج المرحلة الابتدائية في كافة اطراف المجتمعات الاسلامية ، وان اختلفت احيانا في بعض التفاصيل ، أو في تقديم مادة على أخرى ، أو تغليب مادة على غيرها ، ان المجال واسع لتحكم أهواء وطرق المعلمين ، الذين لم يخضعوا الا لحكم العادة والعرف .

ان مثل هذا التوحد في المناهج حفظ للمجتمعات الاسلامية في مختلف مراحل تطورها ، التوحد في المطامح والآمال والهموم ، وفي المشاعر والأفكار .

### المرحلة الثانية (١) (المتوسطة)

في أي سن كان الاطفال يتركبون الكتاب ؟ وما مستوى التعليم الذي كانوا يخرجون به من وجودهم في الكتاب ؟

من الاشارات القليلة في المراجع يمكن أن تخمن السن التي كان يتوجه المتعلم فيها الى طلب العلم خارج الكتاب " . فلقد ورد عن عثمان بن سعيد بن عثمان ( ابو عمرو الداني ) أنه قال : " سمعت أبي - رحمه الله - غير مرة يقول : اني ولدت سنة ٣٧١ هـ ،

(١) لقد سماه ابن خلدون التعليم الثاني ، انظر ص ٥٣٩ - ٥٤٠ من المقدمة .

وابتدأت أنا طلب العلم بعد سنة خمس وثمانين ، وأنا ابن أربع عشرة سنة " ، (ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٤٠٧ ) ، وعن ابن عبدون أنه كان بين يدي مؤدبه وسنه ان ذاك ثلاث عشرة سنة ، فعن للمؤدب ان قال : الشعر خطة خصف ، فأجازه قائلا :

" لكل طالب عـــــرف " ، وخطر له بهت ثان :

للشيخ عيبة عـــــيب وللغنى ظرف ظـــــرف

فلما رأى المؤدب ما كتبه ابن عبدون ، لطمه وعرك أذنه ، ( سامي الموصلي ، دراسات أندلسية ، ١٩٧٠ ، ص ٨٢ ) .

لا شك أن الطالب الذي يقول الشعر ، ويجيز لمؤدبه ، يكون قد جاوز مرحلة المكتب .

يصح أن نقول من خلال هذه النصوص أن معدل العمر لدى طلاب المرحلة الثانية عند بدايتها خمسة عشر عاماً ، ويكون أقل من ذلك أو أكثر ، حسب نجابة الطلاب وحسب ظروفهم ووعي أسرهم وعنايتهم بهم . فهشام المؤيد ابن الخليفة الحكم شـيـلا ، أحضر أبوه الاساتذة لتأديبه ، وهو في العاشرة ، حيث طلب الشيخ الفقيه يحيى بن يحيى به عبدالله بن يحيى الليثي أرفع سندی الحديث في قرطبة آنذاك ، ليجلس عند الاميرابي الوليد هشام المرشح لولاية عهده والسماح منه والاخذ عنه لسمو درجته في العلم ، واعتلاء منزلته في الرواية ، وكان ذلك اوائل شعبان سنة ٣٦٤ هـ ، ( سيمون حايك ، صــــــــح المشكنسية ، ٩ ، ص ٩٥ - ٩٦ ) . وهشام بن الحكم - عندما توفي أبوه الحكم عام ٣٦٦ هـ كان عمره اثني عشرة . والزبيرى العالم اللغوى يجلس لتأديبه بالعربية عام ٢٦٢ هـ ، ( ألبير مطلق ، الحركة اللغوية في الاندلس ، ١٩٦٧ ، ص ١٢٥ ) ، أى وهو ابن ثمانى سنوات ، لكن آخرين من الطلاب لم تتح لهم الظروف الا بعد تقدم في العمر ، فأبو الفضل أحمد بن القاسم بن عبدالرحمن التاهرتي البزاز يقول : أنه بدأ بطلب العلم وعمره خمس وعشرون سنة ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ٨٤ ) .

## أماكن التعليم في هذه المرحلة

يتوجه الطالب بعد مرحلة " الكتاب " للأخذ بنصيب من علوم عصره ، وحيثما كان المعلم قصده ، وهو يختار المعلم الذي يريد والذي يعتقد أنه ينتفع به أكثر من غيره ، ولا حرج في أن ينتقل بين عدد من المعلمين ، ولذا يمكن القول : انه كان يتلقى تعليمه في كل مكان وجد فيه المعلم : سواء أكان ذلك في المسجد أو في بيت المعلم أو في حقله ، أو في أي مكان آخر ، وإذا كان المتعلم من أولاد الأمراء والسراة والأغنياء ، يستدعي له المؤدبون . وقد يجالسون أولاد العامة في المساجد ويتعلم معهم .

### المساجد

ظاهرة التعليم في المسجد ، لا زمت وجود المجتمعات الإسلامية لفترة طويلة ، حتى عندما افتتحت المدارس النظامية ، ظلت المساجد تقوم برسالتها . وفي الأندلس حيث لم تقم مدارس نظامية ، كانت المساجد في طول البلاد وعرضها ، تقوم بدور كبير فسي احتضان الحركة التعليمية ، إلى جانب المهمة الدينية الأساسية ، والمهمة السياسية ، ومهام أخرى كالقضاء ووعظ الناس . . . الخ .

في قرطبة كان عدد المساجد كبيراً ، وكانت رحلة العلماء إليها ، ونستطيع من خلال ما وصلنا من النصوص أن نشير إلى عدد لا بأس به من مساجدها ، كانت ملتقى طلاب العلم وشيوخه ، من داخل الأندلس وخارجها ، من بلاد المسلمين وغير المسلمين .

كان لحبيب بن الوليد بن حبيب . . . بن مروان بن الحكم من أهل قرطبة " حلقة بجامع قرطبة يسمع الناس فيها . . . وتوفي بعد المائتين " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٢٧٦ ) ، وكان ابنه بشر يتحلق بالجامع إلى أن نهاه عبد الرحمن عن ذلك ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ٢ ، ١٩٥٣ ، ص ٦٢ - ٦٣ ) . وفي جامع قرطبة هذا ، اقرأ وعلم وتعلم أجيال من الناس ، منهم علي سبيل المثال عبد الرحمن بن الحسن الخزرجي

المتوفى سنة ٤٤٠ هـ (ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٣٣٣) . واحمد بن ايوب بن ابي الربيع الألبيري المتوفى سنة ٤٣٢ هـ \* جلس بالمسجد الجامع بقرطبة ٠٠٠ وكان الناس يكرمون اليه ويزدحمون عليه \* (ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ٥٣) . ويحي بن عبد الله بن يحي بن يحي بن الليثي المتوفى سنة ٣٦٧ هـ (ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ١٩٦٦ ، ص ١٩٢) ، واحمد بن علي بن احمد . . الربيعي الياغاني \* قدم الاندلس سنة ٣٧٦ هـ ، وقدم الى الاقراء بالمسجد الجامع بقرطبة \* (ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ٨٧) . وفي المسجد الجامع بقرطبة درس وعلم ائمة كبار ، كان لهم تأثيرهم على اجيال من المعلمين في الاندلس منهم : ابو علي القالسي البغدادي وابو بكر الزبيدي وابن حزم وابو علي الغساني وغيرهم .

وفي قرطبة فتحت مساجد كثيرة ابوابها للتعليم غير المسجد الجامع ، منها : مسجد الغازي ومسجد متعة ، (ابن شكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ٣٦ ، ص ١٧٤) ، ومسجد مسرور ، (ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٦١٨) ، ومسجد حبيب ، ومسجد الكوايين ، ومسجد ابي علاقة ، (ابن الابار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ١٠٣ ، ١٨٢ ، ٢٤٥) ، ومسجد الظاهر ، ومسجد ابن السقاء ، ومسجد العطارين ، (الأوسي المراكشي ، الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ، ١٩٦٤ ، ص ١٢ ، ٣٧) ، ومسجد الصحفي ، (ابن الابار ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٦٣٥) ، ومسجد ام هشام ، ومساجد اخرى كثيرة .

وفي غير قرطبة من المدن ، يذكر المسجد الجامع بأشبيلية ، ومسجد ابن الروماك ، ومسجد ابن بقي (ابن الابار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ٤٧ ، ج ٢ ، ص ٧٠١) ، ومسجد الصباغين ، (الأوسي المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم الاول ، ١٩٦٥ ، ص ٢٠٦) ، وفي طليطلة جامعها الكبير .

تلك امثلة للمساجد التي انتشرت في كل مدينة وقرية ، ويمكن ان يعد غير ما سبق مساجد كثيرة ، يجدها الباحث مقترنة باسماء الذين علموا فيها موزعة على مدن الاندلس

المختلفة ، فقد ذكر مساجد في غرناطة وفي بلنسية وفي شاطبة والمرية ومالقة وسرقسطة ودانية وأندة وغيرها (١) .

### القصور :

وأعني بها قصور الحكام والخلفاء ، وقصور السراة ذوى الشرا ، فلقد ذكر عن عثمان المصحفي انه أدب الحكم في صباه ، ( ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ ) ، وعن ابي الاصبغ عيسى بن عبد الملك بن قزمان من علماء الحديث أنه أدب هشاما المؤيد ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ص ١٩٥٣ ، ص ٢٠٥ ) . ومن عرفوا بتأديبهم لاولاد الخلفاء أيوب بن منصور بن عبد الملك الانصارى ، ( ابن الغرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٩٦٦ ، ص ٨٧ ) ، ومكر بن عبد الكلاعي ، ( ابن الغرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٩٦٦ ، ص ٩٤ ) ، وأبو عبد الملك عثمان بن المشني القيسي القرطبي المتوفى سنة ٢٧٣ هـ ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ص ١٩٥٣ ، ص ١١٢ ) ، وأصبغ بن ناصح المدني ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ص ١٩٥٣ ، ص ٢٠٥ ) .

وفي بلاط دانية عرف ابو العباس الجريري وأدب جعفر احمد بن ابي عامر ابن غرسية الكاتب ، وشار الاغمى النحوى الذى أدب الوزير ابن عباس ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ص ١٩٥٦ ، ص ٢٣٠ ) ، وفي المرية باستدعاء من ابي الوزير ، وفي بلاط بني فطيس أدب صالح بن معافى بن حماد ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ٢ ، ص ١٩٥٦ ، ص ٧٦٢ ) ، ومحمد بن يونس الحجاري المتوفى سنة ٤٦٢ هـ ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، قسم ٢ ، ص ١٩٥٥ ، ص ٥٤٧ ) .

---

(١) نجد اسما هذه المساجد في كتب التراجم مرتبطة باسماء من ترجم لهم ، أمثال المراجع المذكورة في المتن .



طليلة الى تلك المكرمة " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ٣٦ ) . وكان الطلبة يجتمعون بباب قتيبة بن سعيد ، فيشأله بعضهم ان يسمعه الحديث ، وبعضهم الاخر ان يسمعهم الفقه واكثر كل واحد منهم برغبته ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ١٥٩ ) ، وعن أصبغ بن سفيان من أهل قرطبة " كان من أفضل أهل زمانه وأزهدهم ، وكان ابراهيم بن محمد بن باز ( توفي سنة ٢٧٤ هـ ) يختلف اليه ويستمعه في بيته لعذره ( ١ ) ، ولعلمه بفضله " ( ابن الغرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ج ٢ ، ١٩٦٦ ، ص ٨٠ ) ، وعبدالله بن فرج الانصاري الوراق من أهل قرطبة ( توفي سنة ٥٧٩ هـ ) ، " كان شيخا صالحا ، أصابته زمانه أقعدته عن التصرف فكان يسمع منه بداره " ، ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٨٥٩ ) . وعن محمد بن يحيى بن عبدالعزيز المعروف بابن الخراز والمتوفى سنة ٣٦٩ هـ " كان عالما بالنحو فصيحاً بليفاً . . . . . وأقعد في آخر عمره ، فلزم داره نحواً من سبعة أعوام ، فسمع منه الناس أكثر روايته ، واختلف اليه للسماع منه قبل موته بعام " ، ( ابن الغرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ج ٢ ، ١٩٦٦ ، ص ٧٩-٨٠ ) .

### الحقول :

كان الطلاب اذا عجزوا عن الوصول الى المعلم في بيته ، لسبب أو لآخر ، توجهوا اليه في منطقة عمله ، فابراهيم بن محمد بن باز المتوفى سنة ٢٧٤ هـ ، والذي تقدم ذكره ، كان يقرأ عليه في منيته ( ٢ ) ، وهو يزرع والقفيغة في ذراعه . وعلي بن محمد بن علي ابن هذيل البلسي ( ٤٧١ - ٥٦٤ هـ ) " كان متى توجه الى ضيعة لميلة من جزء من الرصافة بغربي بلنسية ، صاحبه طلبة العلم اليها للقراءة عليه ، والسماع منه ، فيحمل ذلك منهم ، طلق الوجه ، منشرح الصدر ، جميل الصبر ، وينتابونه ليلاً ونهاراً ، فلا يسأم من ذلك ولا يضر " ، ( الأوسي المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم الاول ، ١٩٦٥ ، ص ٣٢٠ ) . وحدث عن أحمد بن محمد بن احمد بن هشام القرشي ( ٦٤٩ - ٧٢٩ هـ ) " أنه كان يقرأ في شببته ، على الامام الصالح ابن عبدالله بن مستقور بكرم

( ١ ) كان مريضاً .

( ٢ ) النية : المنزلة أو البستان .



له خارج الحضرة ، على أُميال منها في فصل العصير " ، ( لسان الدين بن الخطيب ،  
الاحاطة ، المجلد (١ ص ١٦٠ ) . وروى عن الفقيه محمد بن عمر بن لبابة انه قال :  
" كنت يوما عند ابن وهب بن عبد الأعلى في جنازة بقرب مقبرة قريش . . . . في نفر من  
الطلبة تسمع عليه ، ان حضر غدا " ، فقد به اليها نأكل معه " ، ( ابن البار ، التكملة ،  
ج ٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٧٥١ ) .

حتى السجن لم يكن يمنع المعلم من القيام بواجبه ، فعندما سجن احمد بن محمد  
ابن فوج ايام الحكم بن عبد الرحمن الناصر ( ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ ) مدة سبعة أعوام " كان  
أهل الطلب يدخلون اليه في السجن ، ويقرأون عليه اللغة وغيرها " ، ( ابن بشكوال ،  
الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ٥ ) ، ونقل عن مروان الطليق ( ١ ) أنه عندما سجن اجتمع  
في السجن بعدد من رؤساء الادباء " فلم يزل الطليق يأخذ عنهم ، ويستمد منهم ، حتى  
شرى توبه ، وطلع عشبه ، وسما ذكره ، وطار شعره " ، ( ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الاول ،  
المجلد الاول ، ١٩٧٨ ، ص ٥٦٤ ) .

هكذا كان المجتمع الاندلسي يتنهل بعمق روح فلسفة الحياة التي آمن بها ، وانطلق  
افراده ، وكأنهم يعيشون فعلا قول الرسول الكريم : " وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب  
العلم ، رضا " ، ( النووي ، المجموع ، ج ١ ، ٢ ، ص ٣٣ ) .

#### مواد الدراسة في المرحلة الثانية ( المتوسطة )

المرحلة الثانية ، استمرار لمرحلة " الكتاب " ، والاختلاف في كمية المادة التي تقدم  
وفي مستواها . ففي المرحلة الاولى تعلم الطالب الكتابة والقراءة ، ودرس شيئا من القرآن  
والفقه والحديث ، وشيئا من الشعر والادب . وهي نفس المواد التي سيتابع الدراسة فيها  
مع قليل من التعمق . فهو في هذه المرحلة يتوجه الى المعلمين المختصين في المواد المختلفة

( ١ ) هو مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ، يرجح أنه ولد ٣٤٧ أو

والذين يجمعون علومًا مختلفة ، يأخذ أغلب مواد الدراسة عنهم .  
من النصوص التي بين أيدينا ، يمكن أن نقدم ملامح لصورة التعليم في هذه المرحلة ،  
مع الاعتراف بأنه من الصعب وضع حدود فاصلة دقيقة بين نهاية المرحلة الابتدائية وبداية  
المرحلة الثانية .

لعل من المناسب أن نتذكر الحديث السابق عن تخصصات المعلمين وثقافتهم ،  
حيث وجد أن المعلمين بالإضافة إلى ثقافتهم العامة - كان لديهم ميل إلى التخصص فسي  
المواد وإلى مثل هؤلاء المعلمين توجه الطلبة والدارسون ، كلما أرادوا أن يتزودوا علماً  
في إحدى المواد .

ينقل عن أبي بكر بن العربي ( ٤٦٨ - ٥٢٣ هـ ) محمد بن عبد الله المعافري ، وصفه  
للتعليم في الأندلس ، يرينا كيف يتدرج الأندلسيون في تعليم أبنائهم . ولكننا لا نستطيع  
أن نتبين أي المراحل يقصد حديث ابن العربي في قوله : " فصار الصبي عندهم إذا عقل ،  
فإن سلكوا به أملاً طريقة له ، علموه كتاب الله ، فإذا حذقه نقلوه إلى الأدب ، فإذا نهض  
منه حفظه الموطأ ، فإذا لقنه نقلوه إلى المدونة ، ثم ينقلونه إلى وثائق ابن العطار ، ثم  
يختمون له بأحكام ابن سهل " ، ( محمود مكي ، مدريد العربية ، ١ ، ص ١٢٧ ) ( ١ ) .  
وورد على لسان الشاعر أبي الحسن الفرناطي ، سهل بن محمد بن سهل بن أحمد بن  
مالك الأزدی ( ٥٥٩ - ٦٣٩ هـ ) نصيحة للمتعلمين يقول فيها :

|                    |                   |
|--------------------|-------------------|
| المعلم شي* حسن     | فكن له ذا طلب     |
| وأبدأ به بالنحو خذ | من بعده فسي الأدب |
| فإن أردت بعد ذا    | جاهاً وفضل مكسب   |
| فافهم أصول مالك    | واحفظ فروع المذهب |

( الأوسي المراكشي ، الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ،

١٩٦٤ ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ) .

( ١ ) نقلاً عن الديباج المذهب ، ص ١٢١ .

هل يمثل هذا اتجاها اندلسيا في التعليم ، يبدأ بالنحو ، ثم الأدب ، ثم الفقه ؟ ربما ، ولكن هناك نصوصا تتحدث عن هذه المواد دون أن نفهم منها ترتيبا معيناً . فالمنصور محمد بن أبي عامر ( توفي ٣٩٢ هـ ) " طلب الحديث في حديثه ، وقرأ الأدب ، وقيد اللغات على أبي علي البغدادي ، وعلى أبي بكر بن القوطية ، وقرأ الحديث على أبي بكر بن معاوية القرشي " ، ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ ) . والمنصور جاء إلى قرطبة مهاجرا من أجل العلم ، بعد أن جاوز مرحلة الكتاب ، في بلده . وفي الحديث عن شيخ ابن الأبار يحيى بن عبد العزيز عبد المجيد عدد منهم ، فلقد

أخذ القرآن والقراءات عن أبيه ، وأخذ الفقه والحديث والمسائل وعقد الشروط عن أبي عبد الله محمد بن أيوب بن نوح السرقسطي ( ٥٣٠ - ٦٠٨ هـ = ١١٣٥ - ١٢١٢ م ) وعن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي زاهر ( توفي في رجب ٦٣٤ هـ = ١٢٣٧ م ) ، وأخذ الحديث أيضا عن أبي الخطاب أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب القيسي ( ٥٣٧ - ٦١٤ هـ = ١١٤٢ - ١٢١٧ م ) ، وعلى هذا الشيخ أخذ الاخبار ، وابن الأبار شيخ آخر في التاريخ هو أبو سليمان داود ابن سليمان . . . بن حوط الانصاري ( ٥٥٢ - ٦٢١ هـ = ١١٥٧ - ١٢٢٤ م ) ، وأخذ النحو والأدب عن محمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن سلم البكري ، توفي ( ٦٢٨ هـ = ١٢٣٠ م ) .

( ابن الأبار ، الحلة السيرة ، المقدمة ، ١٩٦٣ ، ص ١٦ ) .

علي هذه الصورة كان يتنقل الطالب من معلم إلى معلم ، يتزود بالثقافة التي يتطلبها عصره ، وهي الأدب والشعر والفقه والحديث والتاريخ . وقد يدرس أستاذ واحد أكثر من فن . فمما يروى عن علي بن عمر بن إبراهيم بن عبد الله الكناني القيحاوي المتوفى

( ٧٣٠ هـ ) أنه " ورد غرناطة مستدعى سنة ٧١٢ ، وقعد بمسجد ها الأعظم يقرئ " فنونا من العلم من قراءات وفقه وعربية وأدب . . . . وهو أول أستاذ قرأت عليها القرآن ، والعربية والأدب ، اشر قراءة المكتب " ، ( لسان الدين بن الخطيب ، الا حاطة ، مجلد ٤ ، ٩٧٧ هـ ، ص ١٠٤ ) .

الى جانب المعلمين في الفقه والحديث والأدب والتاريخ ، كان معلمون آخرون يدرسون المواد العلمية ، ولقد ذكر صاعد التغلبي عددا منهم ، وأوردت طائفة منهم أثناء الحديث عن ثقافة المعلمين وتخصصاتهم ، ولا بأس من ايراد بعض الاسماء لتمثيل ظاهرة توجه الطلاب الى الدراسات العلمية . فالواسطي أبو الا صبح عيسى بن أحمد كان أحد المحنكين بعلم العدد والهندسة والفرائض ، وقعد بقرطبة لتعليم ذلك . ويقول صاعد وهو باق الى وقتنا هذا ، وتوفي صاعد سنة ٤٦٢ هـ . ومنهم أبو الحسن مختار بن عبد الرحمن بن شهر الرعيني " كان بصيرا بالهندسة والنجوم ، ومتقدما في اللغة والنحو والحديث والفقه ، بليغا شاعرا متكلمنا ذا دهاء ومعرفة في السير والتاريخ . . . . وتوفي بمدينة قرطبة . . . سنة ٤٣٥ هـ ، وعلم العدد والهندسة والفرائض بقرطبة ، ابن العطار محمد بن خيرة ، وعبد الله بن أحمد السرقسطي علم العدد والهندسة والنجوم في بلد ، وتوفي في بلنسية ٤٤٨ هـ . وفي طليطلة علم هذه المواد ابو عثمان بن سعيد بن محمد البغونش المتوفى سنة ٤٤٠ هـ ، ( صاعد ، طبقات الامم ، ١٩٦٧ ، ص ص ٩٣ - ١٠٧ ) . ولا ننسى أن نذكر مرة أخرى سلعة المجرطي امام الرياضيين والفلكيين في الاندلس ، الذي علم أجيالا من الطلبة ، وكان اماما في تخصصه .

#### المرحلة العليا ( مرحلة التخصص )

فئة من الطلاب لم تكن تكتفي بما تحصله من ألوان الثقافة السائدة ، فسي الأدب والفقه والحديث والتاريخ . . الخ ، بل استهواها مجال معين من الدراسة ، فراحات تتعمق فيه ، وتستقصي غوامضه واسراره ، بعد أن تكونت لديها خلفية من المعارف الاساسية التي تساعد ها على فهم هذه الغوامض والأسرار .

يمثل طلاب هذه المرحلة ما ورد عن سليمان بن حسان بن جلجل القرطبي ( ولد ٣٣٢ - ؟ ) أنه "عني بالطب أتم عناية وهو ابن اربع عشرة سنة ، وأفتى فيه ابن اربع وعشرين ، وصنف فيه كتباً جلية النفع . . . . . وجمع كتبها في طبقات الاطباء والحكماء والفلاسفة القدماء الاسلاميين أقاد به وفرغ منه صدر سنة ٣٧٧ هـ " ، ( المراكشي ، الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ، ١٩٦٤ ، ص ص ٦١ - ٦٢ ) . وما ورد عن أبي الوليد الهاجي ( ٤٠٣ - ٤٧٤ هـ ) حيث " زار الحجاز وأقام بها ثلاثة أعوام ، ثم رحل الى بغداد ، وأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه ويسمع الحديث عن أئمتها ، وزار الشام ومصر والموصل ، وظل بالمشرق ثلاثة عشر عاماً يسمع منه ، وحاز الرئاسة بالاندلس " ، ( القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ٩ ، ص ٨٠٣ ) . ولقد " كان محمد بن عمر بن الحسن الفارسي من أهل القرآن ومن أهل العناية الصحيحة بطلب الفقه والعلمية والطب والآداب . . . . . مولده باشبيلية في رجب سنة ٣٧٥ هـ وتوفي ٤٥٩ " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ص ٥٤١ - ٥٤٢ ) ، وحكي عن عباس بن ناصح الثقفي المتوفي ٣٢٨ هـ قاضي الجزيرة الخضراء ، كان يفد على قرطبة ، ويأخذ عنه أدباؤها ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٣ ، " تحقيق الرفاعي " ، ٩ ، ص ٣٧٨ ) . فالأدباء لا شك تجاوزوا المرحلة الابتدائية والثانية في الدراسة ، ويلتقون بأئمة عباس بن ناصح لا شراً ما عندهم ، بخاصة وهو لا يأتي الى قرطبة الا وفداً كما يفيد النص . وينقل ابن عياض عن أبيه أبي الفضل عياض ، أنه زار أبا علي الصدي في بلده فوجده مختلفاً بسبب الحاج الحكام عليه بقبول القضاء ، ولكنه ما لبث أن خرج من مخبئه بعد أن صرف عنه القضاء ، والتقى معه وقال له : " لولا أن الله يمسر خروجي بلطفه لكنت عزمت أن أشعرك بموضع يقع عليه الاختيار من بلاد الاندلس لا يؤبه لكوني فيه ، فتدخل اليه ، وأخرج مختلفاً اليها بأصولي فتجد ما ترغب لما كان في نفسي من تعطيل رحلتك وأخفاق رغبتك " ، ( القاضي عياض ، الالمام ، مقدمة ، ١٩٧٠ ، ص ٥ ) . أكان مثل هذا الطالب ينتظر محدثاً مثل أبي علي الصدي ، ويقطع الرحلة اليه لولا أنه يبحث عن شيء لا يجده عند غيره ، وعن حقائق ودقائق في العلم ، يتم بها ما عنده من علم ؟

عن محمد بن الحسن المتوفي ٥٣٦ هـ والمعروف بأبن برنجاله أنه :

سمع من أبي علي كثيرا ولا زمه طويلا ، وتكرر عليه في سني سبع وثمان  
وتسع وخمسمائة . فما قرأ جامع الترمذى وسمعه أيضا ، وكتساب  
السنن للدارقطني ، والشعائل للترمذى ، ورياضة ابن ينفم وأدب  
الصحبة للسلي . وما سمع صحيح مسلم ومسند البزار وتاريخ  
ابن أبي خيثمة والملل للدارقطني ، وغريب الحديث لأبي عبيد  
الا أحاديث التابعين ، وحديث يزيد ابن هارون والحسن بن عرفة  
والحسن الزاغوني .

( ابن الأبار ، المعجم ، ١٩٦٧ ، ص ١٣٢ ) .

ألا يدل هذا الحشد من كتب الحديث على أن محمد بن الحسن كان له  
اهتمام بالحديث وسعي لمعرفة جميع الجوانب المتعلقة فيه ، أو ليس ذلك هو عين الدراسة  
الجامعية في العصر الحاضر ؟ مثل ذلك أيضا ما نقل عن بكر بن عيسى بن سعيد ابن  
أحمد بن علاء بن أشعث الكندي المتوفى سنة ٤٥٤ هـ ، أن أبا علي الفصاني أخطف اليه  
خمس أعوام في تعلم الفقه والأدب ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ١١٥ ) .  
ان خمس أعوام في دراسة مادة واحدة هو عين التخصص ، ومن لازم الأساتذة للتخصص محمد  
بن يحيى المتوفى سنة ٤٤٧ هـ ، حيث أخذ عن أبي العلا بن زهر علمه وصرع في الطب ،  
( ابن الأبار ، المعجم ، ١٩٦٧ ، ص ١٦٨ ) .

وما يستدل منه على هذا التعليم العالي الذي لا يكتفي بالالمام المجمل  
بالموضوعات ، بل يذهب للاحاطة الدقيقة والمتعمقة فيها ، ما ذكر عن أساليب في التعليم  
لا تستخدم في العادة الا مع طلاب الدراسات العليا الذين يفترض فيهم التفكير الناضج  
والفهم لما يلحق عليهم من المسائل في فنون العلم .

حدث أبو يحيى بن عاصم القيسي ( ٧٦٠ - ٨٢٩ هـ ) عن أبيه أنه " كان يقوم  
أتم قيام على النحو على طريقة متأخرى النحاة ، جمعا بين القياس والسماح ، وتوجيه الأقوال  
البصرية ، واستحضار الشواهد الشعرية ، واستظهار اللغات والاعية واستبصار في مذاهب  
المعرفة . . . . . ، الى ما يتعلق بذلك من قافية للمعروض وميزان ، وما للشعر من بحسور

وأوزان " ، (المقرى ، نفح الطيب ، مجلد ٥ ، " تحقيق احسان عباس ، ١٩٦٨ ، ص ٢٠) .  
وعن الأعلام العالم النحوى المشهور في الاندلس ان بعض الأدباء سألوه عن " المسألة  
الزنبورية ... الجارية بين سيويه والكسائي أو الفراء والقضا بينهم فيها ، وهي " ظننت  
ان العقرب أشد لسعة من الزنبور ، فإذا هو هي أو أياها ، وعن نسب سيويه هل هو صريح  
أو مولى ، وعن سبب لزومه الخليل بعد أن كان يطلب الحديث والتفسير ، وعن علة تعرضه  
لنظرة الكسائي والفراء ، وعن كتابه الجارى بين الناس ، هل هو أول كتاب أو أنشأ به  
كتاب أول ضاع ؟ كما زعم بعض الناس " ، (المقرى ، نفح الطيب ، جده ، " تحقيق محي الدين " ،  
١٩٤٩ ، ص ٢١٩) .

أجاب الأعلام على هذه المسائل ، ضلغت اجابته في نفح الطيب حوالي سبع صفحات  
قال في آخرها : " فهذا ما حضر فيما سألت عنه ، فمن قرأه أو أشرف فيه على تقصير ، فليبسط  
العدول لساعتين من نهار ... املا يوم الثلاثاء ، عشي النهار ، لثلاث خلون لصفر سنة  
٤٧٦ هـ " ، (المقرى ، نفح الطيب ، جده ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ٢٢٦) .  
هل تصدر مثل هذه الاسئلة الا عن طلاب يريدون معرفة أدق الأشياء عن سيويه ؟  
ومعرفة الأوجه المختلفة لمسألة نحوية واحدة ؟

ومن مظاهر هذا التعليم المتخصص العالي ، ما عرف عن بعض الجماعات الفكرية التي  
كانت تؤمن بمذهب فلسفي ما ، أو بمذهب فقهي ما ، وكان - على ما يبدو - فيما يقولون -  
ويعتقدونه شيئا يخالف ما تعارف عليه العامة في الاندلس من اعتقادات واجتهادات .  
على رأس هؤلاء ، وأقدمهم ابن مسرة القرطبي ( ٢٦٩ - ٣٠٨ هـ = ٨٨٣ - ٩١٣ م )  
الذى يرجع اليه " الفضل في إثارة اهتمام الاندلسيين بمسائل الفلسفة ... أو كان يرأس  
حوالي ( ٩٠٠ م ) حلقة من الطلاب والمريدون تجتمع اليه في إحدى الصوامع القاطعة على  
منحدرات جبل قرطبة (جبل العروس) " ، بروكلمان ، الإمبراطورية الإسلامية ، ج ٢ ، ٢ ،  
ص ١٦٠ ) و (توماس أرنولد ، تراث الإسلام ، ١٩٧٢ ، ص ٣٨١ - ٣٨٢) ، حيث أقرأ  
دروسه وعرض " للمسائل العويصة بطريقة بارعة وتعبير بليغ " ، (بالنشا ، تاريخ الفكر الاندلسي ،  
١٩٥٥ ، ص ٣٢٨) ، ومن أجل ذلك " تنبعت مصنفاته بالحرق واتسع في استماحتها الخرق ،  
وغدت مهجورة ، وعلى التالين محجورة " ، (ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، قسم ٢ ،  
ص ٥) . ومن تلامذته أبو بكر اللؤلؤي الذى استدعاه يوما الى مخبئة السرى ، وكان اليوم

موحلا مطرا :

أقبل فان اليوم يوم د جــــــن      الى مكان كالضمير مكنــــي  
لنا بحكم فيه أشهى فــــــن      فأنت في ذا اليوم أمشي منــــي

( ابن خاقان ، مطمح الانفس ، قسم ٢ ، ص ٥٨ ) .

ويمثل مرحلة التخصص رحيل قاسم بن سيار من أهل قرطبة الى المشرق وهناك " د ر علي كبا ر شيوخ الشافعية ، فلما عاد الى الاندلس أنكر على فقهاءهم تقليد هم الأعمى ، لما كان عليه شيوخهم ، وانصرف الى مذهب الشافعي بين أهل بلده عن طريق التدريس ، والتأليف ، وتكونت حوله طائفة من التلاميذ ، ومد عليه الأمير محمد ( ١ ) رعايته ، ( بالنشيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ٤٣١ ) . ومن كبار الشافعيين الاندلسيين بقسي بن مخلد الذي أعانه تسامح ( ٢ ) الأمير محمد على تدريس مذهبه في الاندلس ، وخلف من بعده نفرا طيبا من تلاميذه الذين د رسوا المذهب على يديه ، ( بالنشيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ٤٣٣ ) .

ومن يذكر في هذا المجال ابو محمد بن حزم الظاهري ( ٣٨٦ - ٤٥٦ هـ ) الذي أنكر عليه فقهاء المالكية ( ٣ ) مذهبه الظاهري " ومنعوه واستاذ به أبا الخيا ر مسعود ابن سليمان بن مفلت من التدريس في جامع قرطبة " ، ( بالنشيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ٢١٥ ) .

ولا أدل على هذه الدراسة المتخصصة مما نقل عن ابي بكر الصائغ المعروف ( بأبن باجه ) . عندما دخل جامع غرناطة ورأى به نحويا شابا حوله شباب يقرأون " فنظروا اليه وقالوا مستهزئين به ، ما يحمل الفقيه ؟ وما يحسن من المعلوم ، وما يقول ؟ فقال لهم :

- ( ١ ) الامير محمد بن عبدالرحمن الثاني حكم ( من ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ = ٨٢٢ - ١٢٥٢ م ) .
- ( ٢ ) أشير الى قصة الأمير مع بقى في فصل دور الانسلاكم .
- ( ٣ ) كان المذهب الرسمي السائد في الاندلس هو مذهب مالك .



أحمل القوي عشر ألف دينار ، وها هي تحت ابطي ، وأخرج لهم اثنتي عشرة ياقوتة ، كل واحدة منها بألف دينار ، وأما الذي أحسنه فأثنا عشر علما ، أدونها علم العربية السدي تبحثون فيه " ، (المقرئ ، نفح الطيب ، ج٤ ، " تحقيق محي الدين ، ١٩٤٩ ، ص ٣٤٥ ) ، وابن باجه معروف المكانة في تاريخ الفكر الاندلسي ، ويشل - لا شك - فئة الطلاب التي تجاوزت المرحلة الثانية من الاخذ بالعلمية وغيرها ، وكان اولئك الطلاب الذين هزئوا به يمثلون مستوى أدنى من المستوى الذي بلغه .

وقصة أخرى تؤكد هذا الاتجاه التخصصي العالي ، رويت عن الحفيد ابي بكر ابن زهر الطبيب ، عندما اشتغل عليه طالبان بصناعة الطب ، ورأى يوما بيد أحدهما كتابا في المنطق ، فطردهما وانقطعا عنه أياما لا يجسران علو الدنومنه . وبعد أن توصلا اليه واعتذرا بأن ذلك الكتاب لم يكن لهما ، ولم يكن لهما به غرض ، واصلا التعلم عليه " ولما كان بعد مدة مديدة أمرهم ان يجيدا وحفظ القرآن ، وأن يشتغلوا بقراءة التفسير والحديث والفقه ، وأن يواظبوا على مراعاة الأمور الشرعية ، والاقتداء بها ، ولا يخلوا بشي من ذلك ، فلما امتثلوا أمره ، وأتقنوا معرفة ما أشار به عليهم . . . . قال لهم : الآن صلحتم لأن تقرأوا هذا الكتاب ( ١ ) ، وأمثاله علي وأشغلهم فيه " ، ( ابن ابي أصيعة ، عيون الأنباء ، ١٩٦٥ ، ص ص ٥٢٣ - ٥٢٤ ) .

ان ابن زهر ، لم يكن واثقا من نضج التفكير لدى طالبيه ، ولما تأكد من أن مراعاة الأمور الشرعية صارت عادة لديهم ، دفع اليهما الكتاب ، ولم يخش عليهما ، وهي مرحلة لا تنهيا إلا لمن قطع شوطا بعيدا بعد المرحلة الثانية والتي أشار اليها ابن زهر نفسه من خلال الدراسات التي أمرها بها .

### تعليم الاناث

ماذا كان حظ الفتاة من التعليم في الاندلس العربية ؟

( ١ ) الكتاب : هو كتاب في المنطق نهاها عنه بادي الأمر .

تشير النصوص المتوفرة أن المرأة الاندلسية نالت نصيبها من التعليم وبلغت في بعض الأحيان مستوى راقيا لا يقل عن مستوى الشيوخ من الذكور ، ولكنها حتما لم تصل حظها الكامل ، ولم تتح لها الفرصة التي أتيحت لأخيها الذكر ، إذ أن الاسماء الملامعة في مجال التأليف والبحث والابتكار والاختراع كانت من نصيب العلماء الذكور .

إثناء الحديث عن المعلومات النساء تعرفنا الى طائفة منهن ما رسن التعليم ، واخذ الناص عنهن الحديث والفقه والأدب ، ومنهن من اشتهرت بالشعر ومخاطبة الملوك به . وهنا سنحاول أن نتعرف كيف تمتعت الانثى بحقوقها في التعليم ، وأين كانت تتلقى تعليمها ، وما المستويات التي وصلت اليها في تعليمها ؟

كانت الفتيات الحرائر يتلقين تعليمهن في أسرهن على من يقد رعلو التعليم من أفراد الأسرة ، سواء أكان الأب أو الجد أو الأخ أو الأم أو الجدة . . الخ . فأمه الرحمن بنت أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر العبسي الزاهدة المتوفاه . ٤٤ هـ ذكرها أبو محمد بن خزرج وقال : سمعت عليها مع ابن أخيها محمد بن عبد الملك بعض ما روته عن أبيها " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، قسم ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٦٩٤ ) ، وعن أم الكرام بنسبت المعتصم قد اعتنى بتأديبها - لما رآه من ذكائها حتى نظمت الشعر والموشحات " ، ( ابن صهيد ، المغرب ، ج ٢ ، ١٩٥٣ ، ص ٢٠٢ ) . وأم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي " نشأت في حجر أبيها . . . حتى نهضاد واكها ، وظهر في المعرفة حراكها ، ود رسها الطب ففهمت أغراضه ، وعلمت أسبابه وأعراضه " ، ( لسان الدين بن الخطيب ، الحاطة ، مجلد ٤ ، ١٩٧٧ ، ص ٤٣٨ ) . وكانت حمدة وزينب ابنتا زياد المكتب شاعرتين أدبيتين " من أهل الجمال والمال والمعارف والصون ، إلا أن حب الأدب كان يحللهما على مخالطة أهل مع صيانة مشهورة ونزاهة موثق بها " ، ( لسان الدين بن الخطيب ، الحاطة ، مجلد ٤ ، ١٩٧٧ ، ص ٤٣٨ ) .

وهناك الجوارى اللواتي كن يتعلمن ويشقن على يد مواليهن ، أو يعهد بهن الى من يود بهن لغايات تجارية . فالعروضية مولاة ابي المطرف عبد الرحمن بن غلبون - سكنت بلنسية - وكانت قد أخذت عن مولاها النحو واللغة ، لكنها فاقتة في ذلك ، صرعت في العروض ، وكانت تحفظ الكامل للمبرد ، والنوادر للقالبي وتشرحهما . . . توفيت فسي

حدود ٤٥٠ هـ ، (المقدري ، نفح الطيب ، جده ، "تحقيق محي الدين" ، ١٩٤٩ ، ص ٣٠٢) . وكانت "صبح" جارية رومية لأحمد بن محمد بن شعيب الكرياني المتوفى ٧٤٩ هـ "فأدبها حتى لقت حظا من العربية ، ونظمت الشعر ، وكان شديد الغرام بها" (لسان الدين بن الخطيب ، الاحاطة ، مجلد (١ ، ٢ ، ص ٢٨٠) .

بعض الجوارى كن ذوات ثقافة شاملة متنوعة ، حتى ليعجز فرد واحد تزويدهن بتلك الألوان المختلفة من الثقافة ، مما يدفع الى الاعتقاد بأن أسيادهن كانوا يبعثون بهن الى المؤدبين والاساتذة ، أو كانوا يستدعون لهن أولئك المؤدبين والاساتذة . ينقل احسان عباس من الذخيرة كلام الكتاني تاجر الرقيق الذي قال :

فأنا منه الحجارة ، فضلا عن أهل الفداحة والجهالة ، واعتبر ذلك أن في ملكي الآن أربع روميات ، كن بالاس جاهلات ، وهن الان عالمات ، حكيما منطقيات ، هندسيات ، موسيقيات ، اسطروليات ، معدلات ، نجوميات نحويات ، عروضيات ، تأدييات ، خطاطات ، يدل على ذلك لمن جهلهن الدواوين الكبار التي ظهرت بخطوطهن في معاني القرآن وغيره ، وغير ذلك وعلوم العرب من الأنواء والأعراف والأنحاء ، وكتب المنطق والفلسفة ، وهن يتعاطين اعراب كل ما ينسخنه ويضبطنه ، فهما لمعانيه ، ولكثرة تكرارهن فيه .

( احسان عباس ، تاريخ الادب الاندلسي ، الطوائف ، ١٩٢٤ ،

ص ٥٣ ) .

إذا لم يكن ذلك كلام "دلال" تلحقه المبالغة ، فان ما فيه من فنون الثقافة لا يستطيع شخص واحد القيام به منفردا ، كما نفهم من كلام الكتاني "أنه منه الحجارة" . وقول آخر ينقله شكيب أرسلان عن ابن حيان يصف الجارية ( ربحانة ) أو ( قهرمانه ) التي اشتراها هذيل بن خلف بن لب بن رزين البصري : "لم ير في زمانها أخف منها روحا ، ولا أسرع حركة ، ولا ألين أعطافا ، ولا أطيب صوتا ، ولا أحسن غناء ، ولا أجود

كتابة ولا خطأ ولا أبدع أدبا ، ولا أحضر شاهدا مع السلامة من اللحن في كتبها وغنائها ،  
بمعرفتها بالنحو واللغة والعروض ، إلى المعرفة بالطب وعلم الطبائع ومعرفة التشريح مما  
يقصر عنه علماء الزمان \* ، ( شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج ٢ ، ١٩٣٦ ، ص ١٠١ ) .

### النساء يعلمن النساء :

كانت مهجة بنت التيان القرطبي من أجمل نساء زمانها ، وأخفهن روحا ، علفت  
بها ولادة ، ولزمت تأديبها إلى أن صارت شاعرة ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ١٩٥٣ ،  
ص ١٤٣ ) ، وعن عائشة القرطبية المتوفاة ( ٤٠٠ هـ ) يقول ابن دحية في المطرب \* كانت  
تعلم النساء الأدب \* ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، تحقيق محي الدين ، ١٩٤٩ ، ص  
٢٦ ) ، وكانت مريم بنت أبي يعقوب تعلم النساء الأدب وشهرت بعد الاربعةائة ، ( الضبي ،  
بغية الملتص ، ١٩٦٧ ، ص ٥٤٤ ) .

### المؤدبون يعلمون النساء :

يبرز لنا من خلال النصوص أحد احتمالين أو هما معا ، فاما أن المؤدبين كانوا  
يذهبون إلى دور الاثراء ، فيؤدبون أولادهم هناتهم ، أو أن الأولاد والبنات كانوا  
يقصدون المؤدبين في أماكن وجودهم ، والنصوص لا تحدد بدقة مكان مثل هذا التعليم  
للنساء .

نقل أن فاطمة بنت محمد بن علي بن شريعة اللخمي \* شاركت اخاها أبا محمد  
في بعض شيوخه ، ورأيت اجازة محمد بن فطيس الالبيري لها ولأخيها في جميع روايته  
بخط يده \* ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٦٩٢ ) . وعن نزهن القلاعية  
أنها قرأت على أبي بكر المخزومي الأعشى ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ٢ ، ١٩٥٣ ، ص  
١٢١ ) . وقرأت ربحانة \* بالمرية القراءات كلها على المقرئ أبي عمر ، ثم قرأت عليه خارج  
السبع وأجازها \* ، ( الضبي ، بغية الملتص ، ١٩٦٧ ، ص ٥٤٦ ) . ويروي الحسن بن شريح

أن الوليد بن بكر بن مخلد القمري كان يؤدبه ويؤدب أخاه البهلول وابنة أخيه ،  
(ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ١٩٦٦ ، ص ٦٤٢ - ٦٤٣ ) . وفي نص لابن بشكوال  
تصريح بأن الشيخ " كان يدخل الى فاطمة بنت يحيى بن يوسف الغفامي ، وكانت " عالمة  
فقيهة ، استوطنت قرطبة ، وصفاً توفيت رحمها الله سنة ٣١٩ هـ " ، (ابن بشكوال ، الصلة ،  
ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٦٩١ ) و ( الضبي ، بغية الطلوع ، ١٩٦٧ ، ص ٥٤٧ ) .

هناك احتمال خروج النساء الى المساجد لتلقي العلم ، وهو احتمال ضعيف يمكن  
أن نستنتجه من قول القمري أثناء حديثه عن مسجد قرطبة " وفي مقاصير النساء من السقائف  
بابان " ، ( القمري ، نفح الطيب ، ج ١ ، " تحقيق احسان عباس " ، ١٩٦٨ ، ص ٥٤٧ ) .  
هل كانت النساء يذهبن الى المسجد الجامع بقرطبة للصلاة ، وهل كن يتلقين تعليماً ما ؟  
على أى حال يبدو لنا أن هذا الاتجاه في تعليم النساء زيادة لم يسبق اليها  
المجتمع الأندلسي في ارضها . فالكاتب الفرنسي فيليب النوفاري المتوفى ١٢٢٠ م " نادى  
بأن الفتيات يجب ألا يتعلمن القراءة " ، ( ج . كرامب ، أ . جاكوب ، تراث العصور  
الوسطى ، ج ٢ ، ١٩٦٧ ، ص ٥٧٠ ) .

### الطلاب من غير المسلمين

#### الطلاب الأندلسيون :

كانت أماكن المباداة في العصور الوسطى هي المؤسسات التعليمية السائدة .  
فاذا كان المسلم يذهب الى المسجد لتعلم أمور دينه ، كان المسيحي يذهب الى كنيسه ،  
واليهودى الى كنيسه ، للتعرف الى الامور الدينية ، وروح العصر كانت تحملها لهيولاء  
واولئك اللغة العربية والثقافة العربية بما مثلته من تقدم في سائر مجالات العلوم . ولذا لم  
يجد الطالب المسيحي أو اليهودى اساتذة غير العرب المسلمين في اسبانيا . وفي  
مناسبة سابقة تحدثت عن المكاسب الاجتماعية التي يمكن ان يجنيها الطالب غير المسلم  
بأقباله على الثقافة العربية الاسلامية ، اذ من خلالها ، وصل بعض اليهود الى البلاطات

السلطانية : فحسداى بن شبروط اليهودى الذى اتخذه عبدالرحمن الناصر مستشارا ، كان له أثره في ابتداء الدراسات التلمودية والآداب العبرية في اسبانيا المسلمة ، (أحمد بلافرج ، الأدب الأندلسي ، ج ١ ، ١٩٤١ ، ص ٣٨) . وابن النغريلة اليهودى " كان الكاتب الأعلى لأبي العباس وزير حبوس ، ثم أصبح وزير الباديس بن حبوس ، نشأ بقرطبة واضطرت فتنه البهر ( ٣٩٩ هـ ) الى الهجرة منها ، وسكن مالقة حيث افتتح له دكانا ، وكان قد درس التلمود بقرطبة على الكاهن حنوك ، كما درس الأدب العربي وغيره ، حتى أصبح يتقن الكتابة المنققة بالعربية " ، ( ابن حزم ، الرد على ابن النغريلة ، ١٩٦٠ ، ص ٩ ) . واتخذ من اتقان الكتابة العربية وسيلة للترقي في المناصب الرسمية وخدمة طائفته ، حتى مات قتلا فيما بعد . ثم ان سهل الاسرائيلي " كان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٥ ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ٧٠ ) . وأبو الفضل بن حسداى بن يوسف بن حسداى المتوفى ( ٥٠٠ هـ ) " تناول المعارف من طرقها ، فاحكم علم لسان العرب ، ونال حظا جزيلا من صناعة الشعر والكتابة ، والبلاغة وصرغ في علوم الرياضة والفلك والطب واتقن علم المنطق " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٥ ، " تحقيق الرفاعي " ، ص ٢٥٣ ) . ويذكر عن يوسف الاسرائيلي انه تتلمذ لابي عامر بن شهيد ( ٣٨٢ - ٤٢٦ هـ ) ، ( أحمد ضيف ، بلاغة العرب في الأندلس ، ١٩٢٤ ، ص ٥٦ ) . لقد كانت الأندلس بما عرف عن تسامح أهلها العرب المسلمين ، قبلة اليهود في تلك العصور ، فتقدموا اليها بهيئة لغت أنظار أهل تلك العصور الى حد أن أطلقوا عليها اسم " اورشليم الجديدة " ، ( محمد غلاب ، الفلسفة الاسلامية في المغرب ، ؟ ، ص ١٩ ) .

أما بالنسبة للمسيحيين الاندلسيين ، فلا تتحدث عنهم النصوص العربية القديمة مباشرة ، ولكن ما ورد على لسان الراهب القرطبي المعاصر للقارو ( ١ ) يؤكد اقبالهم على تعلم الثقافة العربية ، وهو يلوم النصارى لاقبالهم على تعلم العربية حتى انه لا يجد فسي

( ١ ) مر الحديث عن القارو في الفصل الاول من الدراسة .

الألف واحدًا يتقن الانجيل في اللغة اللاتينية .

وهناك اشارات عامة لدى الكتاب المعاصرين ، تدل على أن المسيحيين شاركوا المسلمين في معاهدتهم العلمية ، وأخذوا من ثقافتهم .

يقول ناجي معروف : " وقد كان كثير من طلبة العلم في قرطبة من المسيحيين " ، ( ناجي معروف ، المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، ١٩٦٠ ، ص ١٧٥ ) ، ويقول السيد عبدالعزيز سالم : " لا شك أن كثيرا من نصارى الاندلس من أهل الذمة قد تعلموا فيه علوم العربية واستعربوا ، مضطرين الى مشاركة المسلمين حياتهم ، رغبة في تقلد المناصب الكبرى في الادارة ودواوين الحكومة " ، ( سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ١٩٦٢ ، ص ٣٨٢ ) .

الراحلون الى الأندلس من بلدان أرومية أخرى :

كانت الأندلس ثالث المعابر بعد المشرق وصقلية ، التي عبرت منها الثقافة الاغريقية والثقافة العربية الاسلامية الى أوروبا ، وكان الطلبة الوافدون من أوروبا المسيحية الاندلس احدى وسائط النقل الثقافي . ففي أوج ازدهارها ، جذبت الاندلس " آلافا من اليهود والمسيحيين اليها . ويذكر ابن الجباري أن الطلبة من كل أنحاء الدنيا تدفقوا على بلاد الاندلس ، وعلى قرطبة بالذات ليتعلموا فيها ، خاصة أيام حكم الأمويين بين القرنين الثامن والحادي عشر " ، ( زيفريد هونكه ، شمس العرب ، ٢ ، ص ٥٠٠ ) .

من الامثلة البارزة للطلاب الارمن الذين وفدوا الى الاندلس " جيريسارت الأورباكي " ، الذي كان أول بابا فرنسي حاملا اسم سلفستر الثاني ، ذهب الى طليطلة لاتمام تعليمه . ففي طليطلة قضى ثلاث سنين دارسا الرياضيات والفلك والجغرافيا وغيرها من المعارف تحت ادارة علماء المسلمين ، ويخترع ساعة دقاقة ، وينشيء " أراغن مائية ، ويولع بالكيمياء " ، ( حيدريامات ، مجالي الاسلام ، ٢ ، ص ص ٢٩٥ - ٢٩٦ ) و ( سيديسو ، تاريخ العرب العام ، ١٩٤٨ ، ص ٣١٤ ) و ( شريف ، الفكر الاسلامي ، ١٩٧٥ ، ص ١١ ) وكردي علي ، غابر الأندلس وحاضرها ، ١٩٢٣ ، ص ٥٣ . ورغم أن بعض الباحثين

يختلفون في المكان الذي استقر فيه باسبانيا (١) ، لكنهم لا ينكرون أثر الثقافة العربية الاسلامية عليه ، سواء كان ذلك عن طريق تعلم العربية وقراحه بها أو عن طريق الكتب المترجمة وجدير هذا هو الذي أصبح البابا سلفستر الثاني (من ١١٩١ - ١٠٠٣) ، (جلال مظهره حضارة الاسلام ، ٢ ، ص ٤١٢) ، وإلى معاهد اسبانيا العربية العلمية " وفد كثير من التلاميذ الذين أصبحوا فيما بعد - اساتذة وقادة في الدراسات الرياضية والطبيعية من بين هؤلاء ادلارد الباثي Adalard of Bath ، وصولي النورفلكي Morly of Norfolk البريطانيان . وكان هؤلاء يعودون الى بلادهم ، ليعلموا أقوامهم ما تلقوه من أساتذتهم المسلمين ، كما كانوا يترجمون أهم ما كتبه الباحثون المسلمون " ، (شريف ، الفكر الاسلامي ، ١٩٢٥ ، ص ١١٤) و (محمود مكي ، مدريد العربية ، ٢ ، ص ١١٦) . ويذكر غير هؤلاء امثال (الفزاريل ولايه دى كلوفي اللذين تعلموا في مدارس قرطبة ، (كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، ١٩٥٠ ، ص ٢٦٤) . ووجد من " مطارنة الفرنسيين والانكليز والالمان والطلابية وعلماهم آخرون أقاموا بجامعة الاندلس اقامة طويلة أو قصيرة ، فرى جيرارد القريمني الذي يرحم فيزياء أرسلطو من المتن العربية ، وكتبانوس النوفاري وأبيلارد الباثي ودانيال المورلي ، وميكل سكوت ، وهرمان الدلماسي ، وهرمان الالمانسي " ، (حيدر بامات ، مجالي الاسلام ، ٢ ، ص ٢٩٦) . وينقل حيدر بامات عن سيموندي " أن صغار أمراء الماليك الناشئة باسبانيا ، ولا سيما أمراء كلونية وأرغونة اللتين ظلت مملكة سرقسطة الاسلامية محاطة بهما حتى سنة ١١١٢ ميلادية قطروا بأشخاصهم رياضيين وفلاسفة وأطباء وفلكيين وقاصيين ومخنيين ، تلقوا تربيتهم الاولى في مدارس الاندلس " ، (حيدر بامات ، مجالي الاسلام ، ٢ ، ص ٢٩٩) ، وفي حديثه عن الاسلام في الغرب يقول (رو) " لقد أخذوا عن أثينا وأعطوا باريس . . . . ولتعذر الوصول مباشرة الى تراث الافريق ، سعى مثقفو العصور الوسطى اليه عن طريق العرب والاسلام " ، (جان بول رو ، الاسلام في الغرب ، ١٩٦٠ ، ص ١٤٣) . ان اولئك الطلبة الاوروبيين الذين وفدوا الى المعاهد العلمية في الاندلس هم الذين زودوا (هيرمان) (٢) الابن البائس للنبييل (فولفرايد Wolyerad) بكل تعوجات الفكر العربي . ومنهم أخذ كثيرا من المعلومات - التي أودعها فيما بعد مؤلفاته - أثناء عودتهم الى أوطانهم بعد اتمام دراساتهم في الجامعات العربية ، ومرورهم بدير راينخو ، (زينفريد

(١) يختلف الباحثون فيما اذا كانت اقامته في قرطبة أو في طليطلة ما وانه اتم تعليمه في بارشلونة .  
(٢) هو الابن (هرمان) الذي كان مشغولا وأمضى بقية عمره في دير راينخو .



هونكه ، شمس العرب ، ؟ ، ص ١٤٠) - ولهؤلاء الطلبة أصبح تقليد فيما بعد يجمعون فيه كل ما وصلت اليه أيديهم من التحف الفنية ، أمثال الآلة الفلكية ( حاسبة النجوم ) تخليداً لذكرى أيام دراستهم في الجامعات العربية ، ( زيفريد هونكه ، شمس العرب ، ص ١٣٩ ) .

### الخلاصة

كان الطالب الاندلسي يتلقى تعليمه الاولي في المكاتب التي كانت منتشرة في المدن والقرى الاندلسية ، ولا يعرف بالضبط السن التي كان يلتحق فيها الطالب بالمكتب ، الا أن الطفل كان يبدأ تعليمه في المكاتب في سن السادسة أو السابعة ، وكان الغالب أن أهل الطفل هم الذين يقدرون السن التي يجب أن يذهب فيها الى المكتب . وتبعاً لاختلاف ظروف الناس ، فقد لا يستطيع الطفل البدء بالتعلم الا في سن متأخرة ، وفي أي سن ذهب المتعلم الى المكاتب أو المساجد ، كان يجد مطلبه في التعليم .

وفي الكتاب تعلم الأطفال القراءة والكتابة والحساب وشيئاً من الفقه والحديث والشعر ، وعندما كان الطفل ينتهي من المكتب يتوجه الى المسجد ليبدأ مستوى جديداً ، وذلك ما أطلق عليه في الدراسة اسم " التعليم الثاني " ، حيث يبدأ المتعلم مستوى جديداً من التعليم فسي حلقات ومجالس العلماء . وفي هذه المرحلة يختار المتعلم معلمه أو أستاذه ، والمادة التي يجد في نفسه ميلاً إليها .

بعد المرحلة الثانية ، يدخل المتعلم مرحلة أخرى ، أطلق الدارس عليها اسم " مرحلة التخصص " حيث ينصرف المتعلم الى التعمق في إحدى المواد الدراسية أو في بعضها ، ويمكن أن تقابل تلك المرحلة بالتعليم الجامعي في عصرنا ، حيث يتعرف فيها الطالب الى اسرار وقائق المواد التي يدرسها ، ويصبح فيها عالماً حجة .

على أن هذه المرحلة الأخيرة لم تكن خاتمة المطاف بالنسبة للمتعلم في المجتمع الاندلسي ، بل كان التعليم يستغرق المعركة . فالمعلم طالب في حلقة ، وفي حلقة أخرى يجلس اليه الطلاب يتعلمون منه .

ولم يقتصر التعليم على الذكور بل شاركت الاناث الى حد ما بأخذ نصيبهن من التعليم ، وكن يتلقين تعليمهن ، اما في الأسر أو لدى معلمين خاصين ، أو يعلمهن معلمات .

لقد كانت معاهد العلم مفتوحة لجميع ابناء الشعب الاندلسي ، ولغير الأندلسيين ،  
اذ ان طلابا اوروبيين من خارج الأندلس وفدوا الى الاندلس للتعلم .  
اما مواد الدراسة ، فكانت في العلوم الدينية واللغوية وفي الحساب والهندسة والطب  
والفلك والنجوم ، ولتدريس هذه المواد قعد المعلمون في المساجد وفي بيوتهم ، ولم  
يتخرجوا ان يعطوا مما عندهم من العلم في اى مكان قصد هم الطلاب .

## الفصل الثامن

### مواد الدراسة

ومدى ارتباطها بحاجات المجتمع الأندلسي

### مقدمة

ليس المقصود في هذا الفصل أن يدور الحديث عن نشأة العلوم الأندلسية وتسلسلها التاريخي ، وذكر المصنفات والتأليف المختلفة في هذا المجال ، وإنما الهدف هو التعريف بالمواد التعليمية التي انصرف المتعلمون الأندلسيون يروون مجالاً تهسا ، بدافع من الحاجات الضرورية والملحة للمجتمع الأندلسي ، والتي كانت نتيجة لمرحلة الحضارية التي عاشها ذلك المجتمع . ولذا ستكون المحاولة في هذا الفصل الاجابة عن السؤال التالي : الى أى مدى ارتبطت علوم الأندلسيين بحاجاتهم ؟

### اتجاهات الأندلسيين نحو أنواع العلوم

بين أيدينا نصوص مفيدة ، يمكن أن تعطينا صورة مجملية عن آراء الأندلسيين في العلوم المختلفة : ما يدعون الى تعلمه ويحسون به ويرون ضرورته ، وما ينهون عنه ويرون ضرره ، وهم ينطلقون في تقرير ذلك من اجتهاداتهم في فهم النصوص القرآنية والحدِيث الشريف وفيهما فلسفة تربيتهم ومن آراء الفقهاء ، ثم من اتجاهات الرأي العام ، في بعض الأحيان .

عن الجانب النظري يتحدث ابن حزم الفقيه ( ٣٨٤ - ٤٥٦ هـ ) قائلا : " أما الاشتغال برواية القراء المشهورين السبعة ، وقراءة الحديث وطلب علم النحو واللغة ، فان طلب هذه العلوم فرض واجب على المسلمين على الكفاية . . . . ، فاذا قام بذلك من يعنى بهذا القدر سقط فرض طلبها حينئذ عن الباقيين الا ما يخص كل انسان في نفسه فقط " ، (ابن حزم ، الرد على ابن النفريلة ، ١٩٦٠ ، ص ١٦٠ ) .

وهو ابن عبد البر القرطبي (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ) ان العلوم ثلاثة : علم أعلى ،  
وعلم أسفل ، وعلم أوسط . فالعلم الأعلى ، علم الدين ، والعلم الأوسط هو معرفة علوم الدنيا  
كعلم الطب والهندسة والعلم الأسفل هو احكام الصناعات ، وضروب الأعمال التي يحصل  
عليها بتدريس الجوارح ، ( ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ، ١ ، ص ٢٨٧ ) . وأما  
علم الموسيقى واللهو فمطروح ومنهون عند جميع أهل الأديان ، والصحيح عندى معرفة  
العدد والضرب والقسمة واخراج الجذور ومعرفة جمع الاعداد ، ومعنى الخط والدائرة  
والنقطة . والحساب علم لا يكاد يستغنى عنه ذو علم من العلوم . وأما التنجيم ففائدة  
معرفة جريان الفلك وسير الدار ، ومطالع البروج ، ومعرفة ساعات الليل والنهار في كل  
بلد وفي كل يوم ومعد كل بلد عن خط الاستواء ، ومن المجرى الشمالي والأفق الجنوبي  
والفروبي ، ومولد الهلال وظهوره ، واطلاع الكواكب للأشوار وغيرها ، ومشيها واستقامتها  
وأخذها في الطول والعرض ، وكسوف الشمس والقمر وقتها ومقدارها في كل بلد . ومعنى سني  
الشمس والقمر وسني الكواكب ، ( ابن عبد البر ، جامع بيا العلم ، ٢ ، ص ٢٨٨ ) .  
وفي وصية لسان الدين الخطيب لأولاده ، طلب اليهم ان يتعلموا علوم الشريعة ،  
وعلم اللسان التي لا تستغرق الاعمار فصولها ، وتجويد القرآن ، وحفظ الحديث ، ومعرفة  
صحيحه من سقيم ، والفقه ، ويحذروهم من العلوم القديمة والفنون المهجورة ، الا ما كان  
من الحساب والمساحة ، وما يعود بجدوى الفلاحة ، والعلاج الذي يجلب الراحة السلي  
النفوس والجسم ، ( المقرئ ، أزهار الرياض في اخبار رعايا ، ج ١ ، ص ١٩٧٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ ) .  
من النصوص السابقة وأماليها ، واعتمادا على ما تقدم من الفصول ، وانطلاقا من واقع  
المجتمع الاندلسي ، يمكننا أن نتعرف الى الانواع التالية من الدراسات :

#### الدراسات الدينية

وتشمل علوم القرآن والحديث ، وما يتعلق بهما ، ويتفرع عنهما ، وما تلزمه راسته  
من أجل فهمهما من فقه ولغة .

## الدراسات القرآنية :

القرآن الكريم - كما هو معلوم - دستور المسلم ، الذي ينظم علاقته بالكـون والمجتمع والحياة بشكل عام ، وكان من الطبيعي أن يلاقي هذا الاهتمام الذي لا قساه من المسلمين . فالصغار يفتحون عيونهم على نغمات الآيات القرآنية ، وينشأون على سماعها وتلاوتها - حتى صار القرآن الكريم أهم مصادرها الثقافية الإسلامية ، فالمسلم - بغض النظر عن درجات الإيمان ومستوياته - له سلوكه المميز الخاص به .

يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " و " مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب " ، (صحيح البخاري ، ج ٦ ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٥) . واستجاب الصحابة رضوان الله عليهم ، لهذه الدعوة ، فزودوا القرآن عن الرسول " على طرق مختلفة في بعض ألفاظه ، وكيفيات الحروف في أدائها وتنويع ذلك واشتهر إلى أن استقرت منه سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضا بأدائها واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير ، فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة " ، (ابن خلدون ، المقدمة ، ١٩٦٧ ، ص ٤٣٧) ، ثم دونت هذه القراءات ، وتنقلت ، وصارت علماً من العلوم سموه " علم القراءات " .

كان المتعلم أول ما يبدأ بتعلم قراءة القرآن الكريم ، ثم حفظ بعض الآيات والسور منه ، حتى يستطيع القيام بالصلاة التي يطالب بها المسلم وهو ابن سبع سنين ويضرب عليها ابن عشر ، والذي " يلزم كل انسان (١) من حفظ القرآن ، فهو أم القرآن وشي " من القرآن معها ، ولو سورة أي سورة كانت أو آية ، فهذا لا بد لكل انسان منه " ، (ابن حزم ، الرد على ابن النفريلة ، ١٩٦٠ ، ص ١٦٠) . وأما القراءات السبع فيعتبرها ابن حزم فرضاً على الكفاية وفضلاً عظيماً لمن طلبها ، (ابن حزم ، الرد على ابن النفريلة ، ١٩٦٠ ، ص ١٦٠) . واشتهر بها في الأندلس أبو عمرو الداني وأبو القاسم ابن فيرة الشاطبي .

(١) أظن أن الكاتب يقصد الانسان المسلم .

بعد حفظ القرآن وفق الأصول المتبعة ، يتدرج المتعلمون في فهم أحكامه ومعرفة ناسخه من منسوخه ، ومعانيه ورسومه ( ٢ ) ، ومن أجل هذه الدراسات ومن خلال الاشتغال بها ، ألف الأساتذة كتباً جمة في هذه الموضوعات .

### الحديث الشريف :

علوم الحديث - كما يقول ابن خلدون - كثيرة ومتنوعة ، منها النظر في ناسخه ومنسوخه ، والنظر في الأسانيد ، ومعرفة ما يجب العمل به بوقوعه على السند الكامل الشروط ، ثم معرفة رواية الحديث والتحقق من اتصافهم بالعدالة والضبط ، ( ابن خلدون ، المقدمة ، ١٩٦٢ ، ص ٧٨٩ ) . وفي مرحلة تالية ، وبعد أن جمعت الأحاديث في كتبها مثل صحيح مسلم وصحيح البخاري ، انصرف أهل الحديث إلى التأليف في رجال الحديث ومكانتهم ، وإلى طرق أخذ الحديث ، ومنهم من جمع غريب الحديث ، أو المؤلف والمختلف من الحديث .

كانت مهمة العلماء الأندلسيين نقل كتب الحديث من المشاركة إلى الأندلس ومنها على طلابهم . فعرف من كتب الحديث الصحيحان ، وموطأ مالك ، كتاب فقه الحديث ، وسند ابن أبي شيبة وغيرها . وعليها تتلمذ طلاب الحديث ، وانتقلت من جيل إلى جيل ومن بلد إلى بلد ، وصارت معتمدتهم ، لأنها نصوص محقة ، بذل جامعوها ومحققوها الجهد الكبير حتى وصلتهم على هذه الصورة .

انطلق المسلمون في تعلم الحديث من إيمانهم بالآثار الذي تركه النبي - صلى الله عليه وسلم - سواء أكان ذلك قولاً أو عملاً أو اقتراراً . واستعانوا به على فهم شؤون دنياهم ، كما تعلموه امتثالاً لقول رسول الله ( ٢ ) - صلى الله عليه وسلم - : " من حفظ على أمشي

---

( ١ ) فن الرسم : أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية .

( ٢ ) يصف المؤلف الحديث بالضعف .

أربعين حديثاً من أمر دينها ، بعثه الله يوم القيامة في زمرة العلماء والفقهاء \* ، (القاضي عياض ، الالمام ، ١٩٧٠ ، ص ٢٢ ) .

ظلت مرحلة جمع الحديث حتى نهاية القرن الرابع الهجرية ، وألفت فيها السوف من الكتب ، وانتهت عهود الرواية والتدوين الأساسي في جوامع ومصنفات وسنن وسانيد ، ولم تبق مادة جديدة ، لمن جاء في القرن الخامس الا الاعتناء على ما ألف ، ثم تقديم المادة في شكل جديد ، ( الأعظمي ، الدراسات الإسلامية ، ١٩٨١ ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ ) وفي القرن الخامس الهجري عرفت الاندلس طائفة من المحدثين ، منهم ابو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي المتوفى ٤٦٣ هـ ، وأبو علي الفسائي ، وأبو الصدي المتوفى ٥١٤ هـ ، والسلفي الذي يقول :

أنا من أهل الحديث وهم خير فئسة  
عشت تسعين وأرجو أن أعيش لمائة  
( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ١٩٥٦ ،  
ص ١٩٠ ) .

الفقه :

هو معرفة أحكام الله تعالى الموجودة في الكتاب والسنة ، وما نصه الشارع من الأدلة لمعرفة أحكامها ، ( ابن خلدون ، المقدمة ، ١٩٦٧ ، ص ٧٩٨ ) . ولما كانت النصوص بلفظة العرب ، وألفاظ هذه اللغة تحتل معاني مختلفة ، نشأ تبعاً لذلك اختلاف بين المفسرين ، ولما كانت السنة مختلفة الطرق في الثبوت ، وتتعارض في الأكثر أحكامها ، فلا بد من الترجيح ، وهو مختلف أيضاً ، ( ابن خلدون ، المقدمة ، ١٩٦٧ ، ص ٧٩٨ ) .

ان الفقه الاسلامي يعني بالضرورة رد المواقف والوقائع الحياتية المتجددة التي اطارها من المفاهيم الاسلامية التي تضمنها القرآن الكريم والحديث الشريف ، وعلو شأنها ودورها في حياة المجتمعات الاسلامية لتتألف على نوع من الاستقرار فيها ، وعلى تلبية طموحاتها لتكون مجتمعات عصرية في كل آن . ولحاجة الناس التي لا تنقطع للفقه ، لاقت

الدراسات الفقهية اقبالاً يكاد يغلب الاقبال على غيره من الدراسات ، لعوامل سياستية الحديث على أكثرها .

### مكانة الفقه في الأندلس :

في الأندلس عظم شأن الفقهاء في أعين الحكام وفي أعين العامة وانعكس ذلك على طلبها لدراسات الفقهية ، لما رأوا ما يتمتع به الفقيه من مكانة علمية واجتماعية ، حيث استندت الى الفقيه مناصب دينية وإدارية ، فملوك الأندلس كانوا " يتواضعون لعلمائها (١) ، ويرفعون أقدارهم ، ويصدرون عن آرائهم ، وانهم كانوا لا يقدمون وزيراً ولا مشاوراً ما لم يكن عالماً " ، (ابن حزم ، فضائل الأندلس وأهلها ، ١٩٦٨ ، ص ٥٢ - ٥٣ ) .

ومع مرور الزمن تتعزز مكانة الفقهاء في الأندلس ، حتى اذا حل عصر المراهطين تراجعت منزلة الشاعر ، وأصبح التصريح بكساد الشعر أشد وأوضح ، ولم يعد بإمكانه منافسة رجل السيف والفقيه والكاظم . ولقد عبر الأعمى التطيلي الشاعر عن هذا الاحساس بقوله : " ان قال مالك " طردت " قام زيد " ، أى أن الفقيه قد أبعد الادب والفلسفة ، وأصبحت الكلمة العليا للفقهاء " ، (احسان عباس ، تاريخ الادب الأندلسي / الطوائف ، ١٩٧٤ ، ص ٩٠ ) . وعند ما كان عبدالله بن ناصر يسأير أحد الفقهاء قال له : " ان مثلك في الفقهاء لمعدوم ، فقال له : ما كنت الا أدبياً ، ولكني لما رأيت سوق الفقه بقرطبة نافقة اشتغلت به فقال له : ومن عقل المرء ان لا يفني عمره فيما لا ينفعه عصره " ، (المقرئ ، نفع الطيب ، مجلد ٣ ، " تحقيق احسان عباس " ، ١٩٦٨ ، ص ٥٨٣ ) .

اننا نستطيع تقدير ضخامة عدد الطلاب الذين اتجهوا للدراسات الفقهية ، اذا تذكرنا أن في الأندلس ما لا يحصى من القرى المنتشرة حول المدن الكبيرة ، وكل منها

(١) يقصد الفقهاء .



تحتاج لمن يفقه الناس في أمور دينهم ، ولمن يحل مشاكلهم المتجددة والتي تأتي مع الأفواج الداخلة في الاسلام من سكان البلاد الأصليين . وما يؤيد ذلك ما ورد على لسان المقرئ من وجود ثلاثة آلاف قرية بخارج قرطبة وفي كل منها منبر وفقه مقلص (١) له الفتيا في الاحكام والشرائع ، وكان لا يجعل القائل على رأسه منهم ، الا من حفظ الموطأ ، وقيل من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحفظ المدونة ، (المقرئ ، نفع الطيب ، ج ٢ ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ٧) .

لقد انعكس اجلال الحكام للفقهاء في تقدير المجتمع لهم ، وكان لذلك أثره على توجه الناس الى الدرسات الفقهية ، لأنها تغلبهم الى تحقيق كثير من أغراضهم الدينية ، على أن ذلك لا ينبغي وجود الفقهاء الذين طلبوا العلم خدمة للعلم وللدن ، ورفضوا المناصب الحكومية التي عرضت عليهم .

## الدراسات الأدبية واللغوية

### الأدب :

نعلم بأن الأدب شعرونشر ، وكلا النوعين وجد في الاندلس من يعنى بهما ، صقوم على تدريسهما ، فساهمت هذه الدراسات ، وكانت رافدا قويا للدراسات الدينية التي سبق الحديث عنها - في تكوين الرجل المثقف الذي احتاجت اليه مناصب الدولة : في القضاء ، والقيادة ، سواء أكان ذلك في قيادة الجيوش أو الوظائف الادارية من حجابة وكتابة ولاية وغيرها .

كان الاقبال على دراسة مادة بعينها تحدده رغبة الطالب في المادة ونظرة المجتمع اليها - كما هو الشأن في كل مكان . رأينا ذلك واضحا في الدراسات الدينية ،

(١) مقلص : يلبس القلنسوة ، وهي لباس للرأس .

ويبدو أن الأمر كذلك في الدراسات الأدبية واللغوية . أننا إذا استثنينا الأمراء والخلفاء والملوك الأندلسيين الذين كان معظمهم شعراء وأدباء وعلماء ، فإن الأدب لدى الطبقات الأخرى لم يكن ترفاً عقلياً ، ولم يعد مجرد تسلية ولهو ، وإنما صارت له مهمة جدية هي التكسب والحصول على الرزق . لقد أصبح وسيلة من وسائل العيش ، وطريقاً للتقدم والصعود في سلم الحياة والاجتماعية والحصول على مكانة عالية ، بل والوصول إلى المراكز الإدارية الرفيعة في الدولة ، (صلاح خالص ، أشبيلية في القرن الخامس ، ١٩٦٥ ، ص ١٦٨) . ولذا أصبح "علم الأدب المنشور" (١) من حفظ التاريخ والنظم والنثر، وستظرفات الحكايات أنبل علم عندهم ، وهم يتقرب من مجالس ملوكهم وأعلامهم ، ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل (٢) مستثقل ، (المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٢ ، "تحقيق الرفاعي" ، ٢ ، ص ١٠٩) . فكان المعتمد بن عباد مثلاً "لا يستوزر وزيراً إلا أن يكون أدبياً شاعراً حصن الأدب ، فاجتمع له من الوزراء والشعراء ، ما لم يجتمع لأحد قبله" ، (احسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي / الطوائف ، ١٩٢٤ ، ص ٨٢) .

أما كتب الرسائل في بلاط الأمراء والخليفة فكان "له حظ في القلوب والعيون عند أهل الأندلس . . . . وأهل الأندلس كثيرون انتقاد على هذه السمة ، لا يكسبون يغفلون عن عثراته لحظة ، فإن كان ناقصاً عن درجات الكمال ، لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطان من تسلط الألسن في المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه" ، (المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٢ ، "تحقيق الرفاعي" ، ٢ ، ص ١٠٠) . وأولئك الذين كانت تجتذبهم مجالس الملوك ويستطيعون تثبيت مكانتهم فيها ، كانوا يمثلون نماذج عميقة الثقافة شامتتها . والثقافة اللغوية الأدبية تشكل أهم جانب فيها ، فابن حمديس مثلاً "ظهرت ثقافته في القرآن والفقه والنحو وعلم الكلام والتاريخ والفرق الدينية واللغة والعروض والبلاغة ، والأمثال العربية والأدب والفلسفة والمنطق والفلك والطبيعة والكيمياء وعلم الحيوان والنبات والحساب والموسيقى" ، (سعد الشلبي ، ابن حمديس الصقلي ، ٢ ، ص ص ١٣٠ - ١٤٣) ، وابن زيدون الشاعر الناصر الأديب ، كانت له مثل هذه الثقافة ، حتى إذا تركنا مثل هذه الأساطير

(١) ملاحظة للمحقق : قد تكون محرفة عن "المأثور" .

(٢) غفل : مهمل .

المشهوره ، فان أهل الأندلس عامة تميزوا عن غيرهم بكثرة معاناتهم ومثلاتهم — من المحفوظات اللغوية نظماً ونثراً ، وكان فيهم ابن حيان امام أهل الصناعة في هذه الطلعة ورافع الراية لهم فيها ، وفي الأندلسيين زخرت بحار اللسان والأدب ، وتداول ذلك فيهم مثين من السنين ، ( ابن خلدون ، المقدمة ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٩ ) ، وإلى الأندلس دخلت كتب المشارقة الأدبية ، ولاقت دواوين المتنبي وأبي تمام والمعري وابن الرومي وأبي نواس ، ومقامات الحريري وغيرهم عناية الأندلسيين بها . وتصدى للتدريس بها أساتذة مشهورون ، منهم أبو علي القالي البغدادي ، وشرحوها وفسروها لطلابهم وألفوا في موضوعاتها . .

### الشعر :

ساعدت بيئة الأندلس الجميلة واللاهية ، وحب الأندلسيين للشعر على خلق فئة من الشعراء ، رأى فيهم الأندلسيون قمعا غنت أمجادهم الحرية وعبرت عن حاجاتهم الاجتماعية وترجمت كل احساس بجمال الطبيعة لديهم ، حتى الحراث في حقله - كما يقولون - غنى الشعر ، ( بالنشيا ، تاريخ الأندلس ، ١٩٥٥ ، ص ص ٧٨ - ٧٩ ) . ويبدو أن الشعر كان أقدر أنواع العلوم على اصال صاحبه الى غاياته عند الملوك والأمراء . ففي الأندلس كان شرا ، تمتعت به الطبقة الاستقرائية ، ولم تهمل على نفسها في اجتتاء اللذات ، من جوارى ملأ القصور ، غنين لهم بأعذب الألحان والكلمات . ومن شعراء ومتأدبين ، كانوا متحمسة مجالس السلطان ، ثم بكى هؤلاء الشعراء فيما بعد مجد الأندلس الذي بدأ يتهاوى حتى سقطت مدينة غرناطة آخر معقل عبي في الأندلس .

ظاهرة التمسك بالشعر ، واتخاذ وسيلة للرزق ، واضحة في الحياة الأندلسية ، ما يجعلنا نعتقد معها بأن تعلم الشعر كان يلبي حاجة مادية لدى الطبقات المتوسطة والفقيرة ، وحاجة اجتماعية يطمح الشعراء من خلالها الى التقدير الاجتماعي وولوج المراتب العالية لدى الملوك والأمراء ، لكن ذلك لا ينبغي أن يقول الشعر نغمة لمرغبات ذاتية وتغنيا بأحاسيسهم المترفة ، مثال ذلك الأمراء والملوك الأندلسيون ، وقل منهم من لم يكن شاعرا .

من رفيعهم الشعر محمد بن عمار وزير المعتمد بن عباد وخليفه و" كان قصاراه  
التكسب به ، فلم يزل يجول الأندلس مسترفدا ، لا يخص بمدحه الملوك دون غيرهم . . . .  
ورد في بعض سفراته شلب (١) ، لا يملك الا دابة لا يجد علفها ، فكتب الشعر الى  
رجل من وجوه أهل السوق فكان قد ره عند الرجل أن ملأ له المخلاة شعيرا ، ووجه بها  
اليه ، فرآها ابن عمار من أجل الصلات ، وأسنى الجوائز " ، ( المراكشي ، المعجب ،  
١٩٦٣ ، ص ١٧٣ ) .

واعتل ابن عمار بالمعتضد ومدحه بقصيدة استحسناها ، فأمر له بشباب ومركب ،  
وأمر أن يكتب اسمه في ديوان الشعراء ، ( المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ١٧٦ ) .  
وكان للمنصور بن أبي عامر ديوان للشعراء حسب مراتبهم في الشعر ، ويعطون لقاء ذلك  
مالا وجوائز .

ثم ان ابن عمار من خلال منادته للمعتضد أصبح وزيرا له ثم ولاه إحدى النواحي  
ولكن شعره في النهاية قتله .

وينقل المراكشي رواية عبد الله بن محمد بن حبوس الشاعر عن أبيه ، عندما ذهب  
الى مدينة شلب ، وكان جائعا من ثلاثة أيام لم يطعم زادا ، فدل على رجل من أهلها  
يعرف بابن الطح ، فقصده بيته ومدحه بأبيات من الشعر ، ولما أنشده الأبيات استحسناها ،  
وأدخله منزله ، وأعطاه صندوقا وجد فيه سبعة مائة دينار مرابطة ، ( المراكشي ، المعجب ،  
١٩٦٣ ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ) . وعن الحسين بن سابق صاحب أعمال بلنسية : استجدى  
أول حاله بالشعر ، وتجول في الآفاق متكسبا حتى ترقى الى ولاية السوق ببلنسية " ( ابن  
سعيد ، المغرب في حلل المغرب ، ج ٢ ، ١٩٥٣ ، ص ٣١٣ ) . وكان أبو عبد الله محمد  
ابن الدمن ، المعروف بأبن الكهل وتوفي ٦٣٤ هـ = ١٢٤٦ م ، يستعطي في الأسواق  
ويتعيش بهيج الصك ، وعندما ترقى همته في الأدب وقال الشعر ، ارتفعت فيه طبقتة  
ومدح الملوك والأعيان ، ( ابن سعيد ، المغرب في حلل المغرب ، ج ٢ ، ١٩٥٣ ، ص ٣٧٣ ) .

(١) شلب : اسم مدينة ، بالاسبانية :

من الشعراء من أدرك ما يلاقه الشاعر من ذل وردع ، حتى كأن الأنف عافت  
مثل هذا التكسب ، وأولئك الشعراء المتكسبين ، فيحيي بن الجزار السرقسطي ، نمسا  
لديه مبكرا حس عميق بمثل تلك المهانة التي يبتذل فيها الشعراء أنفسهم ، ويريقون ماء  
وجوههم . كان يحيي السرقسطي في دكان يبيع اللحم ، فتعلقت نفسه بقول الشعراء ،  
وسرع فيه ، ومدح ملوك بني هود ووزراءهم ، ثم ترك الأدب والشعر ، وعاد الى حرفته  
" القصابة " ، فأمر ابن هود وزيره حسداى أن يوحه ، فخطبه حسداى :

تركت الشعر من ضعف الاصابة      وعدت الى الدناءة والقصابة  
فأجابه يحيي الجزار بقصيدة طويلة منها :

وحقك ما تركت الشعر حتسى      رأيت البخل قد أركى شهابه  
وحتى زوت مشتاقا حبيبا      فأبدي لي التجهم والكآبة  
فظن زيارتي لطلاب شسى      فناقرني وأغلظ لي حجابه  
(ابن سعيد ، المغرب ، ج ٢ ، ١٩٥٣ ، ص ص ٤٤٤ - ٤٤٥ )

ألا نحس في أبيات هذا الشاعر مرارة ما لاقاه ، وهو يقصد الناس بشعره ؟ ثم ألم  
يدرك بعمق احساسه فضل الحرفة التي ظل العرب يأنفون منها زمانا ، ورأى فيها تشل  
الكرامة ؟ ألا يسجل في أبياته عشية ذلك الشعر ، الذي لم يكن في أكثره الا تعلقا  
ونفا ؟

لعل تلك الاغراض ، قصد كثير من الشباب تعلم النظم ، ومن هو " يحد ثنا ابن  
شهيد الشاعر قالا :

ووما لاز بنا المستطعم باسم الشعر من يخطط العامة والخاصة بسوالة ،  
فيصادف منا حالة غير ذات فضله ، لا تتسع له في كبير مبرة ، فنشأ ركسه  
ونعتذر له ، ووما أفدناه بأبيات يعتمد بها البقالين ومشيخة القصابين ،  
فاذا قرعت أسماعهم ، وما زجت أفهامهم ، وولحهم ، وانحلت عقد هم ،

وجعل شخص ذلك البائس في عيونهم ، فما شئت ان ذاك من خبيرة وميرة يحشى بها كفه ، ورقبة سمينة تدفن في مخلاته ، ومن كوز فقاغ يصب في فمه ، وتينة رطبة يسد بها حلقومه ، وسنبوسة ودكسة تدس تحت لسانه ، وقالودجة رطبة يحنك بها حنكه ، فلا يكاد البائس يستقيم ذلك ، حتى يأتينا فيكب على أيدينا يقبلها ، وأطرافنا يلطمعها ، رانها في أن تكشف له السر الذي حرك العامة ، فبذلت ما عندها له . . . . . وتعليمه ذلك من أنحاء الشعور لا نستطيعه ، لأن هذا الذي يريده منا هو تعليمه البيان ، وبين فكره وبينه حجاب .

(ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، تحقيق

احسان عباس " ، ١٩٧٨ ، ص ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ) .

هذا النص دليل واضح على أن فئة من الشعراء منهم ابن شهيد كانوا يقصدون لتعليم النظم ، ولكنهم لا يستطيعون - كما يقول - تعليمهم سر البلاغة والتأثير في الناس . والحديث عن الشعر من نواحيه الغنية تناوله عدد من الباحثين ، وأردت هنا فقط أن أشير الى الارتباط القائم بين المواد الدراسية ، وارتباطها بحاجات الدارسين .

## النحو :

لاقت الدراسات النحوية اهتماما كبيرا من الأندلسيين ، حتى خاف بعضهم أن تطفئ على الدراسات الدينية ، وبرزت أسماء وقفت في مصاف علماء النحو الشارقة ، كابن خروف ( - ٦٠٩ هـ ) وابن عصفور ( ٥٩٧ - ٦٦٣ هـ ) والشلموني ( ٥٦٢ - ٦٤٥ هـ ) وغيرهم . وعندما قام سعيد الأفغاني باستشارة الأرقام كما يقول ، وجد أن ( ٧١٢ ) من بين ( ٢٤٥٠ ) ترجمة حواها كتاب السيوطي ، كانوا أندلسيين ، أي أن هذه النسبة بلغت ثلث علماء العالم الاسلامي من الصين الى بحر الظلمات في ذلك القطر القليل المساحة ، ( سعيد الأفغاني ، هل في النحو مذهب أندلسي ؟ ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، المجلد ان ٨ ، ٧ ، ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ، ص ٧٨ ) .

تلك الكثرة من العلماء مؤثر ، على عناية الأندلسيين بدراسة النحو ، حتى ان عالما فقيها مثل ابن حزم ، اضطر ان يوضح للناس الغاية من دراسة النحو ، فحدد أغراض دراسة هذه المادة وتدريسها . لقد اعتبر أن دراسة اللغة والنحو فرض على الكفاية ، ومن لم يدرس النحو واللغة ، لم يعلم اللسان الذي بين الله به ديننا وخاطبتنا به ، ومن لم يعلم النحو ، لم يعلم دينه ، ولو سقط علم النحو لسقط فهم القرآن ، وفهم حديث النبي ولو سقط لسقط الاسلام ، وحرام على أى فقيه أن يفتي في دين الله بكلمة وهو جاهل للنحو واللغة ، وحرام على المسلمين أن يستفتوه ، ( ابن حزم ، الرد على ابن النفريلة ، ١٩٦٠ ، ص ١٦١ ) . ونفهم من كلام ابن حزم أن الذين يطلبون النحو لفائيات فهم الدين مأجورون وأن الذى يطلبه ليكون مكسبا ومعاشا ، مأجور أيضا ، ولكن أجره دون أجر الاول ، وفي عرض حديثه يبين بعض الأغراض التي يتعلم الناس اللغة والنحو من أجلها ، فهو يلوم الذى يتخذها وسيلة الى اقامة المظالم ، وأحيا رسوم الجور والمخاطبة عن فساق الملوك بما يرضيهم ويسخط الله عز وجل ، ويرى أنهم يستحقون لعنة الله وغضبه ، ( ابن حزم ، الرد على ابن النفريلة ، ١٩٦٠ ، ص ١٦٢ ) . وابن السيد البطليوسي أندلسي آخر ، يحدد أغراض تعلم النحو ويرى أن النحو يلزم أصناف الكتاب (١) حتى يتعلموا الاعراب ويسلموا من اللحن ، ويعرفوا المقصور والمدود ، والمقطوع والموصول ، والمذكر والمؤنث ويكون لهم بصيرة بالهجا اذا الخطأ في الهجا كالخطأ في الكلام . وليس عليهم أن يعمقوا في معرفة النحو ايمان المعلمين الذين اتخذوا هذا الشأن صناعة وصبروه بضاعة ، ولا ايمان الفقهاء الذين أرادوا فهم كلام الله تعالى ، وكلام رسوله ، وكيف تستنبط الأحكام والحدود والعقائد بمقاييس كلام العرب ومجازاتها ، ( البير مطلق ، الحركة اللغوية ، ١٩٦٧ ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ) .

يظهر لنا ما تقدم الحاجة الماسة التي كان يشعر بها الأندلسيون لتعلم النحو : فالكتاب يلزمهم لا قامة صناعتهم والفقهاء لفهم واجيبهم والمعلمون لمواصلة رسالة التعليم وتخرج الطلاب الذين سيكون منهم الكتاب والفقهاء والقضاة . وهناك فئة اتخذت من فهم كلام العرب سبيلا لفائيات دنيوية ، تفسر من خلالها النصوص ، بما يلائم الأهواء ويجبر الظلم .

(١) الكتاب : يقصد كتاب الدواوين لدى الأمراء والملوك .

## الخط العربي :

في وقت لم تكن فيه الطباعة معروفة ، كان تجويد الخط ضروريا ، وحاجة ماسة في المجتمع الاندلسي المسلم . فالمصاحف مطلوبة لكل بيت سلم ولكل طالب علم ، والخطاطون يدركون مثل هذا الطلب ، فيتفرغ منهم الكثيرون لتوفير نسخ منه ، وتجويد خطوطها ، وقد مر بنا أن مئة وسبعين امرأة في أحد أرباض قرطبة ، كن ينسخن المصاحف . هذا عدا عمسن ينتشر من النساخ في سائر أنحاء الأندلس . ويشمل هذه الفئة ، ما ذكر عن سليمان بن محمد أنه " كان خطاطا بارع الخط في المصاحف ، وأفتى عمره في كتابتها من أول نشأته بقرطبة الى أن مات بظليطة في عشرين وعشرين والأربع مئة " ، ( ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ١٩٥ ) .

يضاف الى المصاحف كتب الدراسة التي كان مضطرا لاقتنائها الطالب والمعلم على

السوا .

ثم عرفت فيما بعد فئة اتخذت من الخط فنا زخرفيا زينت فيه كثيرا من أدوات الطعام والمشرب وكثيرا من أدوات الحرب ، كما رصت النقوش الخطية على واجهات الأبنية ، سسوا . أكانت أما كن عبادة أو غيرها ، حتى " استعمل هذا الفن في الكنائس المسيحية ، ولو أن المسيحيين المتعبدين عرفوا ان ذاك معاني بعض العبارات العربية المستعملة لرؤهم الأمر " ، ( كويلريونج ، الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة ، ١٩٦٢ ، ص ٢٣٧ ) . ففي المتحف البريطاني صليب ايرلندي يشهد بالتسام الذي كان قائما بين الغرب والصناعات الاسلامية . يعود تاريخ الصليب الى القرن التاسع الميلادي ، وهو مطلي بالبرونز ، ووسط زجاجة كتب عليها العبارة العربية " باسم الله " ، ( توماس آرنولد ، تراث الاسلام ، ١٩٧٢ ، ص ١٧٦ ) ، ويعلق الكاتب على ذلك بقوله : " لم يكن الصانع يدركون مغزى الكتابة العربية التي ينقشونها أو التي يقلدونها ، ان لا يمكن لكتابات اسلامية بحثة كهذه أن تنقش بدرايسة وفهم . . . فوق شارة مقدسة كشارة الصليب " ، ( توماس آرنولد ، تراث الاسلام ، ١٩٧٢ ، ص ١٧٦ ) . وينقل جوستاف ليهون شاهدة ( لا قوا ) وسيلونفوريه في مكان الامتعة من كاتدرائية



ميلانو بإيطاليا عن "باب مهني على طراز رسم البيكارين يحيط به أفريز حجري مؤلف من كلمة عربية مكررة عد قمرات . وكتابة عربية حول رأس السيد المسيح المصور فوق أبواب القديس بطرس التي أمر بإنشائها البابا أوجين الرابع ، وخطوط كوفية طويلة على قميص القديس بطرس والقديس بولس " ، ( ليهون ، حضارة العرب ، ٩ ، ص ( ٥٣ ) .

تظهر النصوص أن الأندلسيين اشتهروا بجودة خطوطهم . فما قاله ابن سعيد : "أما أصول الخط المشرقي وما تجد له في القلب واللمحظ من القبول فسلم به ، لكن خط الأندلس الذي رأيته في مصاحف ابن غطوس الذي كان بشرق الأندلس ، وغيره من الخطوط المنسوبة عندهم له حسن فائق ورونق آخذ بالعقل ، وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، مجلد ٣ ، "تحقيق احسان عباس" ، ١٩٦٨ ، ص ( ١٥١ ) . ويقول ابن خلدون : "وتحيز ملك الأندلسيين بالأموهين ، فتميزوا بأحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط ، فتميز صنف خطهم الأندلسي كما هو معروف الرسم لهذا العهد " ، ( ابن خلدون ، المقدمة ، ١٩٦٧ ، ص ٧٥٠ ) . وعندما تلاشى ملك الغرب بالأندلس تفرقوا في الأقطار " فانتشروا في عدوة الغرب وأفريقيا . . . وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع ، وتعلقوا بأذيال الدولة ، فغلب خطهم على الخط الإفريقي ، ونسى عليه ونسي خط القيروان ، والمهدية بنسبان عوائدهما وصنائعهما ، وصارت خطوط أهل إفريقيا كلها على الرسم الأندلسي " ، ( ابن خلدون ، المقدمة ، ١٩٦٧ ، ص ٧٥٠ ) ، وإذا ما وقع بأيدي الناس من الدواوين المنتسخة بخط الأندلسيين ، شدوا عليها يد الضانسة وتناقلوها من جيل إلى جيل ، لما هي عليه من غاية الاتقان والاحكام والصحة ، ( ابن خلدون ، المقدمة ، ١٩٦٧ ، ص ٧٥١ ) .

لقد لعب دور التعليم حاجة المجتمع الأندلسي لتجويد الخط ، وانصرفت فئة منهم نعمانة الخطوط والتفنن بها ، ولاقت النجاح والرياح من خلال ما نقشته على أنواع مختلفة من التحف حتى صارت "أصغر عبارة مخطوطة لخطاط مشهور ، لتكون قبلة جماعي التحف" ، (توماس آرنولد ، تراث الاسلام ، ١٩٧٢ ، ص ١٧٥ ) .

## الطب :

ليس الغرض استقصاء أسماء الذين اشتغلوا بالطب واشتهروا به (١) ، ولا أن نوضح انجازات الأندلسيين في مجالات الطب ، فلقد كتب عن ذلك العرب والمستشرقون (٢) ، وحددوا مكانتهم الجديرة بهم بين أطباء العالم ، وما قدموه لأوروبا والمشرية ، وانما الهدف التعرف الى الطب كمادة دراسية ، اتجه فريق من الطلبة الى العناية بهما ، واتقنوها صرعوا فيها ، ادراكا منهم لحاجة مجتمعهم اليها ، كما هوشأن المواد الدراسية الاخرى من فقه وحديث ولغة ونحو . . الخ .

اعتبر الأندلسيون على لسان ابن عبد البر القرطبي المتوفى ٤٦٢ هـ = ٩٤٦ م أن علم الأبدان ، العلم الثاني الأوسط بمد علم الأديان ، ويضع ما يشبه المنهاج في الدراسة الطبية حيث يقول " وأما الطب فلفهم طبائع نبات الأرض ، وشجرها ومياهها ، ومعادنها وجواهرها وطعومها وروائحها ، ومعرفة العناصر والأركان ، وخواص الحيوان ، وطبائيع الأبدان والفرائض ، والأعضاء والآفات العارضة ، وطبائع الأزمان والبلدان ، ومنافع الحركة والسكون ، وضروب المداواة ، والفرق والسياسة " ، ( ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ٢ ، ص ٢٩٠ ) .

انه يرى أن الطب يتناول طبيعة الانسان الفيزيكية والنفسية وهيئة المادة بما فيها من عناصر النبات والحيوان والمناخ ، التي على الطبيب أن يفهمها ليصنع سياسة للمداواة .

(١) يراجع من أجل هذا الغرض ، كتاب صاعد الاندلسي (طبقات الأمم) ، وكتاب ابن ابي اصيبعة (عيون الأنباء في طبقات الاطباء) .

(٢) كتب في هذا الموضوع معظم المؤلفين عن الحضارة العربية منهم : ليوون ، الدوميلي ، هونكه ، بروكلمان .

عن نشاط الاندلسيين في المجالات الطبية يقول جلال مظهر : " والحسب أن اسبانيا الاسلامية كانت طوال القرون الوسطى ، والى فترة بعد ذلك ، الدولة الوحيدة فسي أوربا التي كانت تخرج مدارسها الطبية أطباء مؤهلين في الجراحة " ، ( جلال مظهر ، حضارة الاسلام ، ٢ ، ص ٣٣١ ) ، و " كان للطب أربع مدارس أهلة بالمدرسين والتلاميذ من جميع الملل والأجناس في قرطبة واشبيلية وطليطلة ومرسية " ، ( احمد ضيف ، بلاغسة العرب في الاندلس ، ١٩٢٤ ، ص ١٢ ) ، وفي قرطبة وحدها كان خمسون مستشفى فسي أواسط القرن العاشر الميلادي ، ( زيفريد هونكه ، شمس العرب ، ٢ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ) .

يؤحي الحديث السابق أنه كان بالاندلس مدارس وكلليات خاصة بالطب ، لكن الوقائع التي تنقلها لنا كتب الاندلسيين لا تتحدث بهذه الكيفية ، فهي تسجل وفود نفرالسي المشرق لتعلم الطب ، ثم العودة الى الاندلس واشتغالهم بهذه المهنة .

ورد الى الاندلس زمن الامير محمد بن عبدالرحمن الاوسط ( حكم من ٢٣٨ - ٢٧٣ هـ = ٨٥٢ - ٨٨٦ م ) " رجل من أهالي حران ، كان يعرف بالاندلس الحراني - لم ييلغني اسمه - كانت عنده مجريات حسان في الطب ، واشتهر وحاز الذكر فيها " ، ( صاعد التغلبي ، طبقات الأمم ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٢ ) ، ثم يذكر صاعد رجلا حرانيا آخر عندما يتحدث عن حفيديه ( عمرو وأحمد ) ابني يونس بن أحمد الحراني اللذين رحلا الى المشرق في دولة الناصر ، وأقاما هنالك عشرة أعوام ، ودخلا بغداد ، ليدرسا فيها الطب على يد ثابت بن سنان ، ويعود الى الاندلس زمن الحكم المستنصر ، ويستحصلهما لنفسه من سائر أطباء وقته ، ( صاعد التغلبي ، طبقات الأمم ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٤ ) . هل يكون أحمد الحراني جدهما هو نفس الحراني الذي لم يعرف اسمه صاعد ؟ أم أنه رجل حراني آخر ، وفد الى قرطبة ؟

والى ( حران ) أيضا رجل عمر بن عبدالرحمن بن أحمد بن علي الكرمانى القرطبي الاندلسي " وعني هنالك بطلب الهندسة والطب ، ثم رجع الى الاندلس واستوطن مدينة سرقسطة من ثغرها . . . . وله عناية بالطب ، وتجارب فاضلة فيه ، ونفوذ مشهور في الكسي

والقطع والشق والبط ، وغير ذلك من أعمال الصناعة الطبية ، وتوفي بعد رقطة سنة ٤٥٨ هـ ، ( القفطي ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ١٣٦٦ هـ ص ١٦٢ ) . ومن رحلوا إلى المشرق أيضا محمد بن عبدون الجبلي سنة ٣٤٧ هـ : " دخل البصرة ومصر ، ودبر ما رستميها ، وتمهر في الطب ، ونبل فيه ، وأحكم كثيرا من أصوله . . . . ثم رجس إلى الاندلس سنة ٣٦٠ هـ ، فخدم المستنصر بالله والمؤيد في الله في الطب " ، ( صاعد التغلبي ، طبقات الأمم ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٥ ) .

### أين تلقى الأندلسيون علومهم وما رساتهم الطبية ؟

لم يكن الاقبال على دراسة الطب كالإقبال على دراسة الفقه وسائر العلوم الدينية ، أو كالإقبال على دراسة الآداب واللغويات . دليل ذلك ما تحدث به القاضي أبو مروان الباجي عند ما سأل القاضي أبا بكر بن أبي الحسن الزهري عن سبب تعلمه صناعة الطب ، فقال له :

انني كنت كثير اللعب بالشطرنج ، ولم يوجد من يلعب مثلي به فسي اشيلية الا القليل ، فكانوا يقولون : أبو بكر الزهري الشطرنجي ، فكان اذا بلغني ذلك أغتاظ منه ، فقلت في نفسي لا بد أن اشتغل عن هذا بشي\* غيره من العلم لأنعت به ، وبزول عني وصف الشطرنج ، وعلمت أن الفقه وسائر الآداب ، ولو اشتغلت به عمري كله ، لم يخلصني وصف أنعت به ، فعدلت إلى أبي مروان عبد الملك بن زهر ، واشتغلت عليه بصناعة الطب ، وكنت اجلس عنده واكتب لمن جاء مستوصفا من المرضى ، الرقاع ، واشتهرت بعد ذلك بالطب ، وزال عني ما كنت أكره الوصف به .  
( ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ١٩٦٥ ، ص ٥٣٦ ) .

ألا يدل هذا الحديث على سهولة الاشتغال بالطب ؟ وسهولة اتقان صنعته ؟

فأبو بكر الزهرى لا يستطيع أن يناقش الأدباء والفقهاء في عصره ، أما لانهم كثيرين ، ولا يستطيع أن يشتهر بينهم ؟ أولاً لأن الاشتغال بالفقه والأدب يتطلب دراسة نظريّة متعمقة وطويلة ، بينما رأى أن تعلم الطب لا يكلفه إلا الجلوس عند أبي مروان عبد الملك بن زهر ، وملاحظة ما يعمل وكتابة الوصفات التي يطلبها الناس المرضى . لقد كان الطب صناعة علمية يستطيع الطالب أن يتعلمها بالمعاشاة والمجاهدة ، ومن خلال التدريب . ولعل ذلك ما دعا بالنشأ أن يقول عن محمد التميمي اثناً حديثه عن ابن وافر أنه " كان أوسع أطباء أهل زمانه علماً بالطب ، وقد مارس هذا الفن كذلك محمد التميمي وكان يلقيه لطلبته بطريقة علمية تجريبية ، "أكلينكيلة" ، ( بالنشأ ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ١٦١ ) . ومثال ذلك التدريب ما يروى عن أبي عبد الله النذرومي الذي ولد بقرطبة سنة ٥٨٠ هـ ونشأ بها ثم انتقل إلى أشبيلية . اشتغل على القاضي أبي الوليد ابن رشد بالطب ، واشتغل أيضاً على أبي الحجاج يوسف بن موطير ، ( ابن أبي أصيمة ، عيون الأنباء ، ٩٩٦٥ ص ٥٣٧ ) . فهم يستخدمون فعل " اشتغل " في الغالب ، مما يؤكد الصبغة العلمية في تعلم الطب .

نستطيع أن نقول إذن : لقد قعد معلمون للطب ، كما قعد معلمون لتعليم النحو وعرفوا بذلك ، فقصداً من أجله . وكما كان تعلم بعض المواد يتم في الأسرة . كذلك اشتهرت أسر بالطب : فأ أسرة بني زهر تملسل منها ستة (١) اشتهروا بالطب وأخذ اللاحق منهم عن السابق ، كما أخذ عنهم غيرهم ، وكان للحفيد أبي بكر بن زهر أخت وابنتها عالمتين بصناعة الطب والمداواة ، ولهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء . ومن أخذ عن هذه الأسرة (المصدوم بن الحسن بن أسدون ) تلميذ أبي مروان عبد الملك بن زهر ، مولده ومنشأه بأشبيلية ، وتوفي سنة ٥٨٨ هـ . وعن المصدوم

(١) أسرة بني زهر : أبو بكر محمد بن مروان بن زهر ، توفي سنة ٤٢٢ هـ ، ابنه أبو مروان عبد الملك ، ثم ابنه أبو العلاء وابن أبو مروان بن زهر ، وابن أبو بكر محمد بن عبد الملك ، ثم ابنه أبو محمد عبد الله .  
( انظر : ابن أبي أصيمة ، عيون الأنباء ، ص ٥١٧ - ٥٣٠ ، وأحمد أمين ، ظهرا الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ ) .

أخذ عبد العزيز بن سلمة الباجي . وعن سلمة أخذ أبو العباس الكيناري من أشبيلية ،  
والحجاج يوسف بن موطير . وأخذ عن أسرة بني زهر أبو جعفر بن الغزال الذي  
لازم الحفيد أبا بكر بن زهر وقرأ عليه صناعة الطب .

واشتهر ابن باجه أبو بكر محمد بن يحيى الصائغ بصناعة الطب ، وتلمذ عليه  
القاضي محمد بن رشد . كما تلمذ ابن رشد أيضا " على أبي جعفر بن هارون ، وكان  
طبيباً ولا زمه مدة ، وأخذ عنه كثيراً من الأمور الحكمية " ، ( ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ،  
١٩٦٥ ، ص ٥٢٤ - ٥٣٢ ) .

ويذكر ابن الخطيب عدداً من الأطباء الذين اشتهروا بالعداوة والتأليف في العلوم  
الطبية وأخذ الناس عنهم ، منهم أحمد بن محمد بن يوسف الانصاري الذي قرأ الطب على  
الشيخ أبي زكريا بن هذيل ، وأحمد بن محمد الكرنبي الذي أخذ عن الاستاذ أبي عبد الله  
الرقوطي ، ونازعه بالباب السلطاني . ويذكر عن عيسى بن عمر بن سعادة المتوفى سنة  
٧٢٨ هـ ، أنه قرأ الطب وخدم به الدار السلطانية . وعن حسن بن محمد بن حسن القيسي  
أنه أخذ صناعة الطب عن أبي الحسن الأركشي ، ( ابن الخطيب ، الا حاطة ، مجلد ١ ، ٢ ،  
ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ) .

وكما هاجر الاندلسيون في طلب العلوم الاخرى ، هاجروا في طلب الطب ، فأبسو  
الصلت أمة بن عبد العزيز الاندلسي ( ٤٧٠ - ٥٢٠ هـ ) عندما زار مصر وعمره ( ١٧ ) عاماً  
قال عن أهلها :

كنت أول جلوسي بها شديد العناية بكتب جالينوس ومقراط باحثاً عن  
مشكلها ، فاحصاً عن مستغلقها ، فحرصت كل الحرص ، وجهدت كل الجهد  
على أن أجد من أهل هذه الصناعة ، من أستفيد منه واستزيد بمذاكرته  
... فلم أجد غير قوم طبع الله على قلوبهم ، وأعشى أبصارهم ، وطمس  
أفهامهم فحال بين الحكمة وبينهم . . . . ولم يعلموا أن الطبيب محتاج  
الى أشياء تعينه في صناعته ، وتفتح له مغالقتها ، وتوضح مشكلها ، وتشرح

مشتبهها ، وتبين له مستعجبها ، وتذيقه برد اليقين ، وتجلو عــــن بصيرته ظلم الشكوك والظنون وهي العلوم الطبيعية التي تعرف مبادئها وأوائلها وتعطيها استقصاتها (١) وعناصرها ، والقوانين القياسية التي تسد ذهنه نحو الصواب فيما يلتص علمه ويتطلب فهمه ، وتعرفه كيف يحيل مطلحاتها اليه ، ويبني قياساتها عليها ، وكيف يتطرق من جليها الى خفيها ، ويحقق الأسباب والعلل ، ولا بد لمن أراد أن يكون طبيبا كاملا وحكيما فاضلا من النظر في العلوم الرياضية ولا سيما النجومية منها والموسيقية .

(عبد السلام هارون ، نوادر المخطوطات ، ١٩٧٢ ، صص ٣١-٣٢) .

هاجر أبو الصلت ليمتزيد علما ، ولكنه لم يجد هناك بغيته ، فوضع هذه الرسالة التي تدل على اتجاه الاندلسيين في فهم رسالة الطبيب ، وما يلزمه من العلوم ، ليستطيع القيام بمسأله .

#### الهندسة والحساب :

مر حديث عن المعلمين الذين قعدوا لتعليم الهندسة والحساب ، وعلى رأس هؤلاء كان سلمة المجرطي ( - ٣٩٨ هـ ) وتلامذته الذين تقدم ذكر عدد منهم . وما أريد أن أشير اليه هنا أن تعليم الحساب كان لازما لمعرفة الأنصبة في الموارث ، التي ورد تقسيم لها في القرآن الكريم . واحتاجه الاندلسيون في أعمالهم التجارية ، حيث ازدهرت التجارة في بلادهم ، وكانت لهم صلات مع أنحاء العالم المعروف آنذاك .

---

(١) الاستقص والأسطقس : هو الشيء البسيط الذي يتركب منه المركب .

الذين علموا الحساب والهندسة كثيرون . منهم يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة من أهل قرطبة ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٤ ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ١٤٧ ) ، وأبو مسلم بن خالد بن من أشبيلية وتلميذه ابن برغوث وأبو الحسن الرعيني ، وعبد الله السرقسطي ، ومحمد بن الليث ، وعامر الصافري قرطبة ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٤ ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ١٤٧ ) .

ان الآثار الرائعة التي تركها الأندلسيون في مجال العمران والزراعة تدل دلالة قوية على ما تمتعوا به من تقدم في علم الهندسة . ولقد اخترت أوصافا لبعض الآثار البارزة التي تركها الأندلسيون للدلالة على روعة الفن الهندسي الذي بلغوه . ينقل المقرئ عن بناء الزهراء (١) زمن عبدالرحمن الناصر " وفي صدر هذه السنة ٣٢٩ هـ ) كمل للناصر بنيان القناة الغربية التي أجراها ، وجرى فيها الماء العذب من جبل قرطبة الى قصر الناعورة غربي قرطبة في المناهر (٢) المهندسة وعلى الحنايا المعقودة ، ويجري ماؤها بتدبير عجيب ، وصنعة محكمة الى بركة عظيمة . ثم يصف المقرئ تلك البركة وما فيها من عجائب الفن والهندسة ، حتى أن الناصر من أجل ذلك وصل المهندسين والقوام بالعمل بصلوات حصنة " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٤ ، " تحقيق الرفاعي " ، ١ ، ص ٥٤ ) . ويخص المقرئ جامع قرطبة بصفحات من الوصف في كتابه نفح الطيب ، كما يرى السيد عبدالعزيز سالم ، أن ساجد الاندلس التي بنيت بعده ، تأثرت بفن المعماري الهندسي ، وامتد ذلك التأثير الى مصر في جامع ابن طولون ، وإلى العمارة المسيحية في اسبانيا وجنوبي فرنسا ، حيث تجلس في كتابها ، ( سالم تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ١٩٦٢ ، ص ٣٩٩ - ٤٠٠ ) . كيف انتقلت هذه الفنون الهندسية ؟ أليس الأجدر بنا أن نقول : ان مدرسة فنية في الهندسة انتجت هذه الآثار ، وتعلم منها الناس ، ونقلوا تفكيرها ومنهجها ووسائلها في العمارة ؟ وهل يحدث كل ذلك بدون تعلم وتعليم ؟

(١) الزهراء : احدى ضواحي قرطبة .

(٢) المناهر : مفرد ها منهر وهو موضع في النهر يحتفره الماء .



إذا تذكرنا ما تذكره الكتب عن روعة قرطبة في مآنها من مساجد وقصور بناها  
الأمراء والخلفاء في الزاهرة والزهرية ، والقصور التي قامت فيها بعد زمن ملوك الطوائف ،  
حيث كان كل ملك يتفنن في عمارة قصوره وستنزهاته ، ويجلب لها أضخم النفائس : فسي  
اشبهلية وفي طليطلة ، في مرسية والعمرية وغرناطة . إذا تذكرنا كل ذلك ، أدركنا مدى  
حاجة الطبقة الاستقرائية الى المهندسين الذين كان عليهم أن يلهموا متطلبات ترفها  
البانخ . وشمل هذه الحاجة الى المهندسين المبدعين لمسها المجتمع حول هؤلاء  
الاستقرائيين ، فتوجه فريق من الطلاب لدراصة الهندسة ومحاولة البراعة فيها .  
لم تكن الهندسة مقصورة على تلبية الترف في العمارة والبنان ، بل امتدت  
آثارها لتلبي حاجات المجتمع الاندلسي الضرورية : من انتاج انواع الخضراوات والحبوب  
والاشجار التي استخدمت في الصناعة أيضا ، مثل صناعة الحرير . وما انتجه الأندلسيون  
في مجالات الري والزراعة ، ينقل محمد كرد علي شهادة " د . روزيه رئيس جامعة لسوزان  
بموسيرا سابقا حيث يقول : " طوقت بلاد الأندلس ، ورأيت آثارها الباقية من عهد العرب ،  
فأعجبت بها كل الاعجاب ، وما شهدت السدود القائمة الى اليوم في ولاية بلنسية . فان  
أهل هذه الولاية من الاسبان اليوم يعيشون بفضل هندسة مهندسي العرب لهذه السدود .  
ولم يتيسر لعدنية القرن العشرين أن تقيم أرقى ما أنشأه ابناء جنسكم في القرون الوسطى " ،  
( كعبد علي ، ظهير الأندلس وحاضرها ، ١٩٢٣ ، ص ٥١ ) .

### الفلك والنجوم :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة  
من السحر ، زاد ما زاد " ، وقال عليه السلام : " أخاف على أمتي بعدى ثلاثا : حيف الأئمة ،  
وايمان بالنجوم ، وتكذيب بالقدر " . وقال عمر : " تعلموا من النجوم ما تهتدون به من  
ظلمات البر والبحر ثم أسكوا " ، ( ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ، ١٩٢٣ ، ص ٢٨٩  
- ٢٩٠ ) .

لقد كان علم النجوم في بادئ أمره سحرا وشعوذة ، وادعاء بعلم الغيب الذي

بخالف ما تنص عليه العقيدة الإسلامية من أن الغيب لا يعلمه إلا الله ، ولذا نهى  
الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن تصل علاقة الناس بالنجوم إلى الإيمان بها ، وتكذيب  
القدر ، وجاء أمر ليدعو إلى الامتناع من ظلم النجوم ، إلا ما رآه مفيداً للمسلمين فسي  
حياتهم المملية .

مثل هذه الاتجاهات تركت آثارها على المجتمعات الإسلامية ، ونتيجة لتفاوت  
أفهام الناس ، فقد رأى فريق منهم أن عمل النجوم طلسمات وسحر ، لا يجوز التشجيع  
على تعلمه . وظهور مدعين في كل العصور ، عزز إيمان الناس وقناعتهم بعدم جدوى مثل  
هذا التجيم .

مع الزمن أخذت نظرة الناس تتبدل ، وأخذ المشتغلون بالنجوم يطورون علمهم ،  
وكما يقول طوطح : " لولا التجيم ما ظهر الفلك ، وأصل الطب خرافات ، كما أن أصل  
الكيمياء الشعوذة " ، ( خليل طوطح ، التهيئة عند العرب ، - ١٩ ، ص ١٣ ) . وسماه  
ابن خلدون " علم الهيئة " وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتجددة ،  
ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة  
بطرق هندسية ، كما يبرهن على أن مركز الأرض هماين لمركز فلك الشمس بوجود حركة الاقبال  
والإدبار ، وكما يقول بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود أفلاك صغيرة حاملة لها متحركة  
داخل فلكها الأعظم . . " ( ابن خلدون ، المقدمة ، ١٩٦٢ ، ص ٩٠٥ ) ، ثم يقول :  
" وهذه الهيئة صناعة شريفة ، وليست على ما يفهم من المشهور ، أنها تعطي صورة السماوات  
وترتيب الأفلاك والكواكب ، بل إنما تعطي أن هذه الصور والهيئة للأفلاك لزمت عن هذه  
الحركات " ، ( ابن خلدون ، المقدمة ، ١٩٦٢ ، ص ٩٠٥ ) .

وفي الأندلس عرف الناس علم الفلك والنجوم ، وانشأت المراصد من أجل تلك الغاية ،  
وألفت الكتب ، واخترت الآلات ، رغم أنه عاشر فيها أيضاً أولئك الذين كانوا يكسبون رزقهم ما  
يتنبأون به عن حظوظ الناس في الدنيا وعن مستقبل أيامهم . مثال ذلك ما نقل عن المعتد  
ابن عباد عندما دخل عليه هدوه ولم تصدق نبوة منجمه أبي بكر الخولاني ، فخطبه :

أرمدت أم بنجوك الرمد قد طاد خدا كل ما تعمس

( ابن بتمام ، الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، " تحقيق

لطفي عبد الهديح ، ١٩٢٥ ، ص ٥٦ ) .

أما صاعد التفليبي ، فيرى أن صناعة أحكام النجوم ، لم تزل نافعة بالأندلس  
 قديما وحديثا حتى عصره ( توفي ٤٦٢ هـ ) ، واشتهر جماعة من كل عصر بتقليد ها ، ( صاعد  
 التفليبي ، طبقات الأمم ، ١٩٦٧ ، ص ١١٠ ) . ويقول بالنشيا : ان نفرا من الأندلسيين  
 أقبل على دراسة الفلك ، ولكن هذه الدراسات كانت تجرى في دوائر ضيقة وفي معزل ومستر  
 عن الناس ، لأن الفقهاء وجمهرة المسلمين ، كانوا يحرمون تعاطيها ، ( بالنشيا ، تاريخ  
 الفكر الأندلسي ، مقدمة ، ١٩٥٥ ، ص ٨ ) . ولعل ما نقله صاعد من شعر لابن عبد ربه ،  
 يمثل هذا الفريق ، ان يخاطب أحد الفلكيين :

أبيت الا شذوذا عن جماعتنا      ولم يصب رأى من أرجى ولا اعتزلا  
 .....  
 زمت بهرام أوبيدخت مرزقنا      لا بل عطاره أوبرجيس أوزحلا  
 ( صاعد التفليبي ، طبقات الأمم ، ١٩٦٧ ، ص ٨٥ ) .

وما رمي به مطرف الأشبيلي من تهمة الزندقة ، لأنه اعتكف على علم الفلك ، ( المقرئ ،  
 نفح الطيب ، ج٤ ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ١٧٦ ) . ومع ذلك اشتهر بنفرا بأس  
 به من العلماء ، وقامت مراد في قرطبة وطلطلة ، ( حيد ربامات ، مجالي الاسلام ، ٢ ،  
 ص ١٢٥ ) .

من اشتهر بالفلك والتنجيم ، زيد الأسقف القرطبي وكان مختصا بالمستنصر ، ( المقرئ ،  
 نفح الطيب ، ج٤ ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ١٧٦ ) الذي سلك سياسة التسامح  
 تجاه المشتغلين بالعلوم ، وأباح لأهل الرياضة والفلك تعاطي فنونهم وتدريسها لجمهور  
 الناس ، ( بالنشيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ٤٤٨ ) ، بعد أن منع الناس  
 أن يعرفوا من هذا العلم " الا ما لا يهد منه لتحديد اتجاهات قبيلات الصلاة ، وتعيين مواقيت  
 الليل والنهار على مدار العام لتعرف أوقات الصلاة ، والاستيثاق من مواعيد الأهلة " ( بالنشيا ،  
 تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ٤٤٧ ) ( ١ ) .

( ١ ) نقلا عن ريبيرا .

واشتهر بالأندلس أيضا ابواسحاق ابراهيم بن يحيى النقاش المشهور بالزرقالي  
 و" كان واحد عصره في علم العدد والرصد ، وعلى الأزياج ، ولم تأت الأندلس بمثله من  
 حين فتحها المسلمون الى وقتنا هذا . . . . . وآخر أصداءه بقرطبة سنة ٤٨٠ هـ ، وكان  
 أكثر رصده قبل ذلك بمطليطة في أيام الحامون بن ذى النون " ، ( ابن الأبار ، التكملة ،  
 ج ١ ، ١٩٥٦ ، ص ١٣٩ ) . ومن مبتكراته في ميدان الفلك " أنه قد رفترة خسوف ( ١ )  
 الشمس وحدد مدتها ، وابتكر اسطرلابا حديثا حدد به البعد بين المجموعة الشمسية  
 والنجوم ، وكذلك البعد بين الأرض والقمر . وما يذكر أن الابحاث الحديثة بينت أن الفرق  
 ضئيل بين ما وصل اليه الزرقالي ، وبين ما وصل له العلم الحديث " ، ( شريف ، الفکر  
 الاسلامي ، ١٩٧٥ ، ص ١٠٧ ) .

ومنهم مسلمة المجرطي ، وأحمد بن الصفار الذي قعد في قرطبة لتعليم الهندسة  
 والنجوم ، ( بالنشيا ، تاريخ الفكر الأنديسي ، ١٩٥٥ ، ص ٤٥٠ ) . وصاعد الطيظلي ( ٢ ) ،  
 وجابر بن أفلاج من أشبيلية الذي اشتهر في النصف الاول من القرن الثاني عشر الميلادي ،  
 انتقد آراء بطليموس في كتابه " اصلاح المجسطي " ، وأثر كتابه في نظرية الكواكب ، ( الدوميلي ،  
 العلم عند العرب ، ١٩٦٢ ، ص ٣٨٣ ) و ( شريف ، منابع الفكر ، ١٩٧٥ ، ص ١١٣ ) .

### الدراسات الفلسفية

#### موقف المجتمع الأنديسي من الفلسفة :

لا يعرف بالضبط الوقت الذي دخلت فيه كتب الفلسفة الى الأنديس ، وإنما يذكر  
 عن عبدالله بن مسرة ، أنه كان تلميذا متحمسا لمذهب المعتزلة ، ولرجاحة عقله ، أخفى  
 ذلك في ذات نفسه ، وعند ما توفي ترك ابنه الشاب محمد المولود ( ١٦٩ هـ = ٧٨٥ م ) ،

- 
- ( ١ ) يقال : خسوف الشمس ، ولكنها وردت هكذا في المصدر .  
 ( ٢ ) صاعد الطيظلي ، أو التفليبي ، صاحب كتاب طبقات الامم .

بعد أن غرس في قلبه حب المذهب ، فنزح هذا به ، وقيل بلوغه الثلاثين الى منطقة جبال قرطبة ، وتفرغ هناك لتدريس وتعليم مذهب السري ، ( بالنشيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ ) و ( توماس آرنولد ، تراث الاسلام ، ١٩٧٢ ، ص ص ( ٣٨١ - ٣٨٢ ) . ويذكر أن عبدالرحمن الأوسط ( ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ = ٨٢٢ - ٨٥٢ م ) " بعث الى الشرق من يجلب له كل ما انتجت العرب وما ترجمت في الطب والتنجيم والفلسفة والرياضيات " ، ( بتول سعيد ، الأقلام ، ج ٣ ، ١٩٦٦ ، ص ٥٣ ) . ويقال : ان الفلسفة دخلت اسبانيا بعد القرن الثالث الهجري ، ان يعزى نقل بعض المخطوطات القديمة كرسائل اخوان الصفا الموجودة في أربها الى مسلمة بن أحمد المجريطي المتوفى ٣٩٨ هـ = ١٠٠٨ م ، ( سليم طه التكريتي ، الأقلام ، سنة ٣ ، ج ١ ، ١٩٦٦ ، ص ٧٢ ) . وأما صاعد التغلبي فيرى أن أول من جلب رسائل ( اخوان الصفا ) الى الأندلس هو الكرمانلي ( أبو الحكم عمرو بن عبدالرحمن بن أحمد بن علي الكرمانلي ) ، عندما رحل الى ديار المشرق ، وانتهى الى حران من بلاد الجزيرة ، وعني هناك بعلم الهندسة والطب ، ثم رجع الى الأندلس ، واحتوطن مدينة سرقسطة ، وتوفي فيها سنة ٤٥٨ هـ بعد أن بلسغ تسعين سنة ، ( صاعد التغلبي ، طبقات ، ١٩٦٧ ، ص ٩٢ ) .

بغض النظر عن الفترة التي دخلت فيها الفلسفة الأندلس ، ومن أدخلها ، فإن الأندلسيين عامة عبروا عن كرههم للمشتغلين بها ، ان رأوا فيها خطرا على الدين ، وظهرت تلك الكراهية من خلال الحملات التي شنّها الفقهاء ، وعبر عنها بعض الشعراء بمكسون الاتجاه العام لدى جمهور الناس ، ثم من خلال ما قام به الحكام من سجن ومصادرة أموال وحرق كتب الذين عرف عنهم تعاطي الفلسفة . ورغم ذلك لم تعدم الأندلس ظهور فلاسفة كبار كان لهم أثرهم ، أمثال : ابن رشد ، وابن باجة ، وابن طفيل وغيرهم .

يقول المقرئ : " كل العلوم لها عندهم ( ١ ) حظ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم ، فان لهما حظا عظيما عند خواصهم ، ولا يتظاهرون بها خوف العامة ، فانه كلما قيل : فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم ، أطلقت عليه العامة اسم زنديق ، وقيدت عليه أنفاسه ، فان زل في شبهة ، رجموه بالحجارة أو حرقوه . . . وكثيرا ما يأمر ملوكهم باحراق كتب هذا الشأن ،

( ١ ) عند هم : يعني الأندلسيين ، نستفيد من كلام سابق .

إذا وجدت " ، ( المقرئ ، نفع الطيب ، ج ٢ ، " تحقيق الرفاعي " ، ٢ ، ص ١٠٧ ) .  
ذلك بالطبع - لم يكن شأن كل ملوكهم - فلقد شهر عبد الرحمن الناصر وابند الحكيم  
بالتسامح ومحبة العلم ، وفي عهده عاد ابن مسرة إلى الأندلس بعد أن هرب حاجبا خوف  
وميه بالزندقة ، ( توأماس آرنولد ، تراث الإسلام ، ١٩٧٢ ، ص ص ٣٨١ - ٣٨٢ ) و ( أحمد  
بلافريج ، الأدب الأندلسي ، ١٩٤١ ، ص ٣٨ ) و ( ماجد فخري ، رسائل ابن باجة ، ص  
مقدمة ، ١٩٦٨ ، ص ١١ ) ، وجيل التلامذة الذي تعرض للاضطهاد يرجح أنه بعد وفاة  
الحكم المستنصر ، ( احسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي / عصر سيادة قرطبة ، ١٩٧٣ ،  
ص ٣٢ ) .

أمر التسامح مع الفلاسفة ، لم يدم طويلا ، فبعد موت الحكم حاول المنصور بن أبي  
عامر أن يتسامح مع الدرسات الفلسفية ، ولكنه لم يستطع الوقوف في وجه تيار رجال الفقه ( ١ ) ،  
الذين كانوا يعتبرون علوم الأقدمين من منطق وفلسفة وفلك " خطرة على عقول الشعب ، فتفتح  
المجال للشكوك وتوهن العقائد " ، ( خالد الصوفي ، عصر المنصور الأندلسي ، ٢ ، ص  
٦٧ ) . واستجابة لذلك قام المنصور بإحراق قسم كبير من هذه الكتب ، ما حوته مكتبة  
الحكم الشهيرة ، ودفن بعضها تحت الأتربة وطرحها في آبار القصر ، كما اضطهد  
المشتغلين بها ، منهم سعيد بن فتحون التجيبي ( أبو عثمان الحمار القرطبي ) الذي كان  
ذا حظ من علوم القدماء الفلاسفة ، ( المراكشي ، الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ، ص  
١٩٦٤ ، ص ص ٤٠ - ٤١ ) .

وجد الفلاسفة بعض فترات الراحة من الاضطهاد ، ولكن الحكام لم يكونوا يستطيعون  
الصمود طويلا أمام تيار الفقهاء ورجال الدين ، فبدأمرون بحبس من كان ذا حظ لديهم إلا أن  
المجال انفسح للحركات الفكرية ، وساد الأندلس كلها تسامح هظيم في عصر ملوك الطوائف

( ١ ) كان المنصور أول أمره بحاجة لتأييد أكبر القطاعات من الشعب لتنفيذ مخططاته  
في الاستيلاء على السلطة الشرعية التي كان يحتلها هشام المؤيد الصغير برعاية  
أمه صبح البشكنسية ، وربما لذلك الغرض استجاب لدعوة الفقهاء .

لا نشغال هو<sup>١</sup> بالنزاعات فيما بينهم ، والحروب مع الأعداء<sup>٢</sup> الخارجيين ، فتكلم الناس  
بطأرادوا ، ( بالنشيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ ) .

وعند ما دخل المرابطون إلى الأندلس ، وقضوا على ملك ملوك الطوائف عادات  
للغتها<sup>٣</sup> مكانتهم ، ولعل سبب ذلك ما لعبوه من دور في خلع ملوك الطوائف عند ما  
استصدر الأمير يوسف بن تاشفين من الفقهاء فتوى بعدم صلاحية ملوك الطوائف للحكم ،  
وضرورة عزلهم ، ( بالنشيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ١٨ ) . وكانت النتيجة  
المنطقية أن يدعم المرابطون نفوذ الفقهاء ، لاعتمادهم عليهم ، وما كان منهم إلا أن قرروا  
تقبيح علم الكلام عند أمير (١) المسلمين ، ولما دخلت كتب أبي حامد الفزالي - رحمه  
الله - المغرب أمر أمير المسلمين بإحراقها . وهذا يفسد دم واستئصال مال كل من وجد  
شي<sup>٤</sup> منها عنده ، ( المراكشي ، المعجب ، ١٩٦٣ ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ) .

ثم أصبحت الفلسفة معقولة في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، وغدا  
المدافعون عنها عرضة للاضطهاد ، فواجه ابن باجه وابن طفيل وابن رشد وأضرابهم  
الارهاب والسجن والتشريد ، ( سليم التكريتي ، الأقلام ، سنة ٣ ، ١٩٦٦ ، ص ٧٢ - ٧٣ ) .  
وعن هذه الكراهية عبر الشاعر محمد بن أحمد بن جبير بن محمد . . . الكتاني ( ٣٩ / ٥٤٠ -  
٦١٤ هـ ) في قصيدة طويلة منها :

|                             |                          |
|-----------------------------|--------------------------|
| لأشباع الفلاسفة اعتقادات    | يرون به عن الشرع انحلالا |
| أباحوا كل محظور حرام        | وردوه لأنفسهم حلالا      |
| وما انتسبوا إلى الاسلام إلا | لصون دماءهم أن لا تسالا  |
| فيأتون المناكر في نشاط      | ويأتون الصلاة وهم كسالى  |

( المراكشي ، الذيل والكلمة ، المجلد الخامس ، الجزء الثاني ، ١٩٦٥ ،  
ص ٦٦١ ) .

(١) الأمير : هو علي بن يوسف بن تاشفين .

وقد لاقى ابن حبيب القصرى الفيلسوف حتفه ، فكان فيمن ضربت عنقه على يد  
مأمون بنى عبدالمؤمن ، ( ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ١٩٥٣ ، ص ٢٩٦ ) ( المتوفى  
٥٣٠ هـ ) . ومع ذلك لم تتوقف الدراسات الفلسفية ، فكان علم الدين أبو محمد  
المرسى اللورى ( ٥٧٥ - ٦٦١ هـ ) قد " برع في المصيرية وفي علم الكلام والفلسفة ، وكان  
يقرى ذلك ويحققه " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، " تحقيق الرفاعي " ، ١ ، ص ١٢٦ ) .  
نستطيع أن نقول من خلال ما تقدم : ان تلامذة خاصين اتجهوا الى دراسة  
الفلسفة ، استجابة لنزوعات عقلية عندهم ، رغم محاربة السلطات الحاكمة في أحيان كثيرة  
لهؤلاء التلامذة ، ورغم تشنيعات العامة .

### الفنّاء والموسيقى :

كان للمدرسة الأندلسية طريقتها في الفنّاء ، وجهودها في اختراع الآلات التي  
تناسب مبتكرات الأندلسيين من الألحان . وأكثر من باحث تعرض لداسة جوانب من  
الحركة الفنّائية هناك : دواعيها والتشجيع عليها ، والمشتغلين بها والألحان . . وما  
الى ذلك . ودور الداسة هنا أن تكشف عن الجانب التعليمي في هذه الحركة وارتباط  
الموسيقى والفنّاء بالحياة الأندلسية .

ان طبيعة الأندلس الجميلة التي تغنى الشعراء الأندلسي بجمالها ، وتوفر  
الجوارى التي غصت بهن قصور الحكام والطبقات الاستقرائية ، ثم الترف المادى الذى  
تمثل في قصور الأندلس الفخمة ، وفي بركها ومناها ومتنزهاتها ، وقدوم ( زرياب ، من  
المشرق ، كل ذلك هياً بيئة صالحة للموسيقى والفنّاء ، فانتشرت فرق المغنين والعازفين ،  
حتى أصبح الفنّاء فناً شعبياً ، يحمله الأندلسيون معهم في رحلاتهم وفي مواسمهم وفي  
شوارعهم ودكاكينهم مدّ نهم وقراهم .

يرى ابن خلدون أن صناعة الفنّاء " آخر ما يحصل في العمران من الصنائع  
لأنها كمالية في غير وظيفة من الوظائف ، الا وظيفة الفراغ والفرح " ، ( ابن خلدون ،  
المقدمة ، ١٩٦٧ ، ص ٧٦٦ - ٧٦٧ ) . ورغم أن هذا القول لا يقبل على الإطلاق ،



فان الأندلس بلغت قمة الترف ، فلزمت أهلها هذه الصناعة ، وكان عطاؤهم في الموسيقى والفن أعظم مما تسمح به المواقف الدينية ، وانتشاره كان استجابة لحاجة عامة للسدى المجتمع الأندلسي ، رغم تشدد بعض الفقهاء ازاء الموسيقى والفن ، حتى ان القضاة المتشددين كانوا يأمرؤن بكسر آلات الموسيقى التي وجدت مع المغنين في الطرقات ، (بالنشا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ٥٥) . بينما يرى احسان عباس صعوبة اثبات أن رجال الدين في الأندلس كانوا يكرهون الفن أو يشددون النكير على أهله ، ( احسان عباس ، تاريخ الادب الأندلسي / عصر سيادة قرطبة ، ١٩٧٣ ، ص ص ٥٧ - ٥٨ ) . ولعله يعتمد في هذا الرأي على ما نقل عن القاضي ابي عبدالله محمد بن عيسى من بني يحيى بن يحيى الليثي ، عندما كان خارجا الى حضور جنازة بمقابر قرطش ، فعزم عليه في الليل رجل يواخيه من بني جابر ، فأحضر له طعاما وأمر جارية له بالفن ، فغنت :

|                              |                             |
|------------------------------|-----------------------------|
| طابت بطيب لثائك الا قد اداح  | وزها بحمرة خدك التفاح       |
| واذا الربيع تنسجت أرواحه     | طابت بطيب نسيمك الا قد اداح |
| واذا الحنادس ألهمت ظلما وهسا | فضيا وجهك في الدجى صباح     |

فكتبها القاضي في ظهر يده ، ورويت على يده وهو يكبر للصلاة ، ( ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، قسم ٢ ، ص ٤٧ ) .

ونقل ابن حزم عن ابي عمرو أحمد بن عبد ربه أنه مر بأحد قصور قرطبة لعمس الروساء ، فسمع منه غناء أذهب له ، فوقف يستمع اليه ، فرشبا من أعالي القصر ، فطلب رقعة وكتب الى صاحب القصر :

|                             |                                |
|-----------------------------|--------------------------------|
| يا من يذن بصوت الطائر الفرد | ما كنت أحسب هذا البخل من أحد   |
| لو أن اسماع أهل الأرض قاطبة | أصفت الى الصوت لم ينقص ولم يزد |
| فلا تذن على سمعي ومن يسه    | صوتا يجول مجال الروح في الجسد  |

( ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، قسم ٢ ، ص ٥١ ) .

ومثل ذلك ما نقل عن محمد بن أحمد بن جبير بن محمد الكثاني (٥٣٩/٥٤٠ هـ - ٦١٤ هـ)، وكان من المحدثين ، وحج ثلاث مرات ، أنه قال في السماع من الصوت الحسن :

زيادة حسن الصوت في الخلق زينة  
ومن لم يحركه السماع بطيية  
تصيح الى الحادي الجمال لواغيا  
ولله في الأرواح عند ارتياحها  
وكل امرئ غاب السماع فأنسه  
وأهل الحجاز أهل الحجاز وكلهم

وهي طويلة .

( الأوسي المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم الثاني ،

١٩٦٥ ، ص ص ١٦٥ - ١٦٦ ) .

#### المعلمون والتلاميذ في الموسيقى والغناء :

مرخبر ( زرياب ) الذي رحل من المشرق الى الأندلس زمن الحكم بن هشام ( ١٨٠ - ٢٠٦ هـ ) ووصلها زمن ابنه عبدالرحمن الأوسط ( ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ ) ، فوجد أكراما له واحتفا به ، وأصبحت له مكانة ثابتة وخطيرة لدى الأمراء ، وترك آثاره العميقة على الغناء والموسيقى في الأندلس ، فاجتهد في تكوين مد رسته الفنية ، مستمينا في ذلك بأبنائه مناته ، إذ كان له من ذكور الولد ثمانية . . . . ومن الاناث ثنتان عليا وحمدونة ، وكلهم غنى وما من الصناعة واختلفت بهم الطبقة ، كما كانت له جارية اسمها متعة أدبها وعلمها أحسن أغانيه ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج٤ ، " تحقيق محي الدين " ، ١٩٤٩ ، ص ص ١٢٥ - ١٢٢ ) . وكان من تلاميذه جارية تسمى " مصابيح " . وفرض زرياب وجوده من خلال

ما أبدته من فن أصيل ، رغم سخرية بعض الناس منه ، أمثال الشاعر الغزال ، وابن عبد ربه ،  
(بالنشيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٩٥٥ ، ص ٥٤) ، وكلاهما كانت له مكانته الخطيرة  
لدى الأمراء الأندلسيين الذين عاصروهم زرياب ، ولبعد المكانة التي بلغها زرياب لدى  
الأمير عبد الرحمن أنه " أنشأ له مدرسة ليعلّم فيها العالم المتحضر عمليا ونظريا فن  
الفناء ، واستعمال أدوات الموسيقى " ، ( زيفريد هونكه ، شمس العرب ، ؟ ، ص ص  
٤٩١ - ٤٩٢ ) .

من برز في الألحان والفناء أسلم بن عبد العزيز ، وكان أدبيا شاعرا مع حظ من  
الفقه ، وله تأليف في طرائق غناء زرياب وأخباره ، ( ابن خزم ، طوق الحمامة ، ؟ ، ص ١٨٦ ) .  
ومنهم ابن باجة الفيلسوف ، وكان أستاذا في الألحان تخرج على يده تلامذة مبدعون في علم  
الموسيقى منهم ابن الحمامة الغرناطي ( محمد ابن أبي عامر ) واسحق بن شمعون اليهودي ،  
( ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ١٩٥٣ ، ص ١٢٧ ) و ( آل طعمة ، موشحات ابن يقسي ،  
١٩٧٩ ، ص ٩٨ ) . واشتهر أبو عامر محمد بن الحمامة في أنه كان يعمد للشعراء  
فيقطع العود بيده ، ثم يصنع منه عودا للفناء ، وينظم الشعر ويلحنه ، ( ابن سعيد ، المغرب ،  
ج ٢ ، ١٩٥٣ ، ص ١٢٠ ) . ويذكر المقرئ أبا الحسين بن علي بن الحمامة من أهل غرناطة  
بأنه " من برع في الألحان وعلمها " ، ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٥ ، " تحقيق محي الدين " ،  
١٩٤٩ ، ص ٢٧١ ) . ويبدو أنه من أسرة أبي عامر بن الحمامة السابق ذكره .  
ومن الفلاسفة الأندلسيين الذين اشتهروا بالموسيقى ، ابن رشد الذي وضع كتبها  
تعليمية ، كانت تلبى - فيما يظهر - حاجة المتعلمين من خلال ما شرحه من طرائق الموسيقى  
والألحان ، وكانت ذاتة الاستعمال ( مع كتب ابن سينا ) في كل مدارس أوروبا ، ( شريف ،  
الفكر الاسلامي ، ١٩٧٥ ، ص ١٦١ ) .

من طرق الأندلسيين في تعليم الموسيقى :

وضع زرياب الموسيقى الأندلسي أصولا وطرائق لتلاميذه ، يسهل عليهم من خلالها  
تعلم الموسيقى ، كما كان يخضعهم لما يمكن ان نسميه " فحص القدرات " :

كان اذا تناول الالقاء على تلميذ يعلمه ، أسره بالقعود على الوسائد المدور المعروف بالمسورة ، وأن يشد صوته جدا ، اذا كان قسوى الصوت ، ولا يجد متسعا في الجوف عند الخروج على الغم ، فاذا كان ألحصر الاضراس لا يقدر أن يفتح فاه ، أو كانت عارته زم أسنانه عند النطق ، راضه بأن يدخل في فمه قطعة خشب مرضها ثلاث أصابع يبيتها في فمه ليالي حتى ينفجر فكاه ، وكان اذا أراد أن يختبر المطبوع الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع أسره أن يصيح بأقوى صوته يا حجام ، أو يصيح آه ، ويمد بها صوته ، فان سمع صوته بهما صافيا ندا قويا موهيا ، لا يعثر به غنة ولا حبسة ولا ضيق نفس ، عرف أنه سوف ينجب ، وأشار بتعليمه ، وان وجده خلاف ذلك أبعد .

( المقرئ ، نفع الطبيب ، ج ٤ ، تحقيق محي الدين ، ١٩٤٩ ، ص ١٢٥ ) و ( ستانلي بول ، قصة العرب في اسبانيا ، ١٩٥٢ ، ص ٧٠ ) .

لقد أقبل الناس على تعلم الفناء والموسيقى ، في الاندلس ، فعند ما تحدث الشقندى عن فضائل أهل الأندلس ، قال عن أشبيلية : " وقد سمعت ما في هذا البلد من أصناف آراء والطرب ( كالخيال والكريج والعود والروضة واليهاب والقانون والمؤمن والكثيرة والفنار والزلاقي والشجرة والنورة ، وهما مزماران : الواحد غليظ الصوت والاخر رقيقه ، والبوق ، وان كان جميع هذا موجودا في غيرها من بلاد الأندلس فانه فيها أكثر وأوجد " ، ( ابن هزم ، فضائل الأندلس وأهلها ، ١٩٦٨ ، ص ٥٢ ) . ويقول ابن الخطيب عن غرناطة : " والخصساء بعد ينتهم فاش حتى في الدكاكين التي تجمع صنائعها كثيرا من الأهداث " ، ( لسان الدين الاطاطة ، مجلد ٤ ، ١٩٧٧ ، ص ١٤٣ ، واللحمة البدرية ، ١٩١٨ ، ص ٢٨ ) .

واذا تذكرنا أن الأندلس منبع الموشحات والأزجال ، وان شعراءها أول من ابتكروا هذا اللون من الشعر ، ليلاموا به نقرات الدفوف وضربات الطبول وحركات الأيدي في التصديق والا رجل في الرقص ، تبين لنا مدى ميل النفس الأندلسية الى الفناء والطرب ، وقدرة شعرائها ومغنيها في التعبير عن هذا الميل .

## الخلاصة

يبدو من خلال هذا الفصل أن الدراسات الدينية واللغوية والأدبية استأثرت باهتمام الأندلسيين أكثر من غيرها . وكان ذلك نتيجة طبيعية في مجتمع دستور القرآن الكريم ، الذي رسم للمسلم أوجه الممارسات السلوكية المختلفة في حياته ، وكانت عنايته المسلمون بالقرآن عناية فائقة ، لمعرفة أحكامه في مجالات العقيدة والمعاملات وشؤون الحياة الأخرى . فاستلزم ذلك دراسة تفاسيره المختلفة ، من خلال الحديث الشريف ومن خلال آراء الأئمة والفقهاء ، كما استلزم معرفة دقيقة بأسرار اللفظة التي نزل بها القرآن . ومن أجل ذلك غلبت الدراسات اللغوية والأدبية على غيرها .

إن انصراف المجتمعات الإسلامية إلى أنواع الدراسات السابقة لم يمنعها من تدريس علوم أخرى مثل الهندسة والحساب والفلك والطب والفلسفة ، لعلاقتها الوثيقة بحياتهم ، فقام معلمون على تدريس هذه المواد ، ولكن تدريسها ظل في نطاق أضيق مما نالته الدراسات الدينية واللغوية .

وإذا تجاوزنا التعليم التقليدي ، فإن الأندلسيين توجهوا إلى ميادين تربوية أخرى ، يتعلمون منها ويمارسون فيها فنونا ومهن يلبون بها حاجة مجتمعهم الأندلسي . فلا غرض الحركة التعليمية قامت مهنة تجليد الكتب ، ويبدو للدارس أن معلمين قاموا على شؤونه هذه المهنة والفوا فيها الكتب ، ليستطيع الناس تعلمها بأنفسهم ، عما ما يتم في تعلمها من خلال الممارسة ، وكتاب " التسيير في صناعة التسفير " الذي أشير إليه أثناء الحديث عن الكتب والمكتبات ، وما تضمنه من شرح لاساليب التجليد يعطي انطباعا عن صغته التعليمية .

والى جانب مهنة الطب قامت الصيدلة ، فانصرف نفر من الأندلسيين لدراسة الأعشاب الموجودة في الأندلس ، وأحيانا وجد من يعنى بهذه الدراسات خارج بلد هم الأندلس ، وتلبية لحاجات هذه المهنة ، عرفت القابلات في الأندلس والمرضات اللواتي كن يساعدن الأطباء في عملهم ، أو يمارسن هن أنفسهن أعمال التمريض .

وكان الأندلسي الذي لم يسعفه الحظ في التعليم يحرص على أن يتميز بمهنته  
" كما قال المقرئ في نفع الطيب " ، فالحضارة الأندلسية بها فيها من مظاهر الازدهار  
والترف تطلبت فنونا صناعية مثل النحت والتصوير والنقوش والحفر على الخشب والمعدن  
والعاج ، كانت حلية للمساجد والقصور والبرك والمتنزهات . الخ ، حتى أصبح  
الأندلسيون اساتذة في هذه الفنون .  
وفي قرطبة أنشأ زرياب معاهد للتجميل ، وكانت له طرقه وأساليبه في قص الشعر  
والأظافر وتزيين الحواجب . . . . .  
هكذا اهتم الأندلسيون بالعلوم النظرية والمهن العملية التي تنفع من مواد  
اتجاهات مهنية في التربية الأندلسية .

## الفصل التاسع

### تعليق ونقد

#### مقدمة

يتناول هذا التعليق أهم الظواهر التربوية البارزة في التراث الأندلسي التربوي ، والجوانب السلبية التي لمسها الأندلسيون أنفسهم ، سواء أكان ذلك في مواد التعليم أو في أساليب التعليم ، فكانت لهم مواقفهم منها . وفي تلك الظواهر والمواقف يجمع الدارسون بعض الروى المستقبلية التي احتضنها التراث . ولذا سيدور الحديث في هذا الفصل ، حول مكانة المعلم في التربية الأندلسية ، ومفهوم التربية المستديرة ، وظواهر أخرى ، ثم حول سلبيات في التربية الأندلسية ، وأخيرا حول التراث والآفاق المستقبلية فيه .

#### المعلم محور العملية التعليمية

يتضح من الدراسة أن المعلم في التربية الإسلامية هو الأهم من سائر عناصر العملية التربوية ؛ إذ لم تكن مؤسسات التعليم ( المدارس ) أو المناهج ما يهتم به الطلبة ، وإنما كانوا يرحلون إلى المعلم أينما كان . ولقد أعطت الظروف نفسها آنذاك ، والتي مرت بها المجتمعات الإسلامية هذا الوزن للمعلم ، فالمعلم هو الذي يمتلك كتاب الدراسة ، وخاصة في المراحل التي تلت مرحلة " الكتاب " ، ذلك الكتاب الذي حصل عليه من خلال رحلته المباشرة ، وتلقيه الكتاب عن مؤلفه أو عن تلاميذه ، أو من خلال الذين رحلوا قبله ، وعادوا بالكتاب من صدره نسخا أو رواية . فعندما يرحل أندلسي إلى العراق مثلا ، ويحضر معه كتاب سيوييه في النحو يكون قد درس وتعلمه ، وتدرب على حل مشاكله ، فأصبح مشهورا بروايته وقراءته وتدريسه ، مما يشد أنظار الطلاب إليه ، فسي زمن لم تكن الطباعة معروفة لتسد حاجات الطلاب إلى الكتب ، وقل ذلك في جميع

الأساتذة والكتب ، وعن طريق هذه اللقاءات تتسع حلقات المتعلمين ، فتشمل الأجيال اللاحقة . كل جيل ينقل من سلفه الى خلفه ما تعلمه وما لقنه . ثم ان هناك حفاظ الحديث الذين كانوا يروون من ذاكرتهم متن الاحاديث وأسانيدها .

واذا كانت الظروف الحضارية السائدة في ذلك الزمن ، هي التي أعطت المعلم هذا الوزن في العملية التعليمية ، فهل التطور المعاصر ، وعصر التكنولوجيا المتقدمة ، واختراع وسائل تعليمية ، وابتكار أساليب جديدة ، قلل من أهمية المعلم ؟

لدى الحديث عن التعليم في هذه الأيام ، تبرز شكوى من نوعية التعليم ، ويتجه تفكير المربين الى إعادة النظر في كل شيء ، في البنى التعليمية ، في المناهج ، في الوسائل التعليمية ، في الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تحتضن العملية التربوية وفي برامج تدريب المعلمين قبل الخدمة وأثناءها ، ورغم ظهور بعض الاتجاهات التي تحاول التقليل من دور المعلم ، بسبب قيام التكنولوجيا بمهام وأدوار يقوم بها المعلم ، وأغني بها الآلات المبرمجة ، والاذاعة والتلفزيون والأشرطة ، التي ساعدت كثيرا على التفكيك بالتعلم الذاتي واعتماده اسلحا في الوصول الى المعرفة ، رغم ذلك ، فانها لا تلغي دور المعلم ، في رأى آخرين ، لأسباب منها : التكلفة العالية التي لا يستطيع كل الطلاب معها اقتناء مثل هذه الآلات المعلمة ، وعدم فعالية مثل هذه الآلات والأجهزة ، وعدم كفاءتها للقيام بكل المهام التعليمية لجميع المراحل . ثم يبرز أولا وأخيرا دور المعلم التربوي الذي يقوم به من خلال التفاعل اليومي الحي والمباشر مع الطلاب ، والذي من خلاله يكتسب الطلاب الاتجاهات الاجتماعية والعادات والقيم المرغوب فيها . وعلى العكس من ذلك ، فان اتجاهات مفارقة تزداد أهمية المعلم ، ان بالإضافة الى الاعمال التقليدية التي يقوم بها في غرفة الصف ، أصبحت الحاجة اليه أكثر إلحاحا ، لاعتماد البرامج لهذه الآلات ، والتعامل معها .

ان دور المعلم يتزايد أهمية ، بتعاظم الدور الذي يطلب منه أن يقوم به ، سواء أكان بمنزلة عن التكنولوجيا في التعليم أو بصاحبها . وهناك احساس جماهيري عميق وأصيل يتجاوز كل المستحدثات في مجال التربية ، ليصل الى المعلم مباشرة ويحمله مسؤولية هذا التدني في نوعية التعليم . ودليل ذلك أن أولياء الأمور والمسؤولين عن المؤسسات



التربوية أول ما يتوجهون بالعلوم الى المعلم ، وينسون عوامل أخرى متشابكة تساهم في ذلك التدني لنوعية التعليم . وليس ذلك الا اعترافا بالدور الأهم الذي يتوقع من المعلم أن يقوم به ، وكأنهم يقولون : أى تغيير أو تطوير في المجال التربوي لا يقود الى تحقيق أهداف المجتمع من التعليم ، اذا لم تعزز مكانة المعلم ، لأنه قائد التغيير وسؤول عنه ، ولعل من المناسب أن تشير الدراسة هنا ما يلي :

ما طبيعة الدور الذي يتحقق على المعلم القيام به في هذه المرحلة من مسيرته التربوية ؟ وكيف نساعد المعلم ليقوم بهذا الدور ؟

### استمرارية التعليم

لنلاحظ في عرض فصول الدراسة ، أن التعليم لم يكن رسميا ، بمعنى أن السلطة السياسية خططت له وأشرفت عليه ، أو أنها اعتبرت نفسها مسؤولا عنه وعن تطويره — من خلال أجهزة إدارية وتنفيذية عينت لهذا الغرض ، كما أنها لم تخصص ميزانية خاصة للتعليم ، ولم تمن السلطة بشكل مباشر بالمعلم والمتعلم وسائر عناصر العملية التربوية ، بل كان التعليم واجبا على الجميع قبل أن يكون حقا على الدولة للجميع ، فالقرآن الكريم يحث على العلم ، والرسول عليه الصلاة والسلام يحث على العلم ، ويعتبره فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولذا اعتبر الفرد المسلم أن التعليم واجب ديني أولا ، ينبع من عقيدته ، ولا تفرضه عليه سلطة رسمية ، وإنما واجبه أن يسعى اليه بشتى الوسائل والسبل . وانطلاقا من هذا الفهم للتعليم ، كان الآباء حريصين على تعليم أبنائهم ، وكان البالغون حريصين على طلب العلم لأنفسهم بأنفسهم . وشمل هذا الطلب للمعلم لم يكن مرتبطا بمن يحدد ، بل كان تقدير الأب لقدرة ابنه على التعلم هو الذي يحدد بداية التحاقه بالتعليم . ولأن التعليم لم تكن له مراحل ذات حدود صارمة ، وشهادات رسمية تحدد نهاية هذه المراحل ، كما يحدث في العصر الحاضر ، كان يتاح للطلاب المتعلمين أن يتقدموا حسب قدراتهم وحسب اهتماماتهم ، ولأنه لم تكن هناك أنظمة وتعليمات رسمية تتناول قبول الطلاب وتنقلاتهم ، وتحدد عدد السنوات التي يسمح للطلاب البقاء خلالها في المدرسة ، كان

بامكان المتعلمين ما رسة الحرية في الحضور الى مكان التعليم . وفي الانتقال من مكان الى آخر ، وفي ملازمة التعليم مدة يقدر المتعلم نفسه كفايتها للتعلم ، ولأن المعلم لم يكن موظفا رسميا ، يتقيد بأنظمة ترسمها السلطة الرسمية من حيث مكان التعليم ومرحلة التعليم ، كانت الفرص متاحة للمتعلم أن يختار المعلم الذي يرى نفعه ، بخاصة وأن المعلمين كانوا يقعدون في المساجد - بيوت الله - للتعليم ، وتضم حلقاتهم ومجالسهم الصريدين من طلابهم . من أجل ذلك أمكن الاستنتاج أن المعلم كان محورا هاما في العملية التعليمية ، يقصد الطالب اذا عرف مكانته العلمية ، أينما كان ، ويسافر اليه مهما بعد محل اقامته ، وليس هناك مجال لأن يفرض عليه معلم بعينه أو مدة رسة بعينها . والذي كان يمنح المعلم الأهمية والكفاءة ليس تعيين السلطة له في المؤسسات الحكومية ، وإنما اختبار الطلاب له من خلال الممارسة ، والذي يشكل فيما بعد المكانة الاجتماعية للمعلم ، فيصبح مشهورا ومقصودا .

ولأن الأندلس لم تعرف المد رسة الرسمية التي يتخرج الطالب منها بعد عدد من السنوات ، ظل التعليم امتدادا بطول حياة الفرد المتعلم ، فالتعليم مدى الحياة ليس من جديدا ، رغم أنه في العصر الحاضر يعتبر من التجديدات التربوية ، مع ادراك أن المنطلقات المعاصرة في الدعوة الى التعليم مدى الحياة نابعة من التغيرات الاجتماعية السريعة التي تغزو المجتمعات المعاصرة ، والتي تتطلب انتقالا سريعا من المتعلمين للتكيف مع المهام المتجددة والتي تفرضها مطالب التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، من خلال مهارات جديدة واتجاهات جديدة أحيانا ، بينما كان استمرار التعليم في تراثنا تحقيقا للتقليد العقلاني ، واستمناحا بالمعرفة في أغلب الأحيان ، والاما الجدوى الاقتصادية من كهل جاوز التسعين يقعد أمام المعلم ليزيد من علمه ؟ كما أن السلطات السياسية لم تكن مسؤولة عن التعليم وإن أثرت عليه أحيانا ، فتسعى الى ربطه بمطالب التنمية ، يضاف الى ذلك تلك الدوافع التي حركتها فلسفة التربية والتي ترى أن الملائكة تبسط أجنحتها لطالب العلم حتى يعود من طلبه ، وأن من مات في طلب العلم فهو شهيد .

ومن التقنيات الجديدة في التربية ما يسمى " التعليم بالمراسلة " أو التعليم عن بعد " ، والذي كان تعبيرا عن شمول النظم التربوية الحديثة بالتقصير عن استيفاء

الاعداد المتزايدة على طلب التعليم ، ثم أدى ذلك الى ظهور فكرة " الجامعات المفتوحة " ، عندما وجد أن المواد التعليمية وحدها قد تكون قاصرة بدون المعلم ، ففتحت مثل هذه الجامعات مراكز لها يلتقي من خلالها الاساتذة بالطلاب لحل ما يجابههم من مشاكل اثناء التعامل مع المواد التعليمية المختلفة ، سواء أكانت كتباً أو أشرطة اذاعية وتلفزيونية ، ومثل هذه الاتجاهات تؤكد مجدداً على أن المعلم لا يسد أن يحتل مكانته في أى تفكير لتغيير البنى والأنظمة والوسائل التربوية .

قريباً من هذه الصورة السابقة ، كان معروفاً في نظام التعليم الأندلسي ، رغم اختلاف المنطلقات والغايات لدى المعلم والمتعلم ، كان المعلم ينتقل في المدن الأندلسية ، وربما في غيرها من مدن المغرب العربي أو المشرق العربي ، ولعله أن طلاباً قد يحتاجون تخصصه فيها . وقد يجني من وراء ذلك ربحاً مادياً ، أو أنه كان يفعل ذلك احتساباً لله ، وحباً بالمعلم . ولقد تمثل هذا النشاط في الأندلس في اتجاهين : اتجاه الطلبة الراحلين الى المدن الاسلامية المختلفة : مكة ، بغداد ، صنعاء ، القاهرة . الخ ، وفيها يجدون بغيتهم لدى المعلمين المنتشرين في هذه المدن ، واتجاه المعلمين الذين يرحلون بعلمهم فيقصدون الطلاب في أماكن اقامتهم .

### ظواهر سلبية في التربية الأندلسية

لقد شعر بعض الأندلسيين أن التعليم بدأ يسلك مساراً لا تؤدى به الى الاستمرارية والنماء ، وإنما تقوده الى الجمود والتكرار العمل الذى يخفق الا بسداد والابتكار ، ويحافظ على النمطية الثابتة التي تتكرر جيلاً بعد جيل دون أن تؤثر فيها أحداث العصر الذى تعيشه ، ولو أن العرب المسلمين استمعوا لمثل تلك الدعوات ، لقللوا من الجمود في أساليبهم التربوية وفي طرق التعليم .

ففي الفقه الذى كان يستعين به المسلم على التكيف مع الأحداث المتجددة في حياته العامة والخاصة ، وصلت الدراسات فيه الى حدود المفكرين معه يشكون في جدواها ، ويرون أن ما يكلف الطالب به من جهود في استيعاب هذه المذاهب المختلفة

تستغرق الكثير من عمره ، وهو يتلقن نصوصا وشروحات وتعليقات على الشروحات ، ثم شرحا للتعليقات ، تتراكم من جيل الى جيل ، حتى تضيق معها الغاية التي كانت دراسة الفقه من أجلها .

والذى أضر بالناس - كما يقول ابن خلدون - في تحصيل العلم وتحقيق اهدافه كثرة التأليف ، واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ، ثم مطالبة المعلم والتلميذ بحفظها ، وقد لا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة ، حتى لو تفرغ لها ، ويضرب مثلا لذلك بالكتب المدونة في الفقه المالكي ، وما كتب عليها من الشروحات الفقهية ، وهي كلها متكررة والمعنى واحد ، والمتعلم مطالب باستحضارها جميعا وتمييز ما بينها ، والعمر ينقضي في واحد منها . والبديل لدى ابن خلدون ، أن يقتصر المعلمون بالتعليم على المسائل المذهبية فقط ، حتى يصبح التعليم سهلا ، ومأخذه قريبا ، ولكن العادات المستحكمة بالناس ، والتي يمارسونها في أحيان كثيرة بدون تفكير ، وانما بفعل سلطان الماضي وقوة استمراريتها ، تلك العادات أصبحت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها أو تحويلها ، وصارت داء جاثما على صدور الناس .

تلك الشروح والتعليقات ليست الا آراء افراد فكروا بحوادث دهرهم ومجربيات حياتهم اليومية ، فصدرت عنهم تلك الآراء تفسيرات وتعليلا وملازمة لما في القرآن الكريم والسنن الشريفة من مبادئ وتشريعات مقدسة لدى المجتمع المسلم ، ومن أجل حفظ تلك الآراء وترديد ها في المناسبات كان الطالب يقضي مدة طويلة في ملازمة استاذة ، تقمده عن أن يعيش مجربيات عصره وأحداثه ، وتسجنه في صفحات تلك الكتب ، يستظهر ويستنطق هذه النصوص ، التي أصبحت جامدة لأنها ابتعدت عن الحياة في أحيان كثيرة .

لقد كان الطالب أحيانا يقضي ثلاثين عاما يقرأ كتابا في الحديث على أحد الشيوخ ! أية مادة دراسية تحتاج مثل هذه المدة ؟ ماذا كان يفعل مثل هذا الطالب ؟ هل كان يستظهر الحديث ، وهل استغرق منه هذا الحفظ مدة ثلاثين عاما ونيفا ؟ أى عذر تلتص لمثل هذا الدارس ؟ هل نقول : ان صلته باستاذة وصحبته له هذه المدة ، كانت حرصا منه على الامانة في نقل الحديث وتحقيق اسانيده ، أم أن لقاءاته كانت على فترات متقطعة على مدى ثلاثين عاما !

وفي الأدب والنحو ، وجد من يلوم أولئك الدارسين الذين مثلوا دور البيضا ، فلم يكن لهم الا تردد أقوال السابقين ، وكأن الناقدين كانوا يدعونهم الى الابداع والتجديد وأن يعيش الناس عصرهم ، ويتفاعلوا مع أحداثه ، ويعطوا من خلال هذا التفاعل .

لقد رأى الأندلسيون أنفسهم أن المعلمين أمّلوا المتعلمين لكثرة ما كرروا عليهم من المعاني التي شرحت من قبل ، ولكثرة ما أعادوا على أسماعهم من القول ، ومن أجل ذلك قام بعض علمائهم بمحاولة لتبسيط قواعد النحو وتسهيل تعلمها على المبتدئ ، بحيث يستغنى عن الكثير من التفصيلات التي اصطنعها النحويون ولم تكن من علم النحو أصلاً ، ويتجه الى تعلم ما يفيد في الحياة العملية ، وتلك دعوة قديمة حديثة تنتظر الجمهور الجادة الباحثة عن سبيل لتيسير فهم النحو الذي أصبح عبثاً ثقيلاً على الطلاب .

أما في مجال الشعر والأدب ، فيرى الأندلسيون أن الاسماع محت " يا دارمية بالعليا " فالسند " ، وملت الطباع " لخولة أطلال ببرقة شهيد " ، ومحت " قفا نيك " في يد المتعلمين ، وكثير الوقوف على أشعار المشرق من قبل الأندلسيين ، حتى عافت النفوس الميل اليها .

مبكراً ، انتبه الدارسون العرب الى عيب في التربية العربية الاسلامية ، هو التكرار القاتل لأقوال الأقدمين ، والتقدم غير المبرر لما تركوه ، في الوقت الذي يحتم فيه التطور ، وجريان الزمن أن تضيف الى ما تركوه لنا ، مما يهبه لنا تيار الحياة الزاخر بكل جديد ، وتلك الأقوال - لا شك - دعوة للمعاصرين كي يبحثوا عن معايير جديدة تختار على اساسها النصوص النثرية والشعرية التي نقدّمها لطلابنا ، ومن خلال منظور عصري لسدور التراث في تربية الأجيال .

لم تكن المواد الدراسية الجانب الوحيد الذي تناوله الناقدون في التربية الأندلسية ، من جوانب تقصير المعلمين ، بل تناولوا ما رسات غير تربوية ، تسربت الى بعض المعلمين فتحوّلت بهم عن رسالتهم ، وأخضعتهم لنوع من الشكلية القائلة التي تسي الى المعلم والمتعلم في آن واحد .

لقد رأوا أن بعض المعلمين المتأخرين فقدوا الاهتمام بمهنتهم ، فتساهلوا في الأخذ والعطاء ، ولم يكونوا يحفظون ما يتحدثون به الى طلابهم ، واعتمدوا على أصول كتب

لا يعرفون عنها شيئاً ، وكانوا لا يعطون للدروس حقها ، فيتشاغلون بما يلزمهم أو ينامون ، فلا يسمعون ما يتحدث به طلابهم أو ما يقرأونه عليهم من كتب ، بل وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك ، فصار يروى عن سلسلة من سند الرواة لا وجود لاسمائهم .

لقد استفاد بعض المعلمين رغبة الناس في العلم وتعطشهم إليه ، فزيفوا على الناس ولم يخلصوا في علمهم ، وساعدتهم على ذلك الاعتماد على السماع في الأخذ عمن الشيوخ ، والتساهل في الإجازة .

ذلك النموذج من المعلمين ، قد يظهر بأشكال مختلفة ، وفي العصور المختلفة ، وينبغي أن يظل المجتمع متيقظاً لهذه النماذج التي يمكن أن تكون لها آثارها السلبية البعيدة المدى على أجيال المتعلمين ، ثم أين هذه الصورة من صورة أولئك المعلمين الذين كانوا إذا اكتشفوا ما يشكل عليهم من كتب التدريس أرجاءاً والنظر فيها وتدريسها إلى وقت آخر ، كيلا يقدموا إلى طلابهم معلومات خاطئة ، أو أنهم لا يتأكدون من صحتها .

### التراث والآفاق المستقبلية فيه

يكتسب التراث معنى الخلود والديمومة من خلال استمراره في حياة المجتمعات التي ورثته ، ومن خلال قدرته على المساهمة في اغناء التراث الحضاري الانساني . ولمعرفة خطط تراثنا في هذه المساهمة ، سأشير باختصار إلى الاتجاهات والأفكار التربوية المعاصرة التي كانت كالجنين في رحم تراثنا ، ولكن الأيدي التي اعتنت بهذا الجنين وريته كانت غير أياديها .

لم يعد التعلم - من منظور العصر الحاضر - عملاً شاقاً ، يقوم على ضبط التلاميذ وتلقينهم بالقسراً لا ينفعهم ، وما لا يستطيعون فهمه ، بل أصبح ينظر إلى التعليم بأنه استمتاع فكري مفيد ، يياشره المتعلم بدافع الحاجة إليه والرغبة فيه ، وعليه أن يتعلم من تجاربه الشخصية المباشرة ، ومن خلال العلاقات التفاعلية التي ينبغي أن تقيمها أنظمة التعليم بين المتعلم وبين البيئة الطبيعية والاجتماعية التي يعايشها ، ولذا عرف في التربية ما يسمى بالتعليم عن طريق العمل .

وعندما أدرك المشتغلون في المجالات التربوية أن النظم التعليمية الحالية باتت قاصرة عن تلبية طلب الأفراد والجماعات على التعليم من النواحي الكمية والكيفية، صاروا ينظرون اليها كطارات متخلفة ينبغي استبدالها، فالمدسة النظامية لا يمكن أن تكون المؤسسة الوحيدة التي تحمل أعباء التربية والتعليم، وليس شرطاً أن يتم التعليم داخل مؤسسات يحكمها الحضور الاجباري للطلاب، ومراجع زمنية ثابتة المواعيد ووجود المعلم الشخصي، ومناهج لا تتغير، وأنظمة امتحانات قاسية في أغلب الأحيان تتطلب حفظ المعلومات، وضبط مدرسي، وكبدائل لذلك كله، يطرح الحيز المكاني المفتوح، والامتداد الزماني المستمر للتعليم، والمشاركة الطوعية للمتعلمين والحضور الاختياري الحر إلى أمكنة التعليم، والمناهج المرنة التي تتوجه إلى المستقبل، بدلاً التقيد بالماضي أو التعبير عن الحاضر فقط، واستخدام المعلومات في الحياة العملية، بدلاً من تخزينها، ثم التخفيف من التنافس في العلامات والدرجات والتعلم، والتعلم الذاتي من خلال الوسائل التي هيأتها التكنولوجيا الحديثة.

مثل هذه الأفكار لا تتخلى بالطبع عن البحث العلمي لأهميته وفائدته، وما يستتبع ذلك من مختبرات ومكتبات علمية، وتنظيم للأنشطة التعليمية الأخرى التي تفتح من خلالها شخصية المتعلم، وتسعى للتكامل، ووراء ذلك كله لا بد من التنظيم الإداري الذي يهيئ القيادة الفاعلة وحلقات الاتصال بين أجهزة النظام التعليمي المختلفة في سبيل خلق بيئة صالحة للتربية والتعليم.

ونتيجة لدخول التربية دوراً التنمياً في المجتمعات الحديثة، رأت هذه المجتمعات أن من مصلحتها توفير التربية المناسبة لكل الأفراد الذين يساهمون في البناء الاجتماعي وتطهيره ولا نتقال به من مرحلة حضارية إلى أخرى أكثر تقدماً، وأكثر شروطاً لتوفير سعادة الإنسان ورفاهيته. وصار طبيعياً ألا ينحصر التعليم في فئة من الفئات السكانية دون أخرى، ولا في طبقة دون أخرى، ولا في بيئة دون غيرها. وأصبح من حق الجميع على الدولة في أي مجتمع أن توفر لهم التعليم. ومن هنا كان الاهتمام بالمدينة والقرية على السواء، بالمرأة والرجل، بالصغير والكبير، بالأغنياء والفقراء، بالمعاقين والأصحاء، وعرف ما يسمى بديمقراطية التعليم، التي لا تعني أن تنهأ الفرص فحسب، بل أن توجه هذه الفئات

السكانية الى نوع التعليم الذي يلائم قدرات كل فرد ، ويلائم ميوله ما أمكن ، ويخدم بالتالي مجتمعه .

فالى أى مدى تلتقي هذه التجديدات مع ما في تراثنا الأندلسي ؟ وإلى أى مدى يمكن أن يوظف التراث في خدمة المعاصرة ؟

في أكثر الأحيان - ونحن نعود الى تراثنا الماضي - ننسى اختلاف الظروف الحضارية التي عاشها اجدادنا ونعيشها نحن ، وننسى أن ما تركوه لنا من تراث فسيحي مجالات السياسة والفكر والأدب والفن وفي الاجتهادات الفقهية ، لم تكن الا استجابة لحاجات مجتمعهم وتكيفاً مع ظروفهم . ونحن - كمنتمين الى ذلك التراث - لنا حاجاتنا التي تختلف في دوافعها وفي العوامل التي كونتها ، وفي طرق تلميحها ، ويكون من الظلم لاجدادنا ان نطلب منهم حلولاً لزم لم يعيشوه ، وظلماً لأنفسنا اذا تشكلت لدينا قناعة بالمعجز عن مجابهة مشكلاتنا من خلال حلول أصيلة ومبتكرة ، لا جاهزة نتوقع أن نجد لها في التراث .

ان دراسة التراث ينبغي أن تنطلق من ثقتنا بأنفسنا ، ومن اعتزازنا بانتماثنا الى ذلك التراث ، وأن تكون رحلتنا فيه للتعرف الى ذاتنا ، لا أن تكون هروماً من المجابهة الحقيقية لمشاكلنا ، ومرضاً يقعدنا عن التفكير بها ، والتعرف الى الذات لا يكون بالادعاء ، بل باكتشاف الحجم الحقيقي لمساهماتها في صنع تاريخ الحضارة الانسانية ، والاعتزاز بفضل غيرنا من خلال ما قدموه من اسهامات . فالحضارة ليست ملكاً لفرد ، ولا ملكاً لأمة من الأمم ، وانما هي نتاج مجموعة الأمم والشعوب التي عاشت وتعيش على هذا الكوكب . نحن نفخر دائماً بأننا سبقنا جميع الأمم ، وأن ما قدمناه للبشرية يفوق ما قدمته أية أمة ، وقد وجدنا من يعترف بفضل العرب المسلمين على غيرهم ، ويفضلهم على التاريخ الانساني بشكل عام ، في مجالات الفكر والعلم ، ولكن ما أن سبقنا الغرب والشرق في مجال الاختراعات والاكتشافات العلمية ، وفي مجال الفكر والتنظيم ، حتى بدأ فريق منا يكيل لهم شتى التهم ، أقلها أنهم سبب جهلنا وتأخرنا ، وضررنا لا نستطيع الحديث عن أنفسنا الا من خلال الهجوم على غيرنا في الغرب والشرق .

ففي مجال الفكر التربوي مثلاً توصلت المجتمعات المعاصرة الى الاقتناع بضرورة



الالزام في التعليم ، حتى صارت الزامية التعليم هاجس هذه المجتمعات ، وعملت بشتى السبل ، وهذا أقصى الامكانات لتحقيقها ، وتفاوتت في الوصول الى هذا الهدف . منها ما حقق الزامية التعليم في نهاية القرن التاسع عشر ، كاليابان ، ومنها ما زالت الزامية التعليم أملاً يراوده ، ويسعى حثيثاً للوصول اليه مثل كثير من الدول النامية .

أما استقبال بعض المفكرين في مجتمعاتنا لمثل هذه الأفكار ، فكان بالعودة الى التراث ، لنفاخر باننا السابقون الى الزامية التعليم ، وأن ما وفد علينا من المجتمعات الاخرى ليس الا " بضاعتنا ردت علينا " . ترى كم في هذا التفكير من تضليل ؟!

صحيح أن القرآن الكريم بحث على العلم في كثير من آياته ، واعتبره الرسول - صلى الله عليه وسلم - فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وصحيح أن المجتمعات الاسلامية في فترات من تاريخها ، أقبل أفرادها على العلم اقبالا لم يهلفه غيرهم ، ولكن هل ذلك ما تعنيه بالزامية التعليم ؟

كان الزام المسلم بالتعليم يهدف الى غرض ديني ، هو قراءة القرآن الكريم ، والقيام بالواجبات الدينية الاخرى : من صلاة وصيام وزكاة . . . بينما أصبح الالزام في التعليم نتيجة لشعور المجتمعات الحديثة بحاجتها الى الأفراد المتعلمين الذين تتألف منهم الطاقات البشرية المدونة اللازمة لحفظ التنمية . وانطلاقاً من هذا الواقع ، أخذت السلطات السياسية على عاتقها تعميم التعليم ، والزام الناس بالتعلم . وبعض الدول اتخذت كافة التشريعات التي تحقق تطبيق الزامية التعليم ، على جميع افراد المجتمع ، دون ان تميز بين ذكر وأنثى ، أو بين مدينة وقريه ، بينما لم تصل السلطات السياسية في تاريخنا القديم الى مثل هذا التبنّي لالزامية التعليم ، وتعميمه ووضع التشريعات المناسبة لتحقيقها ، ولا أظن أن ذلك مطلوب منها ، إذ من العبث أن نتجاوز الفارق الزمني الذي يفصلنا عن أولئك الأجداد فنحملهم سوءاً وليأتنا ، ونحكم عليهم من خلال منظور عصري ! وكناهم أنهم بذلوا جهوداً أطلعتنا الد راسة على جانب منها . والا صالة التي نبحث عنها في هذا الجانب هي في المحافظة على استمرارية الجوانب الايجابية والقضاء على المواقف السلبية التي وقفوها من الحركة التعليمية ومن المعلمين والعلماء .

وفي تاريخنا أيضاً عرف العلماء الاخلاص للبحث العلمي والتقاني في الوصول الى

الى الحقائق . ومثال ذلك علماء النبات في الأندلس ، حيث زرع بعضهم حدائق لتربية  
النبات ولمراقبة أطوار نموه . كما كان منهم من انتقل من بلداء مطوفا في الأفاق يتعرف الى  
الأنواع المختلفة للنباتات . وفي مخبر مكاف عباس بن فرناس ، وكان من نتيجة أبحاثه قيامه  
بأول محاولة طيران في التاريخ . ونذكر بالفخر أيضا دأب أولئك العلماء الذين قطعوا  
بلدان العالم الاسلامي آنذاك ليتحققوا من حديث نبوي . وكم عانى أولئك العلماء وهم  
يحفظون متن الأحاديث وأسانيدها وتاريخ روايتها . لكن مثل هذا الاعتراف في مجال  
فضل أجدادنا على البحث العلمي في سائر المجالات من طب وفلك وموسيقى . الخ ينبغي  
ألا يصرفنا عن ادراك الفرق بين ما قام به أولئك من جهد فردي في مجال البحث العلمي  
حين ما تقوم به المجتمعات الحديثة من رصد ميزانية خاصة للاتفاق على البحث العلمي ،  
وتخصيص نسبة معينة من الميزانية العامة لتطوير البحث العلمي .

بمثل هذه الروايات يمكن أن ينظر الى التجربة التنويرية التي عاشها المجتمع  
الأندلسي المسلم ، ومن خلال هذه الروايات العصرية ، يمكن أن ينظر الى تجربة ذلك  
المجتمع في الحضور الاختياري للطلاب . فالطالب يختار الوقت الذي يذهب فيه الى  
المسجد للتعليم أو الى بيت المعلم أو الى مزعته ، كما كان يختار معلمه الذي يسمع منه  
أو يخطي ، ومن خلال هذه الروايات يمكن أن ينظر الى تجربتهم في التقدير اللفظي الذي كان  
يترجم اجازة المعلم لطلابه ، حيث لم يكن للامتحانات وللتقديرات الرقمية (العلامات)  
وجود ، وكذا ينظر الى تجربتهم في إمكانية التعليم غير المحددة ، حيث لم يعرفوا المدارس  
النظامية الا ما ذكر من احدى مدارس غرناطة في عهود الأندلس المتأخرة .

هذه التقنيات التنويرية التي عرفها المجتمع الأندلسي هي سميات التفسيرات  
التي يطرحها الفكر التنويري المعاصر ، والتي أشهر اليها في بداية هذا التعليق ، ولكنها  
ليست نفس التفسيرات في مضمونها . فالتفسيرات التي ينشدها الفكر المعاصر تضيف  
التكنولوجيا الحديثة كبعد أساسي في بنية هذه التفسيرات المنشودة ، والتي ستجعل  
منها بالطبع شيئا مختلفا تماما عن صورة الماضي التي تتشابه معها في الشكل . فعندما  
نقول : ان المعلم كان مهبطا وأساسيا في النظام التعليمي في المجتمع الأندلسي ، وما زال  
مهبطا في نظم التعليم المعاصرة ، ينبغي أن ندرك المصدر الذي يستمد منه المعلم

أهميته ، أو المعطى الحضارى الذى اقتن به هذه الأهمية . كان المعلم فى المجتمع الأندلسي يمتلك الكتاب التعليمي الذى سمعه ونسخه بيده ، مما دعا الطلاب أن يرحلوا إليه لتلقي العلم عنه ، بينما أصبح المعلم فى العصر الحاضر يمتلك التدريس والكفايات اللازمة والخبرات الضرورية بالوسائل التكنولوجية التي تساعد جميعها فى خلق بيئة تعليمية مناسبة للمتعلم .

إن التقنيات التربوية المعاصرة هي ابنة الفكر الذى أفرزته تحولات اجتماعية ، شاملة وعميقة ، تناولت النظم السياسية والاقتصادية والثقافية ، فبدلت فى طبيعته وفى نوعية العلاقة التي تربط الفرد بغيره من الناس والأشياء المادية الأخرى ، ولم يعد يستمتع بالاستقرار نتيجة مطالب الحياة الملحة والمعقدة فى عالم سريع التغير ، يتجاوز عصر الآلية إلى عصر التوطينية الحديثة ، ويعطي قيمة كبرى للزمن ، إذ فى دقائق يمكن أن تتغير خريطة العالم على هذه الأرض ، مثل هذا العصر لا يمكن أن ينتظر طالبا ينصرف إلى شيخ مدة ثمانية عشر عاما أو أربعين عاما ، وهو يقرأ أو يحفظ كتابا للشروحات الفقهية . ربما كان ذلك الدارس عبقريا أو عالما متبحرا بمقاييس عصره ، وقد يكون معاصره على حق فى ذلك ، ولكن مقاييسنا العصرية تغيرت بدون شك .

ومزلق آخر ينبغي أن نحذر منه ، ونحن نتناول تراثنا بالدراسة ، هو الاعتقاد بوجود حلول لجميع مشاكل البشرية فى ذلك التراث ، على اعتبار أن الآخرين يفكرون بنفس الطريقة التي نفكر بها ، ولا نختلف معهم ، وأنهم على استعداد ليقبلوا منا ما نقدمه لهم . ويأتى خطر هذا الاعتقاد من تصور أن المجتمعات يمكن أن تخلو من المشاكل ، فى الوقت الذى تعتبر المشاكل والأزمات الاجتماعية دلالة على ( دينامية ) هذه المجتمعات . كما أن تاريخ الإنسان فى مراحل الحضارية المختلفة ، ليس إلا صراعا مع بيئته ، وعن هذا الصراع لا بد أن تولد مشاكل ، وثبتت المجتمعات حيويتها وقد رتها على البقاء من خلال الحلول التي تبتكرها لمواجهة تلك المشاكل والتغلب عليها .

وخطر آخر يتصل بهذا الاعتقاد ، ويمكن فى ردود الفعل الانفعالية التي يستقبل بها هذا الاتجاه التفكيرى محاولات الآخرين فى البحث العلمي والمنجزات التي يتوصلون إليها فى هذا المجال ، وكأن أصحاب هذا التيار يريدون أن يقولوا للآخرين : لا فضل لكم

علينا ففي تراثنا كل شيء . فالأقمار الصناعية ، والمركبات الفضائية التي حطت على سطح القمر ، اكتفينا بالقول : ان تراثنا لا يخلو من اشارة الى مثل هذا الانجاز الحضارى ، وكأن أصحاب هذا الانجاز الحقيقيين ، ينتظرون منا الاذن أو الاقرار بما فعلوا .

وعندما طرقت حياة المجتمعات الحديثة مفاهيم مثل الديمقراطية والاستراكية ومحاولات علمية تحاول تفسير نشأة الحياة على الأرض ، كانت ضجتنا أيضا كبيرة ، واختلافاتنا فيما بيننا بشأنها واسعة ورحنا نبحث في تراثنا عن مثل هذه المعاني ، وعن مثل هذه الممارسات ، فمننا من أقرب بوجودها ، ومننا من رفضها . فلماذا يا ترى لا نغتنم الى تراثنا وإلى ما فيه ، الا عندما نستثار من خلال تفكير الآخرين ؟ لماذا لا نرد على العلم بالعلم ؟ وعلى العلم الذى نؤمن بخطئه ، بعلم نصل الى صحته من خلال خبراتنا وتجاربنا الذاتية الخاصة بنا ؟ وعندها لا يكون هجومنا انفعاليا يتسلح بالمنطق الكلامي ، ذلك المنطق الذى أدرك الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام قدرته على قلب الحقائق عندما قال : " انما أنا بشر ، وانكم تختصمون اليّ ، ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضي له بنحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه ، فانما أقطع له قطعة من النار " ، ( رياض الصالحين ، ص ٧٩ ) .

وأخيرا ، لا بد أن نعترف - وكما برز من خلال الدراسة - أن تراثنا العربي الاسلامي احتوى في أعماقه ، وخلال حركة سيره آفاقا مستقبلية تحاول الالتحام بمسار الحضارة الإنسانية العامة ، ولكنها كانت تتعرض للاحباط في أكثر الأحيان ، ولتحديد هويتنا الحضارية المعاصرة ، لا بد أن نبحث في التراث عن تلك الآفاق المستقبلية ، ونحاول أن نحلها في مكانها المناسب من السياق التاريخي لمسيرة الحضارة الانسانية ، التي تساهم في تجديدها وتطورها ونماها كل الشعوب .

### خاتمة

كان السؤال الأول الذي طرحته الدراسة : ما القواعد النظرية " الفلسفة " التي وجهت التربية والتعليم في الأندلس ؟

خصص الفصل الأول للإجابة عن هذا السؤال ، حيث قدم تعريفات لفلسفة التربية ، وتوضيحا للعلاقة بين فلسفة التربية في مجتمع ما وبين فلسفة الحياة العامة فيه . ووجد أن التربية تعكس محاولات المجتمعات المستمرة للانسجام والتناغم مع فلسفة الحياة فيها .

ولمعرفة فلسفة التربية في المجتمع الأندلسي ، كان التوجه إلى القرآن الكريم مصدر لفلسفة الحياة في المجتمعات الإسلامية بشكل عام ، واعتباره تناول أهم القضايا التي أثارها وبشيرها الإنسان في كل مكان وزمان . قضايا تتعلق بالوجود الذي يرى القرآن الكريم أنه قسمان : وجود مشاهد حاض ، وجود غير مرئي . وقضايا تتعلق بالإنسان : أصله وطبيعته وغايته . وقضايا تتعلق بالاجتماع البشري ، وقضايا تتعلق بالمعرفة التي يحصلها الإنسان من خلال محاولاته فهم الكون الذي يعيش فيه والطبيعة التي يتفاعل مع موجوداتها .

لقد حاول الإنسان المسلم أن ينسجم مع هذا التصور الذي قدمه القرآن الكريم له عن نفسه وعن مجتمعه وعن الكون الذي يعيش فيه . وتشلت محاولته بمظاهر عديدة : أهمها دراسة القرآن وتدريسه للناشئة لترسيخ الجوانب العقيدية في نفسية وعقلية الدارس ، والدراستات الدينية من فقه وحديث وتفسير ، والدراستات اللغوية بها فيها من فقه ونحو وملاغة ، والتي لم تقم إلا بعد أن دخل القرآن الكريم حياة العرب .

ورغم أن هذه الدراستات تفرعت وتشعبت فيما بعد ، وغرقت في جزئيات كثيرة أحيانا غطت على الهدف الأساسي ، لكنها قامت ابتداءً ، كمحاولة من علماء المسلمين للوصول إلى فهم أدق لآيات القرآن الكريم . وفي تقدير الدارس كانت تلك المحاولة وليدة حاجنة المجتمعات الإسلامية إلى فهم متجدد لمضامين الآيات القرآنية لمواجهة التغيرات الاجتماعية التي تجابهها ، حتى لا تظل المفاهيم القرآنية محصورة في إطار تاريخي يجمدها ، ويحدها عن الحياة في سياقها الاجتماعي النامي والمتغير .

ان المحاولات المستمرة لفهم الفلسفة الحياتية التي تضمنها القرآن تعبر عن شعور المجتمعات الاسلامية بالفجوة الواسعة بين النظرية والواقع . ومن هنا قيل أن فلسفة التربية ليست تطابقا منطقيا مع فلسفة الحياة العامة ، وانما تستهدي بها وتستمد منها وتحاول دائما أن تتلاءم مع ما فيها .

ولذا يرى الدارس ان الاتجاه الأسلم في الربط بين الاطار الفكري النظري للتربية وبين الواقع العملي لها ، يتمثل في البحث عن تفسير للظواهر والاتجاهات التربوية من خلال ذاك الاطار ومسايطه ، وليس فيما يتطلبه ذلك الاطار النظري من ظواهر واتجاهات .

أما السؤال الثاني في الدراسة ، فهو : هل كان في الأندلس نظام للتعليم ؟ ينبثق النظام التعليمي في العادة من فلسفة التربية التي يتبناها المجتمع . والنظام التعليمي - لا شك - مصطلح حديث ، يعني مجموعة التشريعات التي يضعها مجتمع ما لتسيير الشؤون التعليمية فيه . وهذا المفهوم لم يكن في الأندلس نظام تعليمي يستند الى لوائح وتعليمات ، لأن التعليم لم يتخذ شكلا رسميا تشرف عليه الدولة مسن خلال مؤسسة مختصة به ، بل كان التعليم مسؤولية كل المجتمع ، ولأفراد المجتمع مطلق الحرية في الاقبال على التعليم أو في تركه .

ان غياب الشكل الرسمي للنظام التعليمي ، لا يعني أن الأندلس خلت تماما من عناصر نظام تعليمي ، واذا حاولنا أن نتعرف الى هذه العناصر ، فسندها في مجموعة الاعراف والتقاليد التي تكونت من خلال الممارسة وأصبحت لها قوتها التي تفوق قوة القوانين المكتوبة .

ان اعراف وتقاليد الحركة التعليمية في الأندلس ، تبدو واضحة من خلال الفصول التي تحدثت عن المعلمين والمتعلمين والمواد الدراسية ، والتي تضمنت الاجابة عن أسئلة الدراسة المتعلقة بهذه العناصر من النظام التعليمي الأندلسي .

قبل الحديث عن المعلمين والمتعلمين والمواد الدراسية ، رأى الدارس أن يتحدث عن مجموعة الظروف التي أثرت على الحركة التعليمية في الأندلس ، فكان الفصل الثاني بعنوان الاطار المادي للحركة التعليمية ، وتناول حال الأندلس قبل دخول المسيحيين

المسلمين اليها ، ولغة التعليم ، والغرض المتاحة للأندلسيين للتعلم ، والكتب والمكتبات وأعمال الوراقة ، وأمكنة التعليم .

وفي الفصل الثالث دار الحديث حول دور الحكام في الحركة التعليمية ، من خلال ما بذلوه من جهود في توفير الأمن والاستقرار الذي ترتب عليه ازدهار اقتصادي وعمراني زاد معها الطلب على التعليم ، ومن خلال رعايتهم للعلماء وكرامتهم ، وعنايتهم بالكتب والتأليف وتكوين المكتبات ، ثم من خلال مواقفهم من بعض أنواع الدراسات ، فالحكم مثلاً يتسامح مع كل أنواع الدراسات وتنشط الدراسات الفلسفية في زمنه ، وسجده العامري يشجع الدراسات الدينية فتصبح مدينة دانية في زمن مقصد الطلاب في القراءات وفي علوم الحديث . . . وهكذا .

في الفصلين الرابع والخامس ، حاولت الدراسة أن تجيب عن الاسئلة المتعلقة بالمعلمين : هل كان المعلمون موظفين رسميين من الدولة ؟ ما مؤهلاتهم وما ثقافتهم ؟ ما مكانتهم الاجتماعية ؟ ما أساليب التعليم التي اتبعوها ؟ ما صور الاجازات التسمي منحوها لطلابهم ؟ وما نوع العلاقات التي كانت تربطهم بطلابهم ؟

اتضح من الدراسة أن المعلمين بشكل عام لم يكونوا موظفين رسميين في الدولة ، يتقاضون رواتب معلومة لقاء ما كانوا يقومون به من تعليم . الا أن طائفة منهم تمتعت بامتيازات من الحكام ، عندما كانت تستدعي لتعليم ابنائهم . ومن جهة ثانية لم تغيب رقابة الحكام عن المعلمين ، ولم يكونوا يغفلون عما يدور في حلقاتهم ، فكانوا يمنعون بعض المعلمين من القاء الدروس ، ونال بعض المعلمين السجن أو النفي ، حتى اللباس تدخلوا به في بعض الأحيان .

أما مؤهلات المعلمين ، فكانت تستند الى قاعدة ثقافية عامة تشمل علوم العصر من فقه وحديث وتفسير ولغة وأدب وحساب ، ثم اتقاناً لأحد الكتب أو لمجموعة من الكتب يجاز بتعليمها . ولقد وجد معلمون في تخصصات مختلفة ، منهم من علم الفقه ، ومنهم من علم الحديث ، ومنهم من علم الأدب واللغة أو الحساب أو الهندسة أو الفلك أو الفلسفة .

كان المعلم الأندلسي يهتم بتدريس المواد الأكاديمية من خلال أساليب التعليم المعروفة آنذاك ، والتي كان منها الاسماع والاملاء والقراءة والمحاضرة والمناظرة ، وكما

نقول بلفظة العصر الحاضر، لم يقتصر اهتمام المعلم على الجانب الأكاديمي من المنهاج، بل تعداه إلى الاهتمام بالنواحي غير الأكاديمية، ونعني بها شخصية المتعلم، والتي تعتبرها التهيئة الحديثة مهمة بدو درجة الأهمية التي تعطى للمنهاج الأكاديمي. فكان التركيز على جوانب أخرى في المتعلم غير تقديم المعلومات له، تشمل علاقته بخالفه ومجتمعه.

من خلال الممارسة كان المعلم يثبت جدارته بالتعليم، فينال تقدير طلابه وزملائه ومجتمعه بشكل عام، وتشكل هذا التقدير بمجموعة الألقاب التي أطلقت عليهم منها: الامام، الشيخ، الاستاذ المؤدب والمعلم... الخ. وهذه الألقاب لا يستطيع المدارس للتراث تحديد مدلولاتها العلمية والاجتماعية بدقة، لأنها لم تمنح من قبل مؤسسة رسمية وفق اسس ومعايير معلومة، بل كانت تطلق على المعلم لاعتبارات مختلفة، وقد يوصف أحدهم بعدة ألقاب معا كأن يقال الشيخ الامام الاستاذ...

أما الاجازات التي منحها المعلمون، فكانت اذنا برواية كتاب أو بتدريسه من قبل أحد طلابهم... وهي اما مكتوبة أو شفوية، فدل على أن الطالب سمع أو قرأ الكتاب الذي سيدرسه أو أن معلمه سمح له بتدريسه لمعرفة به وثقته دون أن يقرأه عليه أو يسمعه اياه.

ومع الزمن أصبحت الاجازة مطلبا اجتماعيا، يجتهد الناس في الحصول عليها من الشيوخ والاساتذة، لهم أولبائهم، فمعرفة نوع من الاجازات لم يجزها العلماء، وكانت تعطى لأناس لم يرهم الشيخ ولم يعرفهم، وحتى لمن لم يخلقوا.

في الفصل السادس، كانت الاجابة عن أسئلة الدراسة المتعلقة بالطلاب: في أي سن كان يبدأ الأطفال في التعلم؟ ما مراحل التعليم؟ ما مواد الدراسة؟ ما نصيب الفتاة من التعليم؟ وما واقع الطلاب غير المسلمين؟

كان الطفل - في الأرجح - يذهب إلى المكتب في السادسة أو في السابعة من عمره، ويخضع ذلك لتقدير الآباء ولظروفهم، ولكن ذلك لم يمنع أن أطفالا كانوا يلتحقون بالمكتب بعد العاشرة من أعمارهم. وبعد الانتهاء من المكتب يتوجه الطالب إلى الحلقات فسي المساجد، فيختار معلميه والمواد التي يريد دراستها، وهناك ملامح مرحلة أخرى أطلقت عليها اسم مرحلة "التخصص"، حيث ينصرف الطالب إلى معرفة اسرار ودقائق المادة التي يرغب مواصلة الدراسة فيها.



في المكتب تعلم الأطفال القراءة والكتابة والحساب وشيئا من الفقه والحد يسه ،  
وفي المرحلة الثانية ، يدرس نفس المواد مع تفاوت في المستوى والشمول .  
لم تكن مدارس في الأندلس يذهب الطلاب اليها ، وكانت المساجد مدارس لهم ،  
تفتح ليلا ونهارا ، كما كانت بيوت المعلمين أماكن لتعليمهم ، وحيثما وجد المعلم كان  
يستطيع أن يأخذ المتعلم منه ما شاء .

بالنسبة للإناث ، فقد تلقين نصيبا من التعليم ، ولكنه دون حظ الذكور منه ، ولكن  
تعليم المرأة في تلك العصور ، كان سبقا للمجتمعات الإسلامية .

أما الطلاب من غير المسلمين فقد توجهوا الى المعلمين المسلمين ، وتعلموا باللغة  
العربية ، وأحبوها ، فكانت لغة التعليم واللغة الرسمية . والى الأندلس جاء الطسلا ب  
الأوروبيون ، وتلقوا العلم على أيدي معلمين مسلمين .

في الفصل السابع دار الحديث حول المواد الدراسية ، ومدى ارتباطها بحاجات  
المجتمع الأندلسي . وكان الغالب عليها الدراسات الدينية واللغوية ، الى جانب اهتمام  
ملوس بالطب والهندسة والحساب ولكنه غير شائع ، وانصراف نفر قليل الى دراسة الفلسفة  
والتنجيم والفلسفة .

أما الأندلسي الذي لم يوفقه الله في العلم ، فكان حريصا أن يتميز بصناعة  
أو مهنة يتجه اليها ، وللتعرف على هذه الفئة أورد الدارس أمثلة لتلك المهن .  
أما الفصل الثامن ، فتناول التعليق على الفصول السابقة ، والنقد لبعض الجوانب  
السلبية في التربية الأندلسية ، وفي طرائق التعليم ، وأخيرا محاولة من الدارس للكشف عن  
الروى المستقبلية في التراث ، والتي تكتسب بسببها الدراسات التراثية أهميتها .

وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن هذه الدراسة كانت بحثا عن الهيكل العام  
للتربية والتعليم في الأندلس ، والذي قدم الدارس صورة له من خلال ما تجمع في مصادر  
الدراسة ومراجعها ، من نتف متناثرة ، كانت في الأغلب حديثا عن الأشخاص التي تضمنتها  
كتب التراجم . لم تكن الدراسة تأريخا للحركة العلمية ، وإنما كانت رصدا للظواهر التربوية  
والتعليمية المتعلقة بمعظم جوانب العملية التربوية .

وهذه الدراسة كغيرها من الدراسات ، جهد متواضع ينضم الى الجهود السابقة

واللاحقة للتعرف الى تجارب في تراثنا حاولت أن تضيف شيئاً ما الى الفكر التربوي  
الانساني ، وللتعرف أكثر على هذا التراث . فالدارس يشعر أن بالامكان اثار الاسئلة  
التالية ، لتكون مواضع لدراسات لاحقة :

أولاً : ما دور السلطة السياسية في الحركة التعليمية ، وما أثرها على التربية فسي  
الأندلس ؟

ثانياً : ما أثر مواقف الفقهاء على الحركة التعليمية في الأندلس ؟

ثالثاً : ما أثر رحلات الأندلسيين الى المشرق على الحركة التعليمية ؟

رابعاً : كيف كانت تتم التربية المهنية عند الأندلسيين ؟

ولا شك أن هناك أسئلة أخرى ستثيرها قراءة الدراسة .

فهرس جغرافي  
لاسما المدن والاماكن العربية ومواقمها

| الاسم                       | الموقع    |
|-----------------------------|-----------|
| أبال                        | Ubal      |
| أبذة                        | Ubeda     |
| أستجة                       | Ecija     |
| أشبيلية                     | Sevilla   |
| ألمرية                      | Almeria   |
| باجة                        | Beja      |
| برشلونة                     | Baycelona |
| بطلوس                       | Badajoz   |
| بلنسية                      | Palencia  |
| جيان                        | Jaen      |
| دانية                       | Denia     |
| الزهراء                     | Zal-Zahra |
| سرقطة                       | Zaragoza  |
| شاطبة                       | Jativa    |
| شريس                        | Jerez     |
| شقر                         | Jucar     |
| شقورة                       | Segura    |
| حصن شمالي قرطبة             |           |
| أشبيلية - شمال شرق أشبيلية  |           |
| مركز الاقليم                |           |
| مركز الاقليم                |           |
| بلدية تقع ضمن حدود البرتغال |           |
| مركز الاقليم                |           |
| مركز الاقليم                |           |
| مركز الاقليم                |           |
| مركز الاقليم                |           |
| لقنت - شمال شرق لقنت        |           |
| احدى ضواحي قرطبة            |           |
| مركز الاقليم                |           |
| بلنسية - جنوب بلنسية        |           |
| قادر - شمال شرق قادر        |           |
| جزيرة من أعمال بلنسية       |           |
| جيان - شمال شرق جيان        |           |

| الموقع                             | الاسم               |
|------------------------------------|---------------------|
| برطقال                             | Silves شلب          |
| طركونة - جنوب طركونة               | Tartosa طرطوشة      |
| مركز الاقليم                       | Tarragona طركونة    |
| مركز الاقليم                       | Toledo طليطلة       |
| مركز الاقليم                       | Granada غرناطة      |
| جيان - جنوب غربي جيان              | Alcaudete القبذاق   |
| مركز الاقليم                       | Cordaba قرطبة       |
| احدى مقاطعات الاندلس -             | Cataluna قطلونية    |
| في الشمال الشرقي من اسبانيا        | Caizaria قيسارية    |
| عاصمة البرتغال                     | Lisboa لشبونة       |
| في المغرب . تقع تحت الحكم الاسباني | Melilla مليلية      |
| مركز الاقليم                       | Malaga مالة         |
| مركز الاقليم                       | Madrid مدريد (مجرط) |
| بلنسية - شمال شرق بلنسية           | Murviedo مريطر      |
| مركز الاقليم                       | Murcia مرسية        |
| جزيرة في البحر الابيض المتوسط -    | Mallorca ميورقة     |
| شرقي اسبانيا                       |                     |

## المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- أ. ليفي بروفنسال . الاسلام في المغرب والاندلس ، ترجمة محمود عبدالعزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلي ، مراجعة لطفي عبد البديع . القاهرة : مكتبة النهضة مصر ومطبعتها ، بلا تاريخ .
- ٣- ===== حاضرة العرب في الاندلس ، ترجمة ذوقان قرطوط . بيروت : دار مكتبة الحياة ، بلا تاريخ .
- ٤- احسان عباس (محقق) . أخبار وتراجم أندلسية ، مستخرجة من معجم الصفر للسلفي ، الطبعة الاولى . بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٣ .
- ٥- ===== تاريخ الادب الاندلسي - عصر سيادة قرطبة ، الطبعة الثالثة . بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٣ .
- ٦- ===== تاريخ الادب الاندلسي - عصر الطوائف والمرابطين ، الطبعة الثالثة . بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٤ .
- ٧- أحمد بن ابراهيم بن الزبير (ابو جعفر) . صلة الصلة . تحقيق أ. ليفي بروفنسال . بيروت : مكتبة خياط ، ١٩٣٧ .
- ٨- أحمد أبو هلال . مقدمة الى الانثروبولوجيا التنوية ، الطبعة الاولى ، عمان : الجامعة الاردنية ، ١٩٧٤ .
- ٩- أحمد أمين . ضحى الاسلام . ج٢ . ط٧ . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٣٥ .
- ١٠- ===== ظهر الاسلام ، الجزء الثالث ، الطبعة الرابعة ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٦ .
- ١١- أحمد بدر . دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة ، الطبعة الثانية . بدون معلومات نشر .
- ١٢- أحمد بلا فريخ وعبد الجليل خليفة . الادب الاندلسي . تطوان : مطبعة الوحدة العربية ، ١٣٦٠ هـ = ١٩٤١ م .

- ١٣- أحمد بن خلكان . وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، الجزء الاول ، نشر أحمد فريد الرفاعي ، بدون معلومات نشر ، ( سلسلة الموسوعات العربية ) .
- ١٤- أحمد شلبي . تاريخ التربية الإسلامية . القاهرة : ١٩٦٠ .
- ١٥- أحمد ضيف . بلاغة العرب في الأندلس ، الطبعة الاولى . القاهرة : مطبعة مصر ، ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٤ م .
- ١٦- أحمد فؤاد الأهواني . التربية في الإسلام . القاهرة : دار المعارف بصر ، ١٩٦٨ .
- ١٧- أحمد القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجي (ابن أبي أصيعة) . عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، شرح وتحقيق نزار رضا . بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة ، بدون تاريخ .
- ١٨- أحمد القلقشندي (أبو العباس) . صبح الأعشى . القاهرة : المطبعة الأميرية ، ١٣٣٥ هـ = ١٩١٧ م .
- ١٩- أحمد بن محمد المقرئ التلمساني . أزهار الرياض في أخبار رعاياض . ضبطه وحققه وعلق عليه مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي . القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م .
- ٢٠- ===== . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المجلد الثالث والمجلد الخامس ، حققه احسان عباس . بيروت : دار صادر ، ١٩٦٨ .
- ٢١- ===== . نفح الطيب ، الجزء الاول والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع . نشر : أحمد فريد الرفاعي ، بدون تاريخ نشر .
- ٢٢- ===== . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، الجزء الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن ، حققه محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الاولى . مصر : المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٤٩ .
- ٢٣- أحمد بن يحيى الضبي . بغية الملمس في تاريخ رجال أهل الأندلس . القاهرة : ١٩٦٧ ، ( المكتبة الأندلسية : ٦ ) .
- ٢٤- أخبار مجموعة . بغداد : مكتبة العثني . ( طبع بمدينة مجريط ، ١٨٦٧ ) .

- ٢٥ - اسماعيل بن القاسم ( أبو علي القالي البغدادي ) . الأُمالي . بيروت : دار  
الحكمة ، بدون تاريخ نشر .
- ٢٦ - أبهر مطلق . الحركة اللغوية في الاندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر ملوك  
الطوائف . بيروت : المكتبة العصرية ، ١٩٦٧ .
- ٢٧ - ألدوميلي . العلم عند العرب وأثره في التطور العالمي ، ترجمة عبد الحليم  
النجار ومحمد يوسف موسى ، مراجعة حسين فوزي ، الطبعة الأولى .  
دار القلم ، ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م .
- ٢٨ - أنخل جنثالث بالنشيا . تاريخ الفكر الأندلسي . نقله عن الإسبانية حسين مؤنس ،  
القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٥ .
- ٢٩ - بكرى شيخ أمين . أدب الحديث النبوى . حلب : ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٣ م .
- ٣٠ - توماس آرنولد . جامع تراث الاسلام ، عليه وعلق حواشيه جرجس فتح الله المحامي ،  
الطبعة الثانية . دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٧٢ .
- ٣١ - ج . ف . نيللر . في فلسفة التنوير ، ترجمة محمد منير مرسى ، محمد عزت  
عبد الموجود ويوسف ميخائيل أسعد ، الطبعة الخامسة ، القاهرة : عالم  
الكتب ، ١٩٦٧ .
- ٣٢ - ج . كرامب وأ . جاكوب ، محرران . تراث العصور الوسطى ، ترجمة ومراجعة  
مجموعة من أساتذة الجامعات المصرية بالاشتراك مع محمد مصطفى زيادة ،  
الجزء الثاني . القاهرة : مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٧ .
- ٣٣ - جان بول رو . الاسلام في الغرب ، تعريب نجدة هاجر وسعيد الغزو . بيروت :  
المكتب التجارى ، ١٩٦٠ .
- ٣٤ - جلال مظهر . حضارة الاسلام وأثرها في التراث العالمي . القاهرة : مكتبة  
الخانجي ، بدون تاريخ نشر .
- ٣٥ - جمال الدين ابو الحسن القاضي ( القفطي ) . أخبار العلماء بأخبار الحكماء ،  
تصحیح محمد أمين الخانجي . القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٢٦ هـ .
- ٣٦ - جودت الركابي . في الادب الأندلسي . القاهرة : دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠ .



- ٣٧- جوزيف نسيم يوسف . نشأة الجامعات في العصور الوسطى . الطبعة الاولى .  
الاسكندرية : منشأة المعارف ، ١٩٧١ ، ومعه كتاب : نشأة الجامعات ،  
تأليف ش . ه . هاسكنز . ترجمة وتقديم وتعليق جوزيف نسيم يوسف .
- ٣٨- جوستاف . أ . فون جروننيام . حضارة الاسلام . نقله الى العربية عبد العزيز  
توفيق جاويد ، راجعه عبد الحميد الفيادي . القاهرة : مكتبة مصر ،  
١٩٥٦ ، ( سلسلة الألف كتاب : ٢ ) .
- ٣٩- جون ديوى . الديمقراطية والتربية . ترجمة متى عقراوى . القاهرة : مطبعة  
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م .
- ٤٠- حسن ابراهيم حسن . تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،  
أربعة اجزاء ، طبعت مختلفة . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ،  
١٩٦٧ .
- ٤١- حيان بن خلف بن حسين ( ابن حيان القرطبي ) . المقتبس من أنباء بلــــد  
الاندلس ، حققه محمود علي مكي . القاهرة : المجلس الاعلى لرعاية  
الشؤون الاسلامية ، ( لجنة احياء التراث ) ، ١٣٩٠ هـ = ١٩٧١ م .
- ٤٢- حيد ريامات وج . ريفوار . مجالي الاسلام . نقله الى العربية عادل زعيتــــر .  
القاهرة : دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ،  
١٩٥٦ .
- ٤٣- خالد الصوفي . تاريخ العرب في اسبانيا ، عصر المنصور الاندلسي . دار  
الكتب العربي ، بدون مكان وتاريخ للنشر .
- ٤٤- خلف بن عبد الملك ( ابو القاسم بن بشكوال ) . الصلة في تاريخ أئمة الاندلس  
وعلمائهم وفقهائهم وأدبائهم ، جزان . نشره وراجعته وصحح أصله  
عزت عطار الحسيني ، ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م ، ( من تراث الاندلس : ٤ ) .
- ٤٥- خليل طوطح . التربية عند العرب . القدس : المطبعة التجارية ، ١٩٠٠ .
- ٤٦- الدراسات الاسلامية - الندوة الاولى للدراسات الاسلامية بالجامعات العربية  
بجامعة ام درمان - ٣-١٠ ربيع الاول ١٣٩٨ هـ ومــــن  
١٨-١١ شباط ١٩٧٨ ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٨١ .

- ٤٧- خودابخش . الحضارة الاسلامية . ترجمة وتعليق علي حسن الخريوطي . دار  
احياء الكتب العربية ، ١٩٦٠ .
- ٤٨- دى . جي أوكونور . مقدمة في فلسفة التربية . ترجمة محمد سيف الدين فهمي .  
الناشر : Routledge & Kegan Paul ، ١٩٥٢ .
- ٤٩- زيفريد هونكه . شمس العرب تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية في أرضها .  
نقله الى العربية فاروق بيضون وكمال دسوقي . بيروت : منشورات المكتب  
التجاري ، بدون تاريخ نشر .
- ٥٠- سامي أحمد الموصلي . دراسات أندلسية - الزجل الاندلسي . بدون مكان نشر ،  
١٩٧٠ .
- ٥١- ستانلي لين بول . قصة العرب في اسبانيا . ترجمة علي الجارم . القاهرة :  
دار المعارف بمصر ، ١٩٥٢ .
- ٥٢- سعد اسماعيل الشلبي . ابن حمديس الصقلي وحياته من شعره - دراسات فنية  
لأديب الاندلس ولاد المغرب . القاهرة : مكتبة غريب ، بدون تاريخ نشر .
- ٥٣- سليمان بن حسان الاندلسي (ابن جلجل) . طبقات الأطباء والحكام ، تحقيق  
فؤاد السيد . القاهرة : مطبعة المعهد العلمي الفرنسي ، ١٩٥٥ .
- ٥٤- السيد عبدالعزيز سالم . تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس . بيروت : دار  
المعارف ، ١٩٦٢ .
- ٥٥- ===== . قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، الجزء الاول . بيروت :  
دار النهضة ، ١٩٧١ .
- ٥٦- سيدو . ل . أ . تاريخ العرب العام . القاهرة : دار احياء الكتب العربية ،  
١٩٤٨ .
- ٥٧- سيمون هايك . صبح البشكنسية ، بدون مكان للنشر ، ١٩٦٢ .
- ٥٨- شكيب ارسلان . التحلل السندسية في الأخبار والآثار الاندلسية ، جزان . فاس :  
المكتبة التجارية الكبرى . نشر محمد المهدي الحبابي ، ١٣٥٥ هـ =

- ٥٩- صاعد بن أحمد بن صاعد التفليحي الاندلسي . طبقات الأمم . قدم له السيد محمد بحر العلوم . النجف : منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .
- ٦٠- صلاح خالص . أشبيلية في القرن الخامس الهجري - دراسة أدبية تاريخية لنشأة دولة بني عباد في اشبيلية وتطور الحياة الأدبية فيها . بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٥ .
- ٦١- عبد الحليم المنتصر . تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه . الطبعة الثالثة . القاهرة : دار المعارف بمصر ، ١٩٦٧ .
- ٦٢- عبد الرحمن بن خلدون . تاريخ ابن خلدون ( المقدمة ) ، المجلد الاول ، الطبعة الثالثة . بيروت : مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، ١٩٦٧ .
- ٦٣- عبد الرحمن علي الحجي . أندلسيات . الطبعة الاولى . دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٨٨ هـ = ١٩٧٦ م .
- ٦٤- ===== . التاريخ الاندلسي . دمشق ، ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .
- ٦٥- عبد السلام هارون . نوادر المخطوطات ، المجموعة الاولى ، الطبعة الثانية ، القاهرة : مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .
- ٦٦- عبدالعزيز الالهواني . الزجل في الاندلس . القاهرة : جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٧ .
- ٦٧- عبدالله بن بلقين بن باديس . مذكرات الأمير عبدالله . تحقيق أ . ليفي بروفنسال . دار المعارف ، ١٩٥٥ .
- ٦٨- عبد الكريم التواتي . مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس . الدار البيضاء : مكتبة الارشاد ، بدون تاريخ نشر .
- ٦٩- عبدالله عبدالدايم . الثورة التكنولوجية في التربية العربية ، الطبعة الاولى . بيروت : دار العلم للعلايين ، ١٩٧٤ .
- ٧٠- عبدالله فياض . الاجازات العلمية عند المسلمين . بغداد ، ١٩٦٧ .

- ٧١- عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ابن الفرضي) . تاريخ علماء الأندلس، جزآن .  
القاهرة : دار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ، ( المكتبة الاندلسية :  
٢ ) .
- ٧٢- عبد الملك بن سعيد ، أبو محمد الحجارى ، أحمد بن عبد الملك ، محمد بن  
عبد الملك ، موسى بن محمد ، وعلي بن موسى . المغرب في حلى المغرب ،  
جزآن ، حققه وعلق عليه شوقي ضيف . القاهرة : دار المعارف بمصر ،  
١٩٥٣ ، ( ذخائر العرب : ١٠ ) .
- ٧٣- عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب . تحقيق محمد سعيد  
الريان . القاهرة : ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م .
- ٧٤- عدنان محمد آل طعمة . موشحات ابن بقي الطليطلي وخصائصها الفنية . بغداد :  
وزارة الثقافة والفنون ، ١٩٧٩ ، ( سلسلة كتب التراث : ٧٤ ) .
- ٧٥- علي بن بسام الشنتريني (أبو الحسن) . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة -  
القسم الاول ، المجلد الاول والثاني ، القسم الثاني ، المجلد الثاني ،  
القسم الثالث ، المجلد الاول والثاني ، القسم الرابع - المجلد الثاني ، تحقيق  
احسان عباس . بيروت : دار الثقافة ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م ، والقسم  
الاول ، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .
- ٧٦- ===== . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . القسم الثاني - المجلد الاول ،  
تحقيق لطفي عبد البديع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .
- ٧٧- علي بن حمزم . الرد على ابن النفريلة ورسائل أخرى ، تحقيق احسان عباس .  
بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٩ .
- ٧٨- ===== . طوق الحمامة في الألفة والآلاف . بيروت : مكتبة دار الحياة ،  
بدون تاريخ نشر .
- ٧٩- علي عبد العظيم . ابن زيدون . القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،  
١٩٦٧ ، ( سلسلة اعلام العرب : ٦٦ ) .
- ٨٠- علي بن محمد . ( أبو حيان التوحيدى ) . المقابسات . تحقق ونشر حسن السندوسي  
القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٢٩ .

- ٨١- عمر محمد التومي الشيباني . مقدمة في الفلسفة الإسلامية ، الطبعة الثانية . ليبيا - تونس : الدار العربية للكتاب ، ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م .
- ٨٢- عمرو بن بحر بن محبوب ( الجاحظ ابو عثمان ) . البيان والتبيين ، الجزء الاول ، حققه وشرحه حسن السندوسي ، الطبعة الرابعة . مصر : المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م .
- ٨٣- عياض بن عياض اليحصبي . الالامع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ، تحقيق أحمد صقر ، الطبعة الاولى . القاهرة : دار التراث ، تونس : المكتبة العتيقة ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠ م .
- ٨٤- ===== . ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب الامام مالك ، الجزء الثالث ، تحقيق احمد بكير محمود . بيروت : دار مكتبة الحياة ، طرابلس - ليبيا : دار الفكر ، بدون تاريخ نشر .
- ٨٥- غوستاف لومون . حضارة العرب ، نقله الى العربية عادل زعتر ، بدون معلومات نشر .
- ٨٦- الفتح بن خاقان بن محمد بن عبدالله القيسي ( ابونصر ) . مطمح الأنفس ، وصرح التأني في ملح أهل الأندلس ، ميكروفيلم رقم ٢٥٧ ، مكتبة الجامعة الاردنية .
- ٨٧- فيليب حتي ، ادورد جرجي وجيراثيل جبور . تاريخ العرب " مطول " ، الجزء الثاني ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٥ .
- ٨٨- كارل بروكلمان . الامبراطورية الإسلامية وانحلالها ، نقله الى العربية نبيه أميين - فارس منير بعلبكي ، الطبعة الثانية . بيروت : دار العلم للملايين ، بدون تاريخ نشر .
- ٨٩- كريم عجيل . الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية ، الطبعة الاولى ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٦ .
- ٩٠- كليلياسا رتللي تشركوا . مجاهد العاصري قائد الاسطول العربي في غربي الهند - المتوسط في القرن الخامس الهجري ، الطبعة الاولى . ٢٣ شارع امين ، طلي بالمينيرة ، ١٩٦٦ .

- ٩١- لسان الدين بن الخطيب . الاحاطة في أخبار غرناطة ، المجلد الاول ، حققه  
وقدم له محمد عبدالله عنان . دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ نشر .
- ٩٢- =====  
الاحاطة في أخبار غرناطة ، المجلد الرابع ، حققه محمد عبدالله  
عنان ، الطبعة الاولى . القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .
- ٩٣- =====  
تاريخ اسبانية الاسلام او كتاب أعمال الاعلام في من بويج قبل  
الاحتلام من ملوك الاسلام ، تحقيق أ . ليفي بروفنسال ، الطبعة الثانية .  
بيروت : دار المكشوف ، ١٩٥٦ .
- ٩٤- =====  
اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، صححه ووضع فيها رسمه ونشره  
محب الدين الخطيب . القاهرة : ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ م .
- ٩٥- لطفي عبد البديع . الاسلام في اسبانيا ، الطبعة الاولى . القاهرة : مكتبة  
النهضة المصرية ، ١٩٥٨ ، ( سلسلة المكتبة التاريخية : ٢ ) .
- ٩٦- م . م . شريف . الفكر الاسلامي - منابعه وآثاره ، ترجمه وعلق عليه وصنّده  
بمقدمة للموسوعة أحمد شلبي ، الطبعة الخامسة . القاهرة : مكتبة النهضة  
المصرية ، ١٩٧٥ .
- ٩٧- ماجد فخري ، محقق . رسائل ابن باجة الالهية . بيروت : دار النهار للنشر .  
١٩٦٨ .
- ٩٨- مجد الدين الفيروز آبادي . القاموس المحيط ، الجزء الثاني . القاهرة : المطبعة  
التجارية الكبرى .
- ٩٩- محمد ابو زهرة . ابن حزم - حياته وعصره وآثاره . دار الفكر العربي ، بدون تاريخ  
نشر .
- ١٠٠- محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحفيرة بن برد زبة البخاري الجعفي . صحيح  
البخاري . دار مطابع الشعب .
- ١٠١- محمد بن جارت بن أسد الخشني القيرواني التونسي ( ابو عبدالله ) . قضية  
قرطبة - علماء افريقيا ، غني بنشره وصححه ووقف على طباعته عزت عطاسار  
الحسيني ، بغداد : مكتبة المثنى .

- ١٠٢- محمد خلف الله . جامع ومراجع ومدقق . الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة -  
مجموعة البحوث التي قدمت لمؤتمر برنستون للثقافة الاسلامية ، ط ٢ ،  
القاهرة - نيويورك : مكتبة النهضة المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين  
للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ .
- ١٠٣- محمد بن خير بن عمر بن خليفة الاموي الأشبيلي ( ابوبكر ) . فهرسة ابن خير .  
وقف على نسخها وطبعها ومقابلتها على أصل محفوظ في خزانة الاسكوريال  
فرنسيّة قدارة زيد بن وتلميذه خليان ياره طرغوه . سرقسطة ، ١٨٩٣ .
- ١٠٤- محمد عبدالرحيم غنيمه . تاريخ الجامعات الاسلامية . تطوان ، ١٩٥٣ .
- ١٠٥- محمد بن عبدالله بن أبي بكر القاضي ( ابن الأبار ) . التكملة لكتاب الصلة .  
القاهرة : مكتب نشر الثقافة الاسلامية ، ١٩٥٦ .
- ١٠٦- ===== . الحلة السيرة ، الجزء الاول ، حققه وعلق حواشيه حسين  
مونس ، الطبعة الاولى . القاهرة : الشركة العربية للطباعة والنشر ،  
١٩٦٣ .
- ١٠٧- ===== . المعجم في أصحاب القاضي الامام أبي علي الصدفي . القاهرة :  
دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .
- ١٠٨- محمد عبدالله عنان . دولة الاسلام في الأندلس من الفتح الى نهاية مملكة  
غرناطة ، الطبعة الاولى ، ١٣٦٢ هـ = ١٩٤٣ م .
- ١٠٩- محمد بن عبدالملك الأنصاري الأوسي العراقي . الذيل والتكملة ، بقية السفر  
الرابع ، تحقيق احسان عباس . بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٤ ، المكتبة  
الاندلسية : ( ١٠ ) .
- ١١٠- ===== . الذيل والتكملة ، السفر الخامس - القسم الاول والقسم الثاني ،  
تحقيق احسان عباس . بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٥ ، ( المكتبة  
الاندلسية : ( ١٢ ، ١ ) ) .
- ١١١- محمد بن عبدالمنعم الحميري . كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، حققه  
احسان عباس . بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٥ .

- ١١٢ - محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (أبو عبد الله) . جذوة المقتبس  
القاهرة : دار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ، (ترائنا - المكتبة  
الاندلسية : ٣) .
- ١١٣ - محمد عبد ه حاملة . محنة مسلمي الاندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها . الطبعة  
الاولى . عمان : نشر المؤلف ، ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .
- ١١٤ - محمد بن عذارى (أبو عبد الله) . البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب  
الجزء الثاني ، تحقيق ومراجعة خ . س كولان وأ . ليفي برونسفال .  
بيروت : دار الثقافة ، بدون تاريخ نشر .
- ١١٥ - محمد غلاب . الفلسفة الإسلامية في المغرب . بدون معلومات نشر .
- ١١٦ - محمد كامل حسين ، محمد داود التنير ، أبو شادي الروبي ، مرسى عرفة ،  
سمير أبو زيد ، فؤاد الحفناوي ، وفهم أبا دير . الموجز في تاريخ الطب  
عند العرب . بدون معلومات نشر .
- ١١٧ - محمد كرد علي . الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية ،  
القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٠ .
- ١١٨ - ===== . غابر الاندلس وحاضرها ، جزءان . القاهرة : المكتبة الاهلية  
١٣٤١ هـ = ١٩٢٣ م .
- ١١٩ - محمد ماهر حمادة . المكتبات في الاسلام - نشأتها وتطورها وهائرها ، الطبعة  
الثانية . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .
- ١٢٠ - محمد لبيب النجيجي . مقدمة في فلسفة التربية ، الطبعة الثانية . القاهرة :  
مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٧ .
- ١٢١ - محمود علي مكي . مدريد العربية . القاهرة : دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ  
نشر .
- ١٢٢ - محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف . النووى "المجموع" ، اثنا عشر جزءا . نشر  
زكريا علي يوسف .
- ١٢٣ - ناجي معروف . المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، الطبعة الاولى . بغداد :  
مطبعة العاني ، ١٩٦٠ .



- ١٢٤- نعمة رحيم العزاوي . أبو بكر الزبيدي الاندلسي وآثاره في النحو واللغة .  
جامعة بغداد ، ١٩٧٥ .
- ١٢٥- ياقوت الحموي . معجم الأدباء ، الجزء الثالث والسادس . بيروت : دار  
المشرق ، بدون تاريخ نشر .
- ١٢٦- يوسف بن عبد الله النمرى القرطبي ( ابو عمر ) . جامع بيان العلم ، قدم له  
عبد الكريم الخطيب ، راجعه وصححه عبد الرحمن حسن محمود . دار  
الكتب الحديثة ، بدون تاريخ نشر .

### الدوريات

- ١- بتول سعيد . " حكيم الاندلس : الأقلام ، الجزء الثالث ، السنة الثالثة ،  
( رجب ١٣٨٦ هـ = تشرين ثاني ١٩٦٦ ) ، ص ٥٣ - ٥٩ .
- ٢- حازم عبد الله خضر . " التعليم في الاندلس حتى نهاية القرن الرابع للهجرة .  
آداب الرفادين . ( آذار ١٩٧٩ ) ، ص ٢٠٧ - ٢٣٦ .
- ٣- سعيد الافغاني . " هل في النحو مذهب أندلسي ؟ " . صحيفة معهد  
الدراسات الإسلامية ، المجلدان ٧ ، ٨ ، ( ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ) ، ص  
٧٥ - ٨٤ .
- ٤- سليم طه التكريتي . " ابن باجة ، الفيلسوف الاندلسي الشهير " . الأقلام .  
الجزء الاول ، السنة الثالثة ( جمادى الاولى ١٣٨٦ هـ = أيلول  
١٩٦٦ ) ، ص ٧١ - ٧٩ .
- ٥- عبد الله كنون . " التيسير في صناعة التفسير " . صحيفة معهد الدراسات  
الإسلامية ، المجلدان ٧ ، ٨ ، ( ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ) ، ص ١ - ٤٢ .
- ٦- منجد مصطفى بهجت . " التعليم في الاندلس في القرن الخامس للهجرة " .  
آداب الرفادين . ( آذار ١٩٧٩ ) ، ص ٢٣٩ - ٢٦٨ .

- ٧- منير بشور . " سياسة صنع المناهج في البلدان العربية من أجل تحسين فرص التطبيق " . التربية الجديدة . ١٧٠ ( نيسان ١٩٧٩ ) ، ص ص ٤١-٦٢ .
- ٨- هيمومانتنن . " علم التجديد التربوي " . التربية الجديدة . ١٧٠ ( نيسان ١٩٧٩ ) ، ص ص ٩ - ٢٣ .

EDUCATION IN ANDALUS

Prepared by

Ibrahim A. Al-Akash

Supervised by

Professor Ahmad Abu Hilal

SUBMITTED IN PARTIAL FULFILLMENT OF THE  
REQUIREMENTS FOR THE DEGREE OF MASTER OF  
ARTS IN EDUCATION, FOUNDATIONS OF EDUCATION,  
SCHOOL OF EDUCATION, UNIVERSITY OF JORDAN.

Rabi' Al-Awal 1402

January 1982

## Abstract

This study deals with education in Al-Andalus during the period from the establishment of the Ummayed Emirate in 138 Hegria untill the fall of Granada in 898 Hegria. This corresponds to the period from 756 to 1492 A.D.

The study aims to explore the role which Andalus has played in the over-all contribution of the Islamic Arabic civilization to the world during its glorious periods. More specifically the study seeks to uncover the underling principles of Education, and practises common among teachers and students in this part of the world during this period with the purpose of distinguishing these elements of education can be of value to our modern society from these which will remain as mere historical data.

Towards the achievement of this goal, the researcher surveyed the Andalusian resources which approached the study of the Andalusion civilization from a historical and social point with the purpose of identifying those people whose biographies revealed special contribution to or interest in education.

Among these resources are: "Tabacat Al-Aumum" by Saied Al-Andalusi, "Al-Silat" by Ibn Beshkwal, "Al-Thakbeerat" by Ibn Bessam, "Matmah Al-Anfus" by Khaqan, A'mal Al A'lam", and "Ihatat" by Ibn Al-Khateeb.

To have a wider insight and to properly analyse the various issues which the researcher faced, he consulted and refered to some modern resources in education.

The present study comprises nine chapters and a conclusion. The introduction is included in the first chapter, the second chapter deals with theortical framework of the study, namely philosophy of Education, and the educational system which emerged from this philosophy. The third chapter presents the materialistic

framework of education, which includes all the arrangements undertaken by the society to provide proper environment for education, such as textbooks, libraries and places of learning. The fourth chapter handles the role of the rulers in educational process and their effect on teaching attitudes. The fifth chapter deals with the teachers' specializations, educational backgrounds and qualifications. The sixth chapter deals with the teachers' tasks, methods of teaching and Idjazat (certifications). The seventh chapter is devoted to students, curriculum and stages of education. The eighth chapter deals with the subjects of study and their relationship to particular need of society. The ninth chapter presents the researcher's comments and conclusions.

Chief among the findings of this study is that education in Al-Andalus was free, which means that the educational process was not supervised by an official authority, it was not bound by written regulations and laws. Instead it was governed by a body of customs and traditions which were in most cases more powerful than written laws. The students were free to choose the place of study, which included various places such as Mosques, houses and farms. Students also were free to select their teachers and the field of study which met their needs and attitudes. Moreover the teacher was constituted the corner stone in the educational process, because he owned the textbooks which in addition to his capabilities constituted the two main resources of teaching and learning.

As for the system of examinations, grading was not the only criterion by which the success and the failure of students was determined. The student was allowed to read, study and memorize the textbook at his own pace. Thus he was not limited by time, his mastery of a particular book was the sole criterion for awarding him the certifications. The system was flexible in a such

a way as to allow the student to withdraw and presume whenever he wishes. This was governed by his own readiness, willingness, capabilities and special circumstance. Thus learning wasn't limited to a specific stage, but was considered a life long process.

No rigid limits existed between teachers and students - a teacher of one group could be a student in another group. A student and his teacher may even sometimes join the same group led by a third teacher. Teachers and students used to exchange their roles in different subjects - so that a teacher of one subject may be taught another subject by one of his students. This exchange was particularly common after the Kuttab (the initial stage).

The study has revealed the great effort which the Andalusian used to put in acquainting knowledge. The scientific trips between the west (Andalus), and the East never ceased. Through these trips the Andalusian achieved two main goals. On the one hand they attended the lessons of prominent Eastern Sheikhs, and on the other hand they brought with them the original investigated manuscripts written by Eastern Islamic scholars. These books were the main resource on which the Andalusian education was based. In addition to the Eastern trips, Andalusian used to make local trips across villages and towns in search of good teacher and proper education.

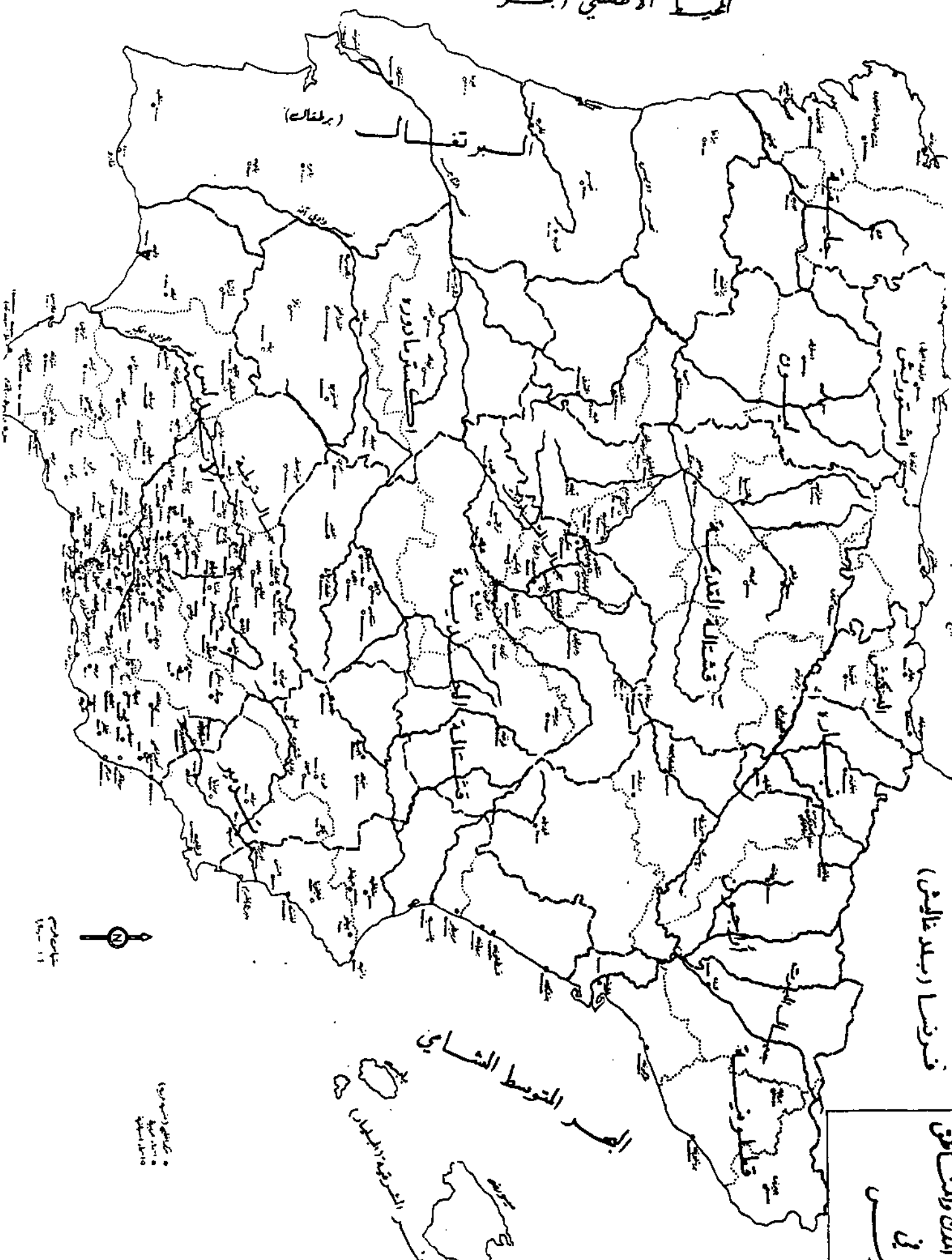
Another example of the tremendous effort which the Andalusian put to quench their thirst for knowledge was that they worked hard on collecting and copying the various books.

It can be clearly seen the voluntry attendance of students, the open and unlimited places of education, the flexible examination system, the high status of the teacher and the

continuity of education, the Andalusian educational system are among the very modern views which educator of our time call for in their attempt to make educational systems more sensitive to the immediate needs of everchanging societies.

-----

المحيط الاطلسي (بحر)



مقياس



الحدود البلدية  
الحدود الإقليمية  
الحدود الوطنية

البحر المتوسط الشمالي

(محافظة غلب) اسيف

السلطان  
الملك الحسن الثاني